السنة الخامسة العدد ٥٦ ـ شوال ١٤٠٠هـ اغسطس ١٩٨٠

# سندوحة

مجلة للثقافة العربية تقدمها جامعة الدول العربية

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



## الطفل العربي ماذا تقدم له الحكايات والقصص

يعقوب الشاروني

## عملاء المغفور له حاضرا

حسين مؤنس

ملف زيارة سارتر للقاهرة

## حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين... في بلدي

عايدة الشريف

## المرأة... في وجدان الفنان

جمال قطب




ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي





مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

# الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
أحمد عبد الله
على دياب

المواد الاتحاد الى مؤسسها نشرت اولا ثم ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او الجهة

اغسطس ٨٠

العدد ٥٦

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجارى :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير


## الشهر الذى مضى


٨ د. محمد ابراهيم الشوش
المال العربى والخيارات الصعبة


## شئون عامة


١٤ د. مظفر صلاح الدين شعبان
سمير صلاح الدين شعبان
الانسان ام السيارة ؟

٢٠ د. عماد الدين خليل
تكافؤ الادلة : عملة ذات وجهين

٢٤ د. حسن ابشر الطيب
المدير بين الوهم والحقيقة .. القيادة الادارية كيف تكون؟


## ادب وادباء


٢٨ عايدة الشريف
حدث وانا ارافق سارتر والمثقفين في بلدي

٢٢ صلاح عبد الصبور
مشارف الخمسين .. وكأنها وكأنهم احياء

٨٦ نعمان عاشور
لقاء مع محمد مندور .. القلم المناضل


## صفحات الرأى


١٨ د. يوسف ادريس
اين كنا ولماذا أصبحنا ؟

٢٧ درويش مصطفى الفار
اضغاث احلام : نعم هي مسالة مناخ

٥٢ عبد القادر حميدة
اوراق بدون ترتيب : حكاية كتاب خرج ولم يعد

٨٥ النور عثمان ابكر
مواقف ثقافية : الوفاء لذاكرتنا

١٣٠ احمد العناني
الورقة الاخيرة : المجد كله رمضان


## فنون


٩٤ رءوف توفيق
السينما تهاجم التلفزيون بقسوة

٩٩ جمال قطب
المرأة في وجدان الفنان

١٢٠ خيرية البشلاوي
من العتمة الداخلية الى موت البراءة في المدن القديمة

## حياتنا المعاصرة


اشراف خديجة الصدر

٦٨ كم انت فريد ايها الانسان

٧٤ الارض في عدسات الفضاء

٧٨ تساؤلات حول اللياقة

٨١ الاجهاد واضراره




## استطلاعات


٤٠ نبيل خالد الاغا
طبرية قيثارة الجليل

٤٦ جمال الغيطاني
عندما يصل الاسلام الى وسط اوربا

١٠٥ محمد رجب السامرائي
سامراء مدينة وامعتصماه

١١١ يعقوب الشاروني
الحكايات : ماذا تقدم للاطفال ؟


## ابواب ثابتة


من كل نبع قطرة
اعداد كمال عمار

٩٠ مقامات عبد الشكور

٩٢ جعويات

٩٣ هي وازواجها

١١٤ محمد المنسي قنديل
وقائع عربية : كل نساء الصحراء : الخروج ٠٠ العشق ، الموت

١١٩ مفيد فوزي
خميلة : المذكرات الفنية نعم ، السير الذاتية لا !


## افاق عالمية


٥٤ جمال كناني
جوجول الروائي الذي اضحك ليبكي

٥٦ فؤاد دوارة
بيتر شافر ومسرحيته الفائزة بجائزة النقاد

٥٨ فتحي سعيد
كافكا شاعر الرواية


## هذا العدد

بصدور هذا العدد يكون المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، قد صحبوا عشرين يوماً من شهر رمضان الكريم الطهور . صاموه وأقاموه صلاة وتسبيحاً واستغفاراً . ونحن إذ نتجه الى قرائنا بكل المشاعر الروحية المضيئة ، تهنئة بشهر التطهر والتعفف وضبط النفس . وابتهالا لكى يسود الصفاء والوفاق والتاخى مشاعر الأمة العربية فى أشد مراحل تاريخها خطورة ووعورة . إنما نحلم لو يجتمع الوطن العربى كله على كلمة سواء . مثلما يجتمع ديناً وتديناً على كلمات الصوم والصلاة والزكاة ، تقرباً الى الله ، فى شهر نتخفف فيه من فيض الذنوب والآثام عن إحساس بالذنب ورهبة .

ما أحوجنا الى تلك الوقفة المتطهرة المستغفرة نقفها فى كل لحظة من أجل تاريخنا وأوطاننا ومستقبل شعوبنا . نحاسب أنفسنا على ماترديناً فيه من الضلال والعثرات والتفكك والتعاكس . ونهتدى جميعاً الى وهج الاحساس الروحى العميق بكوننا خير أمة أخرجت للناس . فما نحن الآن كذلك . ومن الايمان حقاً ، أن نكون جديرين بتلك الهبة التى خصنا الله بها دون غيرنا من العالمين . وهل من سبيل الى ذلك غير أن ننظر فى انفسنا ، وفى ديننا ، وفى عروبتنا . وأن نستلهمها جميعاً وحدتنا الطبيعية ، وتوحدنا من أجل مصيرنا الواحد ؟!

وإذا كان شهر رمضان لا يكتسب ـ فقط ـ ملامحه من كونه الشهر الذى أنزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وإنما لأنه نظام وتطبيق يوحد بين المسلمين صياماً وقياماً وقعوداً . ويوقظ فينا دفقة الحنين إلى كوننا أمة واحدة . ويجدد بهذه الوحدة رابطة الروح بيننا جميعاً مهما تكن خلافاتنا ومواقعنا شهرا واحدا من كل عام .

وإنها لحاجة ماسة لنا ، لأن يكون الاسلام الحق ، والدين الحق ، والوعى بهما وبحاجتنا الى سلاح العقيدة الواحدة قبل كل الأسلحة .. شعلتنا فى هذا الزمن الصعب !! .

**الدوحة**

رسالة لندن :
عبد القدوس الخاتم




٦٠ حسن السير والسلوك
٦١ أجانا
٦٢ روائية تتحدث
٦٣ تاملات هيرمن هيلسة
٦٤ هوليود وما بعدها
٦٦ الحلاق « أقصوصة »


## قصص وشعر


٥١ م٠ كجراي
لوحة ( قصيدة )

٨٢ د٠ حسين مؤنس
صلاة المغرب حاضرا ( قصة )


## ابواب القراء




اشراف نادية محمد رزق

٦ رسائل الى المحرر

١٢٥ رأيت ٠ سمعت ٠ قرأت

١٢٨ من تجاربي الشخصية المسابقات




مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة وأصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء ٠٠ فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت ٠ سمعت ٠ قرأت ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية ٠


طبعت بمطابع على بن على

# إسلاميات

(● رابطة العالم الأسلامى
الأمانة العامة
مكة المكرمة

بناء على اجتماع تمهيدى عقد فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ رجب ١٣٩٩هـ ، فى مدينة ليفكوشا بالقبرص التركى لبحث العمل الاعلامى الاسلامى فى العالم . قام المشتركون بصياغة مسودة لميثاق شرف للاعلام الاسلامى . وقد رأى المؤتمر التمهيدى ان يدرس هذا الميثاق على النطاق العالمى ، وان تعاد صياغته من اللجنة التحضيرية للمؤتمر الذى سيعقد بمشيئة الله فى العاصمة جاكرتا فى الفترة بين ٢٠ ـ ٢٣ شوال ١٤٠٠هـ الموافق ١ ـ ٣ سبتمبر ١٩٨٠م .

وهذه هى المسودة الأولى التى نامل ان نقر احولها الاقتراحات التى تحقق للعمل الاسلامى الميثاق المنشود .

● ميثاق شرف للصحافة الاسلامية

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فلما كانت الصحافة الاسلامية من رجال وصحف طرازا مميزا عن غيرها ولما كان الانتماء الى الصحافة شرفا لا يناله الا من يستحقه من المسلمين.

فاننا نحن المسلمين المجتمعين فى المؤتمر التمهيدى للصحافة الاسلامية وبعد دراسة عميقة لواقع المهنة فى اطارها الاسلامى.

فقد انتهينا الى ميثاق شرف يلتزم به كل من يريد الانتساب الى عضوية الامانة العامة للصحافة الاسلامية وفيما يلى نصه:

ان الصحفى المسلم هو الذى يعمل بالكتابة فى الصحيفة الاسلامية ويحمل رسالة الاسلام عاملا بها داعيا اليها مدافعا عنها فى التزام كامل تجاه ذاته وتجاه الآخرين ويعيش قضايا المسلمين حيثما كانوا فوق ظهر الأرض.

وهو من يصدق ظاهره مع باطنه،يؤمن بما يكتب يعمل به ويدعو اليه،وهو القدوة بذاته،وسلوكه الشخصى ـ فى حد ذاته ـ عنصر للدعوة الى الدين وتعكس تصرفاته ومعاملاته سماحة الاسلام .

وقلمه قبس من نور الله لا يعمله الا فى دعوة الى معروف ونهى عن منكر يدعو به الى الله على بصيرة ويذود به عن الاسلام فى قوة ، ينزهه عن التدنى ويناى به من المهاترات.

وهو لبنة فى بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا يتعاون على بر وتقوى ولا يتعاون على اثم او عدوان وهو مع زملائه قوة للحق وسوط على الباطل ، حياته جهاد فى سبيل الله يعرض قضايا المسلمين العادلة فى قوة ووضوح ويدافع عن حقوقهم باصرار ، يناهض كل معتد عليها وغاصب لها ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

والصحيفة الاسلامية باعتبارها دورية تعرض الاخبار السياسية والادبية والعلمية والفكرية والدينية وغيرها ملتزمة فيما تعرض بالطابع الاسلامى .

وهى وسيلة للتعريف بالاسلام تعرضه فى نقائه وبساطته وتجعل من ذاتها معلما وهاديا ومن صفحاتها مجالا تطرح عليها قضايا العصر فى اطار اسلامى صحيح قمين بان يزيل البلبلة ويثبت اليقين حرب على المادية والالحاد ودرع يرد كيد اعداء الاسلام وهى وعاء لكل رأى سليم وحجة محققة ومتعاونة ومنسقة مع وصيفاتها فيكونون قوة رادعة للحياة المادية والسلوك الالحادى والتيارات الهدامة .

وهى التى تبتعد فيما نعرض عن كل موطن لزلل ولا تحرض على فسق ولا تدافع عن بهتان تنأى عن تزكية الفرد وتعمل لخدمة الجماعة ، لا تنزل الى ساحة المهاترات ولا المعارك السلبية.

ونحن حين نوقع على هذا الميثاق نلتزم بما جاء به انطلاقا من شرف المسلم وكرامة الرسالة التى تضطلع بها الصحافة الاسلامية. كما يلتزم به كل من يريد الانضمام الينا من صحفيين واصحاب صحف.

والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء السبيل،،،


## الشهيد الحي
## عبد القادر الحسيني

الزميل نبيل خالد الاغا صدر له مؤخرا كتاب بعنوان : قضية فلسطين فى سيرة بطل : الشهيد الحي عبد القادر الحسينى .

وتبرز قيمة الكتاب كونه اول كتاب وثائقى فى المكتبة العربية عن هذا القائد . وقد اعتمد الزميل على اكثر من خمسين مرجعا لتوثيق معلوماته ، اضافة لمعلومات حية استقاها من رفاق القائد فى القاهرة وعمان ودمشق وبيروت .

كما يتضمن الكتاب بعض الوثائق والصور النادرة التى تنشر لأول مرة .


● وجدى حسن محمود .
العمرانية ـ الجيزة

قرأت مقال احمد عبد السلام البقالى بعنوان « هل يمكننا اللحاق بالغرب » وقد ناقش فى المقال موضوعا حيويا يدور حول قوة الحضارة الغربية وسلبياتها ، وكيف ان الاسلام لو وجد دعوة ذكية منظمة فى امريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن ولملأ الفراغ الهائل الذى يعيشه الامريكيون .. واعتقد ان فى هذا الكلام الكثير من الصحة والحقيقة ، فالعالم الآن كله ـ وليس امريكا ـ يعانى من القلق والاضطراب والاحباط والمرارة وفى احوال اخرى الجوع .. ويستطيع المسلمون بما فى الاسلام من مثل عليا ان يجدوا ارضا صالحة لنشر الافكار القائمة على العدل والحب والمساواه وكافة القيم الانسانية ، ولكن كيف ؟ .. هذا ما يجب ان يفكر فيه رجال الدين واصحاب الكلمة الأولى فى العالم الاسلامى .. لاننا فى حاجة الى منهج له صدى وقيمة ، غير منهج الهجوم والثرثرة وتجريم كل من يعترض لموضوع جديد .. بهذا يمكننا ان نعيد سيف الاسلام العقلى ونفتح به ارضا جديدة .

(● محمد الباهى
طرابلس ـ ليبيا

طالعت باهتمام مقال « الأزهر » عقبات فى طريق تطويره » للدكتور محمد البهى ، ووجدت انه قد فجر فيه قضية حيوية ، فالأزهر الشريف تواجهه عقبات عديدة ، من بينها الضعف فى مستوى الكفاية فى إدارة وتصريف شئون الجامعة الأزهرية .. ونادى الكاتب فى مقاله الى حاجة الأزهر الى الاستقلال فى التمويل وخطة التوجيه .. وإننى اتفق معه فى هذا النداء لأن من شانه ان يذلل العقبات وان يعطى للأزهر الصورة الاستقلالية التى عرفها عنه العالم طوال القرون الماضية .. ولا أدرى لماذا لا تساهم الدول الاسلامية فى تمويل الأزهر وغيره من دور العلم الاسلامية الشهيرة فى العالم العربى ، حتى يمكن لهذه الدور ان تؤدى رسالتها فى تخريج العلماء الذين يواصلون مسيرة الحفاظ على العقيدة وتقويتها بالبحوث والدراسات العلمية الجديدة ؟ .

● أحمد ابراهيم الشريف
مدير مدرسة العقاد الثانوية
أسوان ـ ج . م . ع

في العدد الرابع والخمسين من «الدوحة» الوارفة مقال قيم للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى موضوعه « الرسول والعلم التجريبى» وهو من نوع المقالات التى أتمنى أن تكون كل مقالاتنا على نحوها.

أجمل ما فى المقال ـ وكله جميل ـ انه يتحمس للاسلام حماسة العقل لا حماسة التعصب والتشنج ؛ وانه لا يعتسف حقائق التاريخ ليثبت قضاياه؛ وانه لا ينكر التقدم العلمى الحديث ، بل يتحرى اصول مناهجه فى معطيات الاسلام وماثوراته.

من أجل هذا حفزنى المقال الى التعليق على نقطتين وردتا فيه ، ما كنت لأعلق عليهما لولا قيمة المقال عندى.

أولى النقطتين قوله:

« ويشمل العلم مجال الماديات المبثوثة فى الكون علويه وسفليه «وهى تتضمن علوم الطبيعة والكيمياء والاحياء والفلك والطب «والهندسة وغيرها مما يقوم على الملاحظة والتجربة. وهذا المعنى او هذا المجال هو الذى يقف عنده الغربيون اليوم لا يجاوزونه إذا تحدثوا عن «العلم»»

وهو بهذا يريد أن يثبت لنا ان معنى « العلم عند المسلمين أوسع واشمل منه عند الغربيين. وهذا حق إذا أخذنا كلمة العلم الغربية بالمعنى الاصطلاحى واغفلنا مصطلحا آخر هو « المعرفة» ومصطلحا ثالثا هو الحدس.

والحقيقة ان مترجمينا الأوائل لم يوفقوا كل التوفيق فى اختيار الكلمات لكل من هذه المصطلحات. فلقد كان مصطلح « المعرفة» أولى بترجمة «علم» وكان «العلم» أولى بترجمة «معرفة» ، لأن «العلم» مصدر مطلق بينما «المعرفة» مصدر يحمل فى طياته معنى الكيف أو التحديد على نحو ما. فنحن نقول مثلا «وقع الكلام موقعا حسنا» ولا نقول «وقعا». ويقول الله عز وجل « ماشهدنا مهلك اهله» و« وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة» و « ومحياى ومماتى لله» لانها جميعا لا تقف عند مجرد الحدوث المطلق بل تتعداه إلى الكيف والتحديد.

كان حريا إذن بالمترجمين الأوائل أن يسموا المعرفة التى تتحدد بمنهج معين باسم « المعرفة» ترجمة لكلمة Science ؛ وان يسموا المعرفة المتحصلة من اى طريق وكل طريق ، عقليا كان او الهاميا او غير ذلك ، باسم « العلم » ترجمة لكلمة Knowledge . ولو قد فعلوا لاعفونا من الصراع العنيف الذى جرى بين من راوا « علم » الغرب كفروا لانه مادى ، ومن راو ه تقدما ومنعة وقوة للاسلام والمسلمين .

المهم بعد ذلك ان الغرب لم يغفل أنواع المعرفة الاخرى ، وكل ما هنالك انه صنف فاحسن التصنيف ، وتقدم فاوسع الخطى .

بقى أن نقول ان الاستاذ الدكتور لايمكن ان يعنى حقا ان الهندسة من العلوم التجريبية التى تقوم على منطق الملاحظة والتجربة .

النقطة الثانية هى قوله:

« ومن هذه التعاليم التى تهيىء تربة المجتمع لظهور التفكير العلمى نشر التعليم ومطاردة الامية. ولهذا حرص النبى (ص) على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الامم بالاميين وهكذا سماهم القرآن «هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم» ، وقال عليه الصلاة والسلام معبرا عن الواقع القائم حينذاك:« نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب».

لماذا يا سيدى الدكتور تضعف حجتك وتوهى قضيتك بالاستطراد الذى لا يلزمك ؟ ألم يكن كافيا لك أن تقف عند قولك« على محاربة الأمية» وان تدع ما بقى لاعداء التعليم وانصار الامية يقولونه ؟!

وهل يا سيدى كان العرب وحدهم هم الجهلة؛ وهل حقا كان التعليم منتشرا بنسب كبيرة ظاهرة بين العبرانيين والفارسيين والرومان وسائر أمم ذلك الزمان؟ حتى يتميز العرب وحدهم بالجهالة فتصير علما عليهم ووصفا لهم وحدهم؟!

وهل مفهوم « الأمية» عدم معرفة القراءة والكتابة وحدهما أم تراه قد امتد حتى شمل عدم معرفة الحساب ايضا؟!

وهل حقا كان العرب من الجهالة بحيث لا يحسنون ولا حتى الحساب؟!

وهل نحن امة امية كما وصفنا القرآن صادقا ، حتى إذا ما تعلمنا تجافى هذا الوصف القرانى لنا عن الصدق ؟! أم سيظل القرآن صادقا لكل زمان ومكان وقبيل ؟! فهل ليس ثمة تفسير لهذه الكلمة التى وصفنا بها القرآن (ولا اقول وصمنا بها) تظل به صادقة ولو تعلمنا كلنا اجمعون؟

اعود اخيرا فاشكر لك يا سيدى الدكتور هذا المقال الممتع ، ولعلك ان تزيدنا من امثاله والله يوفقك وإيانا والسلام

«أحمد ابراهيم الشريف»
عضو اتحاد الكتاب العام
بمصـــــــر

● كمال جعفر أحمد
طوكر ـ السودان

فى العدد ٥٤ من الدوحة ( رجب يونيو) ، وجدت على هدى فكرة وبصيرة د. يوسف القرضاوى ماكنت ابحث عنه دائما من نظرة عصرية عارفة باصول الدين ومنهج الرسول (ص) فى معالجة المواقف المتجددة .

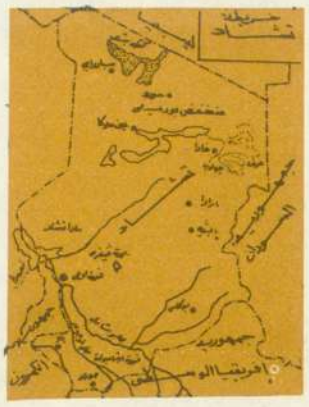
إن ما بهرنى فى تقديم الدكتور القرضاوى لهذا الحشد من المشكلات الحيوية التى تشغل بال المسلمين اليوم وهم يبحثون عن دورهم الفعال فى خدمة البشرية لانقاذها من التخبط الحضارى المعاصر هو نقطة انطلاقه . فهو لم يدخل مثل كثير من الكتاب الاسلاميين من باب الدفاع عن الاسلام ـ وكان الدين فى حاجة الى من يقيله من عثرة ـ بل انطلق بهدف تبصير المسلمين بامور دينهم الاساسية وارشاد وعيهم الى المنهج الاصيل للرسالة المحمدية بحسبانها منارة للعلم ومرشدا للبحث واسلوبا فى الحياة بالتخطيط والممارسة والتجريب الذى هيئت له سبل النجاة عن الزيغ .

فالتحية للدوحة التى اتاحت منبرها واسع الانتشار لهذا المؤمن الهادى .

● ابراهيم بن صالح
الجزائـــــر

هذا الحاضر الدامى لجمهورية تشاد الحبيسة ، التى يتساقط على ارضها كل يوم مئات الشهداء بعد أن أصبح الأخ يقتل أخاه ..

ماالذى فعلناه من أجل ايقاف هذا النزيف ؟ .. أليس على الأمة الاسلامية واجب تجاه اشقائها لانقاذهم من الفتن الجارية هناك ولايقاف أسلحة الدمار التى تتسلل الى البلاد بايد خبيثة تخطط للشر فى هذا البلد الذى دخل تاريخه الحضارى بالاسلام ..



إننى اشد على يد الدكتور حسن عبد الظاهر لمقاله الرائع ، الذى اعطانا فكرة متكاملة عن قصة تشاد واحداثها الجسام ، لعلنا نتذكر ونتحرك ونؤدى دورنا تجاه قضايانا المصيرية .

● بابكر محمد بيلو
قلع النحل ـ السودان

بعد أن قرأت مقالة د. عون الشريف فى العدد (٥٤) من مجلة الدوحة الظليلة ، كدت أن أجد فيه الناثر المسلم المعاصر المثابر فى تصديه لما يترسب من وجهات نظر غربية على طرائق المسلمين فى التعامل مع الحياة والوقائع الفكرية ولكننى تنبهت الى انه هو نفسه قد وقع أسيرا لوجهة نظر غربية للعالم ، تراه من وراء ثنائيات الفكر المثالى الشهيرة : المادة والروح ، الحسى والمعنوى .. الخ . ولا يلغى ذلك فى النهاية أن امكانيات الاختلاف مع المرتكزات التى ينطلق منها الدكتور عون الشريف هى التى تجعل الركون الى مطالعته أمرا مفيدا ، خاصة وهو الكاتب الأسر الأسلوب رغم منطقه الشكلى .

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

# المال العربي... والخيارات الصعبة



● ما هي القضية الرئيسية التي تواجه الأمة العربية؟

● الخيارات المتاحة كلها صعبة .. وتؤدي إلى أكثر من طريق

منذ أن تدفق النفط فى هذه المنطقة العربية من العالم بالذات ، وارتفع دخانه الأسود فى سمائها ، وانتزعت دولها المستقلة ـ إستكمالا لسيادتها واستقلالها ـ حقها الشرعى فى التحكم فى انتاج مواردها الطبيعية ، وتسويقها ، والتصرف المستقل فى عائداتها ، وصراخ الناس فى الغرب مافتر ، وما توقفت أجهزة إعلامه المسموعة والمرئية والمكتوبة يوماً واحداً عن الضجيج والهرج ولطم الخدود وشق الجيوب فى مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة والتى هى فى نظرهم كارثة الكوارث ولعنة اللعنات ومظهر من مظاهر افلاس الدنيا ونهاية العالم . وأية كارثة أكبر من أن يتحكم فيهم من كان حتى الأمس القريب تحت إمرتهم ومحور احتقارهم ، وأية مهانة اعظم من أن يصبح اقتصادهم ورخاؤهم بل ومصير الحضارة كلها فى أيدى من لا يفقهون لها شيئاً .

وانبثق الحقد الصليبى حمماً ترمى العرب بكل تهمة ونقيصة من تخلف وخمول واتكالية وتكاسل وسوء تصرف ، وتتناول دينهم وتقاليدهم بالتحريف والتزييف والباطل ، كأنما مجرد إمتلاك العرب للمال جريمة لا تغتفر ، وكأنما القحط والجدب وركوب البعير والجمال ـ لا السيارات أو الدراجات ـ قدر محتم على العرب فى كل زمان ومكان لا يجب أن يفلتوا منه

وتفتق الحقد عن حكايات هلامية فى جنس بضاعة هوليود مستقاة مما يذكرونه من قصص ألف ليلة وليلة ومغامرات لورانس فى الصحراء وحكايات المخدرات والحريم فى الشرق الساحر تتداولها ترجمات فى طبعات رخيصة أيدى الجنود الجهلة والمراهقين : حكايات مكررة ممجوجة تتحدث عن المال السائب فى موائد القمار والصدور ، والعمولات الخرافية ، وأموال تهدى بلا حساب للخدم والحشم ، وسيارات فارهة يتركها اصحابها للسائقين وهم على سلم الطائرة ، ومواعيد تعطى وتلغى بالمزاج ، واشجار تسقى بالكومبيوتر ، وجسور تبنى بلا أنهار تجرى من تحتها ..

حكايات إفك وخرافة تتحول الى حملة مركزة مكثفة تضع المواطن العربى فى قالب كريه تغذيها بصورة مخططة مبرمجة عن طريق الرسم الكاريكاتيرى الهازل والكتب المحقرة والمقالات المسمومة والبرامج الاعلامية والفنية ، عقلية صهيونية حاقدة متمرسة فى أساليب الخبث والوقيعة والتآمر واللؤم وتركزها وتؤيدها فى أذهان السذج والبسطاء فى الغرب قلة طائشة لا يؤبه لها لا ترعى فى بلاد الأغراب لدينها أو لأمتها حرمة ، أعشى الثراء السريع بصرها وبصيرتها وأدار رؤوسها فأصبحت للحملة المغرضة وقوداً وقد وجدت الدعاية المغرضة ضد العرب فى نفر قليل مما يسمى برجال الأعمال قالبهم المنشود ـ ومالهم فى اقتصاديات بلادهم برغم هيلمانهم الاعلامى فى الغرب تأثير قل أو كثر ـ استغلت فيهم حب الشهرة فراحت ترصد تحركاتهم بين عواصم العالم فى نطاق دور محكم الحلقات .

هذه الاساطير المتداولة أغرت بنا طلاب الشهرة من سفلة الكتاب وصغارهم كلندا بلانفورد واندرودنكان وغيرهم من المغمورين الذين فتحنا لهم أبوابنا وأدخلناهم منازلنا وأغدقنا عليهم من كرمنا الذى لا يفرق بين العدو والصديق ، فوجدوا فى النيل منا ونهش اعراضنا طريقاً مضمونة للشهرة وباباً مفتوحاً لدور نشر طامعة ، آمنة فى الذى تفعل ، لا تتعرض الى رد فعل أو عقاب ، ولا يتعرض تعاملها مع العرب الى خطر ، حتى اصبح النيل من العرب ومعتقداتهم حقاً مشروعاً فى إطار الممارسات الديمقراطية التى لا تتحقق إلا بشتمنا .

وصدق هذه الأساطير نفر آخر من الانتهازيين والمغامرين واصحاب الحيل من خبراء الدعاية والاعلان وصحافة الابتزاز وكتاب المسلسلات وأصحاب البرامج الحية والمعلبة ، انشقت عنهم الأرض فجأة . جاءوا بالآلاف من كل حدب وصوب ، من كل بقاع الأرض جاءوا يحملون الخطط والأفكار والمشاريع ، كلهم يريد أن يلحق بقطار الوليمة ويشترك فى مهرجان العرس . كل هذا حق وواقع معاش ، ولكن هذا الغبار الكثيف لا يجب أن يحجب عنا اننا نواجه حقا قضية مصيرية يجب أن تحسم حسماً علمياً موضوعياً سريعاً بعيداً عن التزلف والتردد .. وهى كيفية الاستفادة من المال العربى فى قضية التنمية والتحديث واستخدامه بوعى وبصيرة سلاحاً فى معركة التغيير الاجتماعى ...

## ● القضية الرئيسية :

والقضية الرئيسية التى تواجه الأمة العربية هو أن اكتمال سيطرتها على مصدر انتاجها من النفط قد اتاح لها عائداً مالياً كبيراً يتدفق بصورة سريعة ومذهلة ، وهذا العائد لابد من امتصاصه فى إطار خطة سليمة وفعالة تأخذ فى الاعتبار كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والانسانية ، وفى إطار التكوين النفسى والدينى والاخلاقى للمجتمع . والتصدى لهذه القضية يمثل واحدا من أكبر التحديات الحضارية التى واجهت الأمة العربية . وفى اسلوب معالجة هذه القضية والنتائج المترتبة على ذلك يتحدد مصير مستقبل الأمة ، ولهذا كان لزاماً أن يتصدى لها فى جدية المثقفون والمفكرون والمخططون. فالمال ليس فى حد ذاته نعمة كما يتصور كثير من الناس إلا بقدر ما نمتلكه ونوجهه ونستخدمه . والخيارات المتاحة كلها صعبة وتؤدى

● فى أسلوب معالجة هذه القضية يتحدد مصير مستقبل الأمة

● بعض الطرق وعر وشائك . وبعضها يؤدى إلى أنفاق مظلمة

- كثرة المال نعمة قد تتحول إلى نقمة إذا أنفق بغير ذوق وبغير حساب
- أى خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية لا يمكن أن يؤخذ فى إطار محلى
- الجيل الحالى عليه مسئولية تاريخية عاجلة بقدر ماهى جد خطيرة



## المال العربى.. والخيارات الصعبة

إلى أكثر من طريق : بعضها وعر شائك ، وبعضها مسدود ، وبعضها يؤدى الى انفاق مظلمة تجوس فيها الحيوانات المفترسة والثعابين وتسكنها الأشباح المخيفة . والطريق حتى إلى الخير ليس معبداً والمال للذين يبصرون حقيقة الحال أكثر إدماء للاقدام من الشوك وكثرة المال نعمة قد تتحول الى نقمة وليس أكثر نقمة فى الدنيا والآخرة من صرف المال بغير ذوق وبغير حساب .

ومن مظاهر صعوبة الخيارات المتاحة أن مصدر الرخاء سلعة تتحكم بصورة عنيفة ومباشرة حادة فى اقتصاديات العالم المتقدم كله ، وعلى افتراض توفره الدائم المستمر والرخيص قام البناء التكنولوجى الذى يعيش فى كنفه العالم بأجمعه ، وعليه فان أى خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية والاستقلال لا يمكن أن يؤخذ فى إطار محلى بمعزل عن الاعتبارات العالمية والكونية . فمسؤولية القرار والاختيار بقدر ماهى مسؤولية وطنية وقومية هى أيضا مسؤولية انسانية شاملة ، وفى إطار هذه المسؤولية العالمية والعملية ، وفى نطاق الوضع الاقتصادى العالمي الذى يؤثر فينا انهياره واضمحلاله بقدر ما يؤثر فى الآخرين ـ نامين ومتقدمين ـ يصبح اتخاذ خيار قد يبدو لأصحاب الشعارات والمزايدات سهلا ميسوراً مثل إبقاء مصادرنا فى جوف الأرض استثماراً للمستقبل حين تكون أغلى وأثمن ، ونكون نحن أقدر على امتصاص عائدها تلقائياً وتدريجيا ، مثل هذا الخيار يصبح فى إطار الوضع العالمى المتشابك ، تحوطه اعتبارات كثيرة ومعقدة لابد من موازنتها بميزان دقيق يأخذ فى الاعتبار المصلحة الوطنية العليا ، ومسئولية مماثلة من الدول المستهلكة ايضاً ، وألا تحول موقفنا المسؤول الى تكأة لاستغلال الدول والشركات المتخمة .

وتتجلى صعوبة الخيارات المتاحة فى أن عوائد النفط هى عوائد مستمدة من جراء تصدير مورد طبيعى ناضب وعليه فان أى خيار يلزم أن يأخذ فى الأعتبار مصلحة الأجيال اللاحقة .. وأن يتخذ فى إطار زمنى محدد لا يقبل التأجيل ولا يمنح فرصة للتفكير المتأنى . وهذا يلقى على الجيل الحالى مسئولية تاريخية هى عاجلة بقدر ماهى جد خطيرة .

ومن الخيارات المعقدة التى تبدو للوهلة الأولى سهلة المنال لا تكلف عنتاً بل تكفينا مؤونة التفكير والنضال ، امتصاص عوائد النفط فى قروض وودائع مصرفية مضمونة الفائدة فى بلاد متقدمة مستقرة البنيان والأحوال ، كقناة تصرف هذه العوائد بعيداً عن إحداث شرخ فى التكوين الاجتماعى إذا ما ترك لها أن تتدفق فى الداخل بلا تدبير وبلا حساب ، وفى نفس الوقت تضمن للأجيال اللاحقة فوائد مالية . لكن الأرصدة النقدية المتراكمة فى الخارج تتعرض وستظل تتعرض لمخاطر سياسية ومالية وتلاعب عالمى بالأرصدة والعملات تمارسه أيد خبيرة بأصول اللعبة . وما حكاية الارتفاع والانخفاض فى اسعار الذهب والفضة ببعيدة هذا مع الاحتمال الوارد أبداً أن ترتد هذه الأموال المودعة سلاحاً يغرسه الأعداء فى صدورنا وخاصة وهم لأصحاب المصارف أبناء عمومة وخؤولة وعصبية .

والخيار الصعب الآخر ان نخوض فى بورصة الأسواق المالية والاستثمار الدولى مع الخائضين . ولكن الاستثمار العالمى بحر هائج تقبع فى قاعه الأسماك المفترسة ، ولسنا بأصول السباحة عارفين . فاما أن نترك المقود فى يد خبراء مستشارين أجانب ونخوض تجربة لم تكتمل لنا عدتها ، أو نتبع نهجنا التقليدى الاستثمارى الذى تعودنا عليه ، فنصول فى بلاد الغرب نشترى العقار والأراضى والفنادق والمبانى الأثرية تخليداً لتراث غير تراثنا ، فلا يجلب لنا ذلك غير السخرية والهزء من الآخرين ، ونصبح مثلا حياً للقروى التائه فى أسواق المدينة وجيوبه ملآى بالنقود ، فلا يجد غرابة أن يشترى الترام عندما يعرضه عليه محتال المدينة .

ويبقى الخيار الأهم وهو الذى تمليه دواعى المسئولية الوطنية والقومية للجيل الحالى والاجيال اللاحقة ، وهو العمل على استثمار جزء كبير من هذه العوائد داخلياً فى أصول منتجه تتمثل فى إنشاء مشروعات صناعية تقوم بدور رائد فى إيجاد هيكل اقتصادى سليم كفيل بتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية باقية ، وتؤدى فى الوقت ذاته الى امتصاص منتج لعوائد النفط بعيداً عن مزالق ومخاطر التلاعب المالى الدولى ، والتقليل من الاعتماد الكلى على تصدير النفط الخام وتوفير مصادر بديلة للدخل القومى والعمالة فى المستقبل .

ومع وضوح مميزات هذا الخيار كحل اقتصادى أمثل إلا أنه يمثل أكثر الخيارات تعقيداً وصعوبة فى الممارسة والتطبيق ، ويستلزم الشروع فى تطبيقه الكثير من الحذر والدراسة

● من الخيارات الصعبة أن نخوض فى بورصة الأسواق والاستثمار الدولى
● الخيار الأهم هو العمل على استثمار جزء كبير من العوائد .. داخليًا
● الطفرة إذا لم يُحسب حسابها بميزان دقيق .. تؤدى إلى تفكك المجتمع

والتفكير والتخطيط الدقيق ، لأنه إذا كانت نتائج فشل الخيارات الأخرى تنحصر فى الخسائر المادية والمالية ، فان فشل هذا الخيار ، أو الممارسة العشوائية له دون تخطيط مسبق ، يأخذ فى الاعتبار العوامل الدينية والنفسية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية ، سيؤدى حتماً الى إحداث شرخ فى العلاقات الاجتماعية فى المجتمع وفى تكوينه ومبناه بصورة قد تقتلعه من جذوره . فالطفرة ـ والتصنيع الحديث من أكبر الطفرات ـ إذا لم يحسب حسابها بميزان دقيق لا تؤدى الى التقدم بقدر ما تؤدى إلى تفكك المجتمع وتحلله . ولسنا ندعو بذلك الى أن يكون السير وئيدا أو يتوقف دولاب الحياة ، فذلك مستحيل إذا حاولناه فى مضمار الحياة المعاصرة ... ولكن الدعوة إنما هى للتفكير والتدبير والتخطيط قبل الشروع فى طريقة التحديث والتغيير والتصنيع . ولا يكون ذلك بالنصح والتحذير الخطابى المدفوع الثمن يحث الشباب على مكارم الأخلاق ، والبعد عن رذائل المدينة المعاصرة ، ولكن بالتخطيط المبنى على الدراسة العلمية والفهم العميق لأوضاع المجتمع ومشاعره الدينية ومكوناته ومعتقداته وتقاليده الراسخة وأخلاقياته وقيمه الروحية وامكاناته المادية وممارساته اليومية وطبائعه ، مع إدراك وفهم علمى واقعى موضوعى لهذا الوافد الحضارى الجديد : عقليته التى يسير بها ومتطلباته . وهذا الادراك المزدوج هو وحده الذى يحقق إيجاد تفاعل إيجابى يحقق استيعاب التكنولوجيا الحديثة وأساليب العصر المتقدمة ، ويجنب المجتمع فى الوقت ذاته مخاطر التفكك والتحلل والتخبط والفوضى الاخلاقية والاجتماعية والسياسية ..

## ● عوامل واقعية :

فقد شاءت إرادة الله أن يتدفق النفط فى بلاد عميقة الشعور الدينى راسخة التقاليد ، ذات تاريخ قديم وعريق فى ميادين العلم والثقافة والتجارة وهو ليس ميتاً وإنماهو حى ماثل فى وجدان الأمة متشابك فى تكوينها المعاصر . والمشروعات الصناعية الحديثة ، والتى تعتمد على تكنولوجيا متطورة شديدة التعقيد هى وليدة مجتمعات لها تقاليد وممارسات وأسلوب تفكير يضرب بجذوره عميقاً وبعيدا فى أحضان حضارة مختلفة فى شعورها الدينى وتقاليدها وقيمها المادية والروحية وتاريخها . واختيار طريق التصنيع بصورته الحديثة لا يعنى مجرد خيار إقتصادى جانبى لتحقيق عائد مادى وإنما يعنى بالضرورة انتقال المجتمع بكافة علاقاته الاجتماعية والسياسية من قطاع اقتصادى بدائى ، وإن كان غنياً بماله ومصادره ، الى قطاع اقتصادى متقدم له سماته ومشاكله ... ولا يمكن الانتقال الى هذه المرحلة إلا بعقلية علمية تتكيف مع الوضع الجديد ...

فالتصنيع والتخطيط له ، مثل غيره من مظاهر التحديث والتطوير ، عملية جادة تنبنى على حقائق ثابته واحصاءات دقيقة وعوامل واقعية ، ودراسة متانية موضوعية لهذه الاحصاءات والمعلومات ، وأهميتها وارتباطها . مع دراسة لامكانات السوق المحلية والعالمية ، وارتباط الصناعة بالصناعات الأخرى المماثلة فى العالم ، واتصالها بالقطاعات الاقتصادية الأخرى ، وتكييف التكنولوجيا المستوردة لعوامل الانتاج المحلية السائدة وعادات الاستهلاك ، وتهيئة الخدمات المساعدة على الانتاج كالتعليم والتدريب المهنى والفنى والنقل المواصلات والانشاء والتعمير وتوفير الطاقة وتوزيعها . والمجتمعات النامية ـ ونحن منها ـ كثيرا ما تخلط بين التمنى وما هو واقع بالفعل ، ما تتمنى أن يكون وماهو كائن . والتصنيع وليد واقع معاش وليس وليد معجزات واحتمالات غيبية ، أو مفاهيم مجردة تسبح فى الخيال ، أو أحلام يرجى تحقيقها أو أهداف ديماجوجية عشوائية لارضاء الجماهير . وتبقى المعادلة الصعبة والخطيرة وهى كيفية التعامل مع هذه المظاهر الحضارية الوافدة مع رسوخ القدم فى أرضها وواقعها وقيمها وتراثها فى صلابة تكفل امتصاص صدمة التغيير والطفرة والنقلة دون اقتلاع الجذور .

## ● فى مجالات التصنيع :

هذا الخيار الصعب هو الذى تصدى له بالتناول الجرىء والدراسة الواعية المسؤولة وبعيداً عن الرسميات نفر من كبار مثقفى الجزيرة العربية فى سلسلة لقاءات علمية مدروسة أعد لها ومهد لنجاحها الدكتور على خنيفة الكوارى .. وهذه الدراسة تمثل ايضاً وقفة متروية فى خضم الاندفاع المتحمس اللاهث فى مجالات التصنيع والتحديث ، التى اعقبت تدفق عائدات النفط وهى وقفة ضرورية وهامة لدراسة التجربة ونقدها وتحليلها وتمحيصها وأخذ العبر منها .

ولقد تناولت هذه الدراسة بصورة عامة كفاءة الأداء فى المشروع العام فى البلدان المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية ... وفى هذا الاطار نوقش عدد من القضايا الحيوية المتصلة بدور المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية ، وامكان التوفيق بين الاعتبارات الايدولوجية والأخلاقية والسياسية لتكون هذه المشروعات قوة دافعة لا قوة معيقة لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية .. وكذلك قدرة المشروع

- التصنيع والتخطيط له عملية جادة تنبنى على حقائق ثابتة وعوامل واقعية
- التصنيع وليد واقع مُعاش .. وليس وليد مُعجزات واحتمالات غيبية
- تبقى المعادلة الصعبة والخطيرة .. وهى كيفية التعامل مع المظاهر الحضارية الوافدة؟



## العالم العربى.. والخيارات الصعبة

العام على معالجة التعقيدات الناتجة عن الافتقار الى فرص العمالة المنتجة والبطالة المقنعة فى بعض الأجهزة الحكومية ، والتنسيق بين المشروعات العامة والقطاع الخاص ، والتعاون بينها ، وتقسيم الأدوار فى إطار التنمية الاقتصادية .

وتناولت الدراسة ايضا عددا من القضايا الاقتصادية المؤثرة على أداء المشروع العام ونجاحه فى تحقيق اهدافه التنموية : أهمها التوفيق بين الرقابة الخارجية على المشروع العام فى مواجهة الاستقلال الادارى ـ واختيار المدراء التنفيذيين وتعبئتهم وتطويرهم وتحضيرهم ، والعوامل الذاتية التى تؤثر على تكلفة المشروع وعوائده وكذلك الأسلوب الأمثل والأسلم لتقييم الأداء فى المشروعات العامة وكلها قضايا حيوية ذات أهمية بالغة نرجو أن نتناولها بالتحليل والتفاصيل فى باب « شهريات الخليج » فى أعداد قادمة من (الدوحة) إن شاء الله مستعينين بعدد من المفكرين والمثقفين .

### ● التنمية الناجحة :

على اننا يلزم أن نشير هنا الى حقيقة أساسية غفلت عنها هذه الدراسة ربما بحكم كونها دراسة أولية تمهيدية ، وهى انه من غير الممكن عمليا الحديث عن التطور الصناعى أو التنمية الاقتصادية الحقيقية إلا فى إطار امكانات التعاون والتكامل الاقليمى والقومى والدولى . فنجاح المشروعات الصناعية ، كبرت ام صغرت ، عامة أو خاصة ، لا تتحكم فيه عوامل ذاتية داخلية فقط ، مهما اكتملت لها ظروف الأداء الممتاز والحنكة الادارية والانتاجية المثالية والقوانين المرنة ، وإنما تتحكم فيه ظروف واحتمالات التكامل الاقليمى والقومى وطبيعته ومداه . ذلك لأن متطلبات التنمية الصناعية الناجحة متعددة الجوانب لا يمكن أن تتوفر أو تكتمل إلا عن طريق التعاون والتنسيق والتكامل . فهنالك حاجات تتصل بالخبرات الفنية والعمالة الوافرة ورأس المال الكافى والأرض الواسعة والمصادر الطبيعية والبشرية واتساع منافذ الطلب والسوق ... وكلها عوامل لا تتيسر إلا عن طريق التكامل .. وبنفس القدر فان النزوع الى الفردية والأنانية والمنافسة والعجز عن تحقيق التكامل والتنسيق يؤدى بالضرورة الى التضارب والكساد وفشل كل خطط التصنيع والتنمية مهما اكتملت لها اسباب النجاح الأخرى .

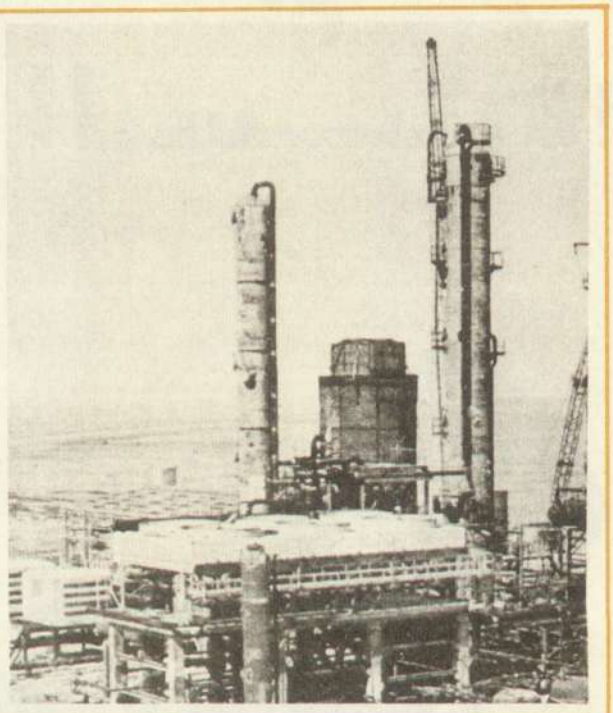
لكن التكامل ليس سهلا ميسوراً بين بلاد متشابهة كل التشابه كدول الخليج تملك نفس المشاكل الانتاجية وتتبع بالضرورة خطا صناعيا واحدا يتصل بقطاع النفط كالتكرير والبتروكيماويات والأسمدة وصهر المعادن ( كالحديد والصلب والألومينوم ) وتسييل الغاز ، وهذه الصعوبة تستلزم للتغلب عليها ، مزيدا من التفاهم والتضحية والتنازلات وإدراك المصلحة المشتركة وتغلب مصلحة الكل على المصلحة الفردية . وفى النهاية أن تكون النظرة أوسع وأشمل وأن تتجاوز المنطقة ، وذلك لأن الخيارات حتى بافتراض تحقيق تنسيق وتوزيع عادل للنشاط الانتاجى الصناعى فى المنطقة لن يكتب له النجاح الكامل إلا بوجود سوق أكبر وعمالة أوسع وخبرة وتنوع فى الانتاج أكبر بكثير مما تحيط به إمكانات المنطقة مجتمعة .

### ● لابد من الآخرين :

وقد برهنت التجارب أنه مامن أمة فى العصر الحديث يمكن أن تتبنى خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الآخرين ومن هنا كان أخطر مايواجه اسرائيل مقاطعة العالم العربى لها اقتصادياً وقفل أسواقه الواسعة فى وجه منتجاتها . وتقف أكبر تجربتين فى العالم برهانا ماثلا على أهمية التعاون الاقتصادى حتى بين الدول المتقدمة أصلا ، وهما السوق الاوربية المشتركة والكتلة الاقتصادية الشرقية (الكوميكون) ومن هنا كان حتماً أن يتجاوز التكامل والتنسيق الجاد المنطقة ليحتضن امكانات الأمة العربية بأسرها ، وقد اتاح الله لها وفرة فى الخبرة والأرض والموقع والبشر والأمكانات ، إذا ما تكاملت كانت قوة يؤبه لها فى الحاضر والمستقبل ، وقادرة على الصمود فى وجه المنافسة العالمية الضارية .

ولكى يتحقق هذا التكامل القومى ـ المنبنى على المصلحة المشتركة أولا وأخيرا ـ بعيدا عن الحماس العاطفى وأحاديث المجاملة ، يلزم أن تسبقه خطوات تمهيدية يأتى فى مقدمتها إنشاء بنك عربى للمعلومات يقوم بدراسة الوضع الحالى للصناعة فى البلدان العربية بما فى ذلك الصناعات

برهنت التجارب على أنه ما من أمة فى العصر الحديث يمكن أن تتبنى خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الآخرين



الخفيفة والحرف التقليدية ، وحصر كافة المصادر البشرية والطبيعية ، وتحديد الاحتياجات وطبيعة الاستهلاك وكمياته ومعرفة اتجاهات السوق الداخلية والخارجية ، والخدمات الضرورية المتوفرة . ووضع خطة مدروسة على ضوء ذلك للانتاج والاستثمار والتسويق ، ونقل التكنولوجيا الحديثة فى حدود الامكانات الواقعية المهيئة لها كالمواد الخام والتمويل والخبرة الفنية والعمالة والادارة الرشيدة والأهداف الموضوعية ، وفى إطار مفهوم أصيل يأخذ فى الاعتبار – وبعقلية متفتحة مرنة – الظروف الدينية والاجتماعية والتقليدية للمجتمع العربى ، وأن يكون هدف التكامل تنقية المجتمع من هذه البيروقراطية المتعسفة المتجمدة الخانقة لكل مبادرة والموروثة من عهود التخلف والتبعية والتى هى من أكبر معوقات التنمية الاقتصادية فى المجتمعات العربية

لكن ذلك كله يتطلب الكثير من الثقة التى زعزعتها تجارب خطيرة فى الماضى ، وبذر بذور الخير وتعميق مشاعر الوحدة الوطنية وتربية أبنائنا ، فى المدارس وعن طريق الاعلام ، تربية قومية تنفر من كل مظاهر الشعوبية والاقليمية والأنانية والعزلة وهذا يحتاج الى وقت والوقت لا يسعف ! .

د. محمد ابراهيم الشوش

فى الأعداد القادمة

# المجتمع



صحافة الشعر

مقال لم يُنشر من قبل

للمفكر العربى عباس محمود العقاد

أمة الرسالة الخاتمة

د. عون الشريف

لنجرّب الجنون

د. يوسف إدريس

كان أرقّ العاشقين

صلاح عبد الصبور

التنين وحش الخيال الشعبى

فاروق خورشيد

الإعلام العربى فى معركة المصير

د. حافظ الجمالى

د . مظفر صلاح الدين شعبان
سمير صلاح الدين شعبان

# الإنسان أم السيارة؟



كثرت فى الآونة الأخيرة الكتب التى تعالج المشكلات الحالية والمشكلات المستقبلية للانسان المعاصر . وتشترك هذه الكتب فى أنها تخصص قسماً هاماً من صفحاتها لمعالجة مشكلتين رئيسيتين من مشكلات العصر الحديث « الطاقة والغذاء » .



اما عن الغذاء فالموضوع قديم أشار اليه مالتوس فى عام ١٧٩٨ وكروكس فى عام ١٨٩٦ حيث تنبا الأخير بحدوث مجاعة فى العالم . بحلول ١٩٣٠ .

ومع ان المجاعة لم تحدث كما توقعها كروكس ، إلا ان الأزمة بقيت حتى يومنا هذا كالسيف المسلط على الرقاب .

فى عام ١٩٧٣ . انفجرت ازمة الطاقة فى العالم عندما قامت الدول العربية النفطية . فى حرب تشرين ( اكتوبر ) التحريرية بحظر شحن النفط الى الولايات المتحدة والدول الغربية المساندة لاسرائيل . يومها ادرك العالم ان النفط وقود القرن العشرين سينضب إن عاجلا وإن اجلا ومع ان هناك مشاريع واتجاهات جديدة تهدف الى انتاج مصادر «بديلة» لطاقة النفط ، إلا ان النفط يبقى شيئا متميزا خصوصا بالنسبة لوسائل النقل : السيارات والشاحنات والطائرات

واهلنا سنواجه فى المستقبل القريب السؤال الحرج : ماذا لو ان بالامكان حل ازمة الطاقة (ولو بشكل جزئى ) على حساب القمح ؟

## الغذاء ... الغذاء

تزداد صرخات الانذار يوما بعد يوم وتعلو محذرة من خطورة مشكلة تغذية سكان الأرض الذين يزداد عددهم بشكل مضطرد . فهل يمكننا ان نضرب بهذه الصيحات عرض الحائط ؟

من الثابت ان ثلث سكان الأرض ــ على الأقل ــ يعانون من سوء التغذية ، وان عشرات الألوف ــ معظمهم من الاطفال ــ يموتون جوعا فى كل يوم تطلع فيه الشمس . بالرغم من ذلك يحذر كثير من «العلماء» من مغبة الانسياق وراء الأقوال بان كمية المواد الغذائية التى تنتجها كرتنا الأرضية غير كافية لسد رمق سكان الأرض الذين تعدادهم ٣٫٧ مليار إنسان ، والذى يتوقع ان يصل الى حوالي ٦٫٣ مليارا فى نهاية القرن الحالى (حسب تنبؤات الأمم المتحدة) ، ويحذرون من تبنى القرارات الارتجالية المتهورة الداعية الى انتاج كميات اكبر من المواد الغذائية والى تحديد النسل بشكل يمنع تزايد عدد سكان الأرض .

ويركز العلماء على ان قطاع الزراعة فى الدول المتقدمة صناعيا ينتج اكثر مما تستطيع هذه الدول استهلاكه فيها أو تصدره الى الخارج . ونسمع فى كثير من الأحيان عن عمليات اتلاف مقصودة لجبال من الزبد واللحوم ، وانهار من الحليب ، بالاضافة الى الاف الاطنان من الخضار والفاكهة ، لمنع اسعارها من الانخفاض والتدنى فى حضارة دافعها الأول والأخير هو «الربح» باية طريقة كانت . ورغم ان جميع محاولات تحديد كمية الأغذية التى تفسد فى الدول الصناعية سنويا قد باءت بالفشل ، لكن المؤكد ان كمية الاغذية الفاسدة لا تقل عن ملايين الأطنان سنويا ، خصوصا وانه كان بالامكان انقاذها من هذا المصير ، يقدر العلماء ان الغذاء الفائض عن حاجة الدول المتقدمة صناعيا كاف لسد حاجة العديد من البلدان وربما حاجة قارة باكملها . إلا ان الدول الجائعة غير قادرة على شراء فائض غذاء الدول الصناعية ، حتى انها غير قادرة على دفع نفقات «نقل» هذه الأغذية فيما لو قدمت مجانا .

وعليه فان الأصح ان يقال ان ازمة الغذاء هى عبارة عن ازمة « نقل » و «توزيع» ، لان حوالى ١٠ بالمائة من سكان الارض يملكون ٩٠ بالمائة من مواردها الغذائية ، على ان الاغذية متوفرة كافية فيما لو وزعت بشكل عادل على الجميع .

ولا يحتاج الأمر الى كبير عناء كى ندرك ان آراء العلماء تبقى حبيسة الكتب والنشرات والمؤتمرات ، بينما يحكم الواقع المعاش لسكان الأرض قوانين اخرى توجهها سياسات الدول المتقدمة التى تاسست حضارتها المادية على رفض المعايير الروحية والدينية والتى تسعى بالدرجة الأولى الى تحقيق مزيد من الربح ، كلما ازدادت ثراء ازدادت نهما وطمعا .

يؤيد هذا الاتجاه ما اعلنه رئيس منظمة الأغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة فى بداية نيسان ابريل الحالى (١٩٨٠) من خلال الأرقام التالية :

- يعانى ٤٥٠ مليون نسمة من سكان العالم ــ معظمهم من النساء والأطفال ــ من سوء واضح فى التغذية .
- يضاف الى هؤلاء حوالى ٨٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص البروتينات ذات المصدر الحيوانى من لحوم واسماك .
- ان عدد الجياع وسيئى التغذية يتزايد فى العالم بصورة مستمرة .
- ان عجز العالم الثالث وديونه بلغت ٣٥٠ مليون دولار ، لذا فهو غير قادر على شراء كامل حاجته من الحبوب التى قدرت فى عام ١٩٨٠ بحوالى ٨٠ مليون طنا ، يقدر ثمنها بحوالى ١٥ مليار دولار .
- ان المساعدات الدولية لا تسد إلا ثغرة صغيرة فى إمداد الجياع بالغذاء ، إذ لا يزيد مجموعها عن ١٠ ملايين طن من الحبوب .

منذ عقود كثيرة والعلماء ينبهون الى خطورة وضع « الأمن الغذائى » فى العالم ويطلقون الصرخات التى لا يسمع صداها معهم سوى الجياع . أما السياسيون فى الدول الصناعية ، فقد اصبح شغلهم الشاغل حل المشاكل التى تعانى منها بلادهم وفى مقدمتها ازمة الطاقة .

## أزمة الطاقة

ومما لا شك فيه ان عصرنا هو عصر الطاقة . فكل ما حولنا من شئون الحياة والعمران والصناعة والزراعة والاتصالات ووسائل الراحة والتسلية مرتبط بشكل او باخر بالطاقة ويعتمد عليها اعتمادا كليا . وقد اصبحت الطاقة منذ منتصف القرن الحالى مقياسا كليا للتقدم مثل الذهب ، واصبحت الأمم تقاس بما تستهلكه من الطاقة ــ ولاسيما النفط ــ الذى اطلق عليه بكل جدارة اسم «الذهب الأسود» .

وقد بينت احصائيات الأمم المتحدة للطاقة المستهلكة ان العلاقة بين معدل نصيب الفرد من الطاقة المستهلكة فى دولة من الدول ونصيبه من الدخل القومى جليه مطردة ، فحيث يكون المعدل الأول عاليا يكون المعدل الثانى عاليا ايضا والعكس صحيح .

والجدير بالذكر ان امم العالم لا تتساوى من الطاقة . فالولايات المتحدة الامريكية هى اكبر مستهلك للطاقة فى العالم ، إذ يبلغ استهلاكها السنوى حوالى ٢ (١٠)١٣ كيلووات ساعة ( اى ٢ وامامها ١٣ صفرا ) ، وهى تستهلك ثلث ما ينتجه العالم باسره من الطاقة ، مع ان عدد سكانها لا يتجاوز ٦٪ من عدد سكان العالم . وفى الطرف المقابل نجد الهند التى يبلغ عدد سكانها ١٥٪ من سكان العالم لا يستهلكون سوى ١٫٥٪ من الطاقة المستهلكة فى العالم . هذا مع العلم ان استهلاك الفرد الامريكى يزيد عن ضعفى ما يستهلكه الفرد من الطاقة فى دول غرب اوربا الصناعية ويزيد عن ٣٠ ضعف ما يقابله فى الدول النامية .

لقد تنوعت مصادر الطاقة التى يستخدمها الانسان المعاصر ، غير ان اعتماده على النفط يفوق اعتماده على غيره من مصادر الطاقة ، وقد ركزت الدول المتقدمة جل اعتمادها على النفط باعتباره افضل مصادر الطاقة لتلبية متطلبات الصناعة والنقل والاستعمالات المنزلية ، وذلك بسبب سهولة استخراجه ونقله وتخزينه واستخدامه وانخفاض ثمنه .

ونظرا لمزايا النفط العديدة فقد تراجعت مصادر الطاقة الاخرى لتفسح له الطريق كى يتبوأ عرش الطاقة بلا منازع خصوصا فى استعمالاته على شكل قوة محركة لوسائل النقل . ولا يوجد حاليا بديل للنفط لتسيير معظم وسائل النقل هذه .

فى أواخر ١٩٧٣ افاق العالم الصناعى على الحظر العربى لتصدير النفط . يومها ادرك ان النفط سينضب إن عاجلا او آجلا . فمضى يعيد حساباته فاكتشف انه كان يغط فى سبات عميق وانه لابد من وضع اسس جديدة وخطوط مبتكرة لتدارك الأمر . فى ذلك اليوم سمع الملا بوجود «ازمة طاقة» تهدد الحضارة المعاصرة .

ولسنا هنا فى معرض الدخول بتفاصيل ازمة الطاقة واسبابها وافاقها المستقبلية ، ولكن باختصار نقول ان مشكلتنا مع الطاقة فى المستقبل ذات شقين . ويتمثل شقها الأول بالشعار المطروح حاليا فى كثير من بلدان العالم ، وهو التوفير قدر الامكان فى استهلاك الطاقة ، وبالدرجة الأولى تخفيض الطلب على النفط ، يضاف الى ذلك ضرورة المحافظة على البيئة من التلوث .

ثانيا ان المشكلة على المدى البعيد تشمل تطوير منابع جديدة للطاقة . ففى وقت ما فى

# الخيار الصعب
# الإنسان أم السيارة؟





المستقبل سنكون قد استنفدنا منابع الفحم الحجرى ، والنفط والغاز الطبيعى الموجودة فى العالم الى حد لايمكننا بعده الاعتماد على اشكال الوقود هذه كمصادر رئيسية للطاقة . فاذا حسبنا الاحتياطى المؤكد والمحتمل للنفط ، وحسبنا مبلغ ما يستخرج ويستهلك منه سنويا وما سيزداده هذا الاستهلاك مستقبلا حسب معدلات الزيادة المرتقبة ، فاننا نجد ان كل هذا النفط لن يبقى لاكثر من مائة سنة على ابعد تقدير ، خصوصا وان النفط كمادة خام اثمن بكثير من ان يحرق كوقود لانتاج الطاقة فقط ، ذلك ان النفط ومشتقاته مواد خام لاكثر من الف مادة صناعية ودوائية هامة .

لقد تعددت الدراسات حول مستقبل الطاقة فى الاونة الاخيرة وتنوعت إلا ان النتيجة التى لاجدال فيها هى ان الآمال مازالت معلقة على النفط وحده بمصادره وكمياته الاحتياطية المؤكدة والمحتملة وعلى مرونته التى لا تقلد ولا تنافس ومن المؤكد ان يبقى على عرش الطاقة حتى نهاية القرن الحالى . وتتركز المساعى والبحوث الآن على ايجاد السبل الكفيلة بتقليل استهلاك العالم من النفط . ومن هذا المنطلق تم التوصل الى زراعة الطاقة .

## زراعة الطاقة

تعتبر الشمس مصدر الطاقات الارضية قاطبة (عدا الطاقة النووية) فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار ، وتسوقها الرياح — بفعل الحرارة الشمسية ايضا — لتتساقط على شكل ثلوج وامطار فوق الجبال والسهول ، فتتجمع لتجرى انهارا يستفيد الانسان من طاقتها بواسطة السدود . كذلك فان الامطار تحيى الزرع والنباتات التى تزود الانسان والحيوان بطاقتها الحرارية وطاقتها الغذائية .

من ناحية اخرى ، فقد ظلت النباتات على سطح الارض تتلقى اشعة الشمس طوال ملايين السنين . ونتيجة للتسخين البطيء والضغط والتقادم تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعى . اى انها تحولت الى الوقود المحترق بجميع اشكاله ، والذى يُمثل اكثر من ٩٥٪ من الطاقة التى يستهلكها الانسان المتمدين والخلاصة ، انه إذا امعنا النظر نجد انه لولا الشمس وما تمد به الأرض من طاقة تتحول حسب قوانين خارقة ومختلفة لاستحالت الحياة على وجـــه البسيطة .

فى عملية التمثيل الضوئى "اليخضورى" تقوم اشعة الشمس بتقديم الطاقة اللازمة لتحويل عنصر الكربون (الفحم) الموجود فى الجو بشكل غاز ثانى اوكسيد الكربون ، وهو ينتج من عمليات الإحتراق وتنفس الأحياء ، الى منتوجات عضوية وسكرية تستخدمها الحيوانات كطعام . وهذه العملية هى التفاعل الاساسى الذى يتم بموجبه توازن البيئة . واستنادا الى هذا التفاعل قام الاشعاع الشمسى بانتاج المواد القابلة للاحتراق .

إن الفعل السحرى الذى تحـرض به اشعة الشمس نحو النباتات التى ندعوها التمثيل الضوئى ( اليخضورى ) فى جميع الكائنات الحية الدنيا من بكتريا وطحالب ونباتات ، عندما تتبادل اشعة الشمس التاثير مع كل من اليخضور (الكلوروفيل) ، والماء وثانى اوكسيد الكربون لانتاج ما يقارب ٦٠ مليار طن سنويا من المواد العضوية التى تشكل النباتات بمختلف انواعها . وتمتص هذه العملية سنويا ٩٠ مليار طن من ثانى اوكسيد الكربون الناتج عن حرق جميع انواع الوقود وعن تنفس جميع الكائنات الحية ، مما يساعد على حفظ نسبة ثانى اوكسيد الكربون ثابتة فى الغلاف الجوى الأرضى عند ثلاث اجزاء بالألف .

ولكن هل بمقدورنا التدخل فى عملية التمثيل الضوئى ، والاستفادة من التفاعلات الكيميائية التى يحرضها ضوء الشمس للحصول على طاقة كيميائية كامنة بزراعة مزيد من النباتات لاستخدامها كوقود فى المستقبل ، وذلك بالاستفادة بشكل اكبر من الطاقة الشمسية التى تضيع هباء على اية حال ؟

ونضيف ان هذه النباتات تشمل الاشجار ، والاعشاب ، والنباتات المائية الاخرى ، والطحالب التى تتكاثر بسرعة مذهلة . ولكن هذه النباتات لا تشكل حلا لأزمة الطاقة لأن «محتواها الحرارى» صغير ، اى ان كمية الحرارة التى تنشرها عند حرقها صغيرة جدا إذا ما قورنت بالحرارة الناتجة عن اشكال الوقود الاخرى المركزة كالنفط والغاز . والسؤال هو : الا يمكن تقليد العمليات التى جرت على النباتات فى الماضى السحيق ، وادت الى الحصول على الوقود المحترق ( نفط — فحم — غاز ) المستعمل الآن ، والذى يتميز بمحتواه الحرارى العالى ؟

إن المبدأ العام هو تحويل النبات الذى يعتبر وقوداً سيئا الى اشكال ثمينه من الوقود تعطى عند حرقها كميات كبيرة من الحرارة . وقد نجحت بعض التجارب المخبرية فى تحويل بعض النبـات ذو المحاصيل الزراعية ( كالحبوب وقصب السكر) الى وقود سائل مثل «الكحول» ذى المستوى الحرارى العالى — والغاز الطبيعى والغاز الميثيلي .

ويرى العلماء المهتمون بمستقبل الانسانية إنه من المستحيل اللجوء الى زراعة النباتات لاستخدامها كمصادر للطاقة فى عالم يزداد فيه عدد الجياع وسيئى التغذية يوما بعد يوم .

بعد رفع اسعار النفط فى بداية ١٩٧٤ ثارت ثائرة السياسيين فى الدول المصنعة ووضعوا استراتيجيات مختلفة تتفق جميعها على شعار «ابتعد عن النفط» . وحثت الخطى الهادفة الى استئناس مصادر الطاقة البديلة للنفط كالطاقة الشمسية ، طاقة الرياح وطاقة الاندماج النووى . وعندما ايقنت هذه الدول ان تطوير التكنولوجيا الضرورية للاستفادة من هذه المصادر يستغرق السنوات الطوال وربما لا يعطى ثمارها إلا فى القرن الحادى والعشرين ، بالاضافة الى ان مثل هذه المشاريع محتاج الى بذل مليارات الدولارات خلال سنوات معدودة ، لذا فقد عمدت الى التوسع فى الاعتماد على الفحم الحجرى الذى تمتلك كميات هائلة منه ، والى زيادة محطات التوليد التى تعمل بالطاقة النووية .

لكن هذه المخططات اصيبت بصدمة اليمة عندما تبينت هذه الدول ان هذه المصادر البديلة لن تفلح فى إزاحة النفط عن عرش الطاقة الذى

يتربع عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وخصوصاً لابديل للنفط فى وسائل النقل ، مع العلم أن الفرد فى الدول الصناعية اضحى مرتبطاً بالبنزين (الغازولين) ، لا يستطيع الاستغناء عن سيارته التى لايمكن تدوير محركها بالطاقة النووية أو الفحم .

## غازوهول : الوقود الجديد

وهنا كثفت الدول الصناعية ـ وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ـ جهدها لانتاج مواد بديلة ، تحل محل المشتقات البترولية وتسمح باستعمالها فى وسائط النقل الحالية دون الاضطرار الى اجراء تعديلات فى تصميم محركاتها .

وقد وجد الباحثون أن هذه الدول ضالتهم المنشودة فى مزيج مؤلف من «الكحول» العادى (الكحول الايثيلى) و «البنزين» (الغازولين) ، اطلقوا عليه اسم «غازوهول» . والكلمة مشتقة من جمع القسم الاول من كلمة (غازولين) والقسم الاخير من كلمة كحول يتكون الغازوهول من ٩٠٪ من البنزين و ١٠٪ من الكحول على الاقل . ويمكن استخدامه فى السيارات الحالية دون الاضطرار الى اجراء اى تعديل يذكر فيها . وقد دلت بعض الدراسات انه يمكن رفع نسبة الكحول فى الغازوهول حتى ٢٥٪ واستخدامه فى السيارات الحالية .

وحيث أن تكنولوجيا تحويل المزروعات الى كحول معروفة منذ مدة طويلة ، ونظراً لأن استخدام الغازوهول يوفر ١٠٪ ـ على الاقل ـ من استهلاك البنزين فى هذه الدول ، فقد تركزت الجهود على اكتشاف افضل النباتات التى تعطى اكبر كمية من الكحول . وقد تم التوصل الى افضل النتائج التكنولوجية باستخدام قصب السكر والذرة .

يقول ليستر براون مدير المعهد « إن التحول الى استخلاص الكحول من المحاصيل الزراعية كمصدر من مصادر وقود السيارات سيفسح المجال لعدد متزايد من المزارعين للاختيار بين انتاج الطعام للبشر او الوقود للسيارات . وليس من المستغرب أن يميل المزارعون الى اختيار المحصول الذى يدر عليهم ربحاً أوفر . لقد بلغ الأمر مرحلة التنافس الصريح والمباشر ـ على المحاصيل الزراعية ـ بين قلة من البشر الذين يمتلكون السيارات وبين الغالبية من افقر فئات الانسانية ، التى يتطلب تزويدها بالقدر الكافى من الطعام ـ لاستمرار حياتها ـ جهوداً مضنية »

اعلنت كل من الولايات المتحدة الامريكية الغنية والبرازيل «النامية» عن برامج ضخمة لتحويل المحاصيل الزراعية الى كحول . كما أن بعض الدول الاخرى المصدرة للغذاء مثل استراليا ، ونيوزيلندا وجنوب افريقيا تدرس امكانية القيام «بزراعة الوقود» .

يؤكد براون أن تكلفة الكحول المنتج تتاثر بعدة عوامل منها : نوع النبات المستخدم ، واثار البيئة والطقس ، وحجم المشروع ... الخ لكن المادة الاولية لا تشكل اكثر من نصف سعر الكحول . كما يشير براون ان استمرار ارتفاع اسعار البنزين سيرفع بدوره سعر مزيج البنزين والكحول (الغازوهول) ، مما سيسمح للمنتجين باستخدام مزروعات اغلى لانتاجه . وبهذه الطريقة « سيتحكم سعر النفط بسعر الغذاء »

ويوضح براون الصورة القاتمة لمستقبل هذا التنافس على الاراضى الزراعية فى العالم . فقد بوشر بمشروع البرازيل لانتاج وقود الكحول فى ١٩٧٥ بالاعتماد على قصب السكر ، وهو اكبر انواع المحاصيل الزراعية كفاءة فى انتاج الكحول ، إذ يعطى الطن الواحد من قصب السكر كمية تزيد عن تلك التى يولدها طن واحد من الذرة ـ التى تفضلها الولايات المتحدة بنسبة ٦٥٪ . ويقول براون « إن الحكومة البرازيلية تنوى فى عام ١٩٨٥ انتاج ٧ر١٠ مليون لترا من الكحول تتطلب زراعة حوالى ٣ مليون هكتار بقصب السكر ، وهذه المساحة تعادل ١٠ بالمائة من مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى البرازيل » .

ويقترح براون على الحكومة البرازيلية اللجوء ـ فى انتاج الكحول ـ الى محاصيل اخرى يمكن زراعتها فى الأراضى غير الخصبة .

لكن الهزة الكبرى فى كميات الغذاء المتوفرة فى السوق العالمية ستسببها الولايات المتحدة . فقد اعلن الرئيس الامريكى جيمى كارتر فى كانون الثانى (يناير) من العام الحالى (١٩٨٠) ان الولايات المتحدة تخطط لانتاج ٢٢٧٥ مليون لتر من وقود الكحول فى عام ١٩٨١ . وان هذا الانتاج سيرتفع فى اواسط الثمانينات الى ٩١٠ الف مليون لتر سنويا . ويؤكد براون ان الهدف الموضوع لانتاج ٢٢٧٥ مليون لتر من الكحول سيتطلب استخدام محصول حوالى مليون هكتار من الأراضى الزراعية او ٥ ملايين طن من الذرة ، وهذه تساوى حوالى ٥٪ من كمية الذرة المتوقع تصديرها فى عام ١٩٨٠ ، وستبلغ الكمية فى اواسط الثمانينات ٢٠ مليون طن من الذرة المخصصة للتصدير .

وحيث أن الولايات المتحدة هى اكبر الدول المصدرة للحبوب فى العالم ، فان تصغير صادراتها منها بنسبة ٢٠ ٪ يعنى تقليل المعروض فى اسواق الحبوب فى العالم بشكل ملموس ، مما سيزيد من عدد الجياع فى العالم وإجبار مستوردى الحبوب على دفع ثمن أعلى لاشباع بطونهم .

باختصار ان ملايين الجائعين فى العالم تنافس بشكل واضح على هذه الاراضى المخصصة لزراعة الطاقة . ويقول براون «الارض المستخدمة للزراعة لم تتوسع منذ عام ١٩٥٠ إلا بنسبة ١ الى ٥ من تزايد عدد سكان العالم » فهل يحتمل الوضع العالمى ـ رغم ذلك انتزاع جزء من الأراضى الزراعية المستثمرة لاستخدامها فى انتاج الطاقة ؟



## العالم الثالث وزراعة الطاقة

ستترك زراعة الطاقة اثاراً مفجعة على الوطن العربى والاسلامى وعلى العالم الثالث بشكل عام . فعندما تمتص زراعة الطاقة ٢٠٪ من فائض الحبوب الامريكية المخصصة للتصدير فى اواسط الثمانينات ، ستضطر جميع الدول العربية ـ ماعدا المغرب ـ حسب التقديرات الحالية الى استيراد الحبوب من الخارج بنسب تتراوح بين ١٠٠٪ بالنسبة للكويت ونسبة ٣٤٪ بالنسبة لتونس والصومال ، ٩٠٪ بالنسبة للاردن و ٩٧٪ لكل من لبنان ودولة الامارات العربية المتحدة ، ٨٣٪ لليبيا ، ٧٠٪ للعربية السعودية ، ٦٣٪ لليمن الجنوبية ، ٦٠٪ لليمن الشمالية ، ٥٠٪ لكل من الجزائر وسوريا و ٣٥٪ لكل من مصر والسودان والعراق . وقد بلغ العجز العربى الحالى ٢٥ مليون طن من الحبوب سنويا ويقدر ان يرتفع فى عام ١٩٨٥ ليبلغ ٣٤ مليون طن سنويا .

ومن الجدير بالذكر ان دول العالم الثالث غير قادرة على تحمل العبء الكبير الذى ستسببه زيادة تكاليف مستوردات الحبوب على موازين التجارة والموضوعات لهذه الدول . وعند تحويل نسبة كبيرة من الحبوب المخصصة للتصدير الى انتاج وقود الكحول ، عندها سيزداد الخطر على «الأمن الغذائى» لهذه الدول ، وستزداد حاجتها للدول المصدرة للاغذية . وفى هذه الحالة قد تلجأ الدول المتقدمة صناعيا الى استغلال حاجة الدول النامية للغذاء كى تفرض سيطرتها عليها ، مستخدمة ضدها السلاح الاستراتيجى الجديد الذى لا يقاوم : الغذاء .

هل يعنى ذلك ان العالم الثالث بما فيه الوطن العربى والاسلامى مكره على تقبل هذه الوصاية على لقمة عيشه ؟ الجواب ببساطة (لا) والسبيل الى تخطى هذه العقبة التى وضحنا مخاطرها ودرستها مؤتمرات وجهات عربية كثيرة ، ومنها المؤتمر الاخير للاتحاد العام لغرف التجارة والزراعة والصناعة فى البلاد العربية ، الذى عقد فى البحرين بين ٥ و ٨ نيسان (ابريل) الماضى (١٩٨٠) ، والذى اعتبر موضوع الأمن الغذائى العربى واحداً من ابرز النقاط على جدول اعماله .

فى الحقيقة لاتعوزنا معرفة سبل النجاة ، ولكن الذى نحتاجه هو إرادة صادقة قوية تحول هذه الآراء والمقترحات ـ بعد تمحيصها ـ الى واقع عملى يتقيا مواطنونا فيه ظلال الأمان فى مختلف المجالات .

شهيات



د. يوسف إدريس

# أين كنا ولماذا أصبحنا؟

نحن قوم فعلا أحوالنا ، وبالذات الأدبية منها ، تميت من الضحك . منذ بضعة أيام جاءنى شاب ناقد يعمل معنا فى جريدة الأهرام ، وثقافته الأدبية على مستوى العالم والأدب العربى نفسه من النوع الذكى الممتاز ، وفوجئت بالناقد الشاب يقول لي إنه يعمل (موضوعاً) حول اللغة الأدبية وكيف يجب أن تكون : العامية أم الفصحى؟ ، وقبلها فى ندوة تليفزيونية وأحاديث أخرى حية وصحفية افاجأ – أو فى الحقيقة – لم اعد أفاجأ بنفس السؤال . حينذاك احس وكأن صاعقة انقضت وايقظتنى من حيث احيا وأعيش ( الثلث الأخير من القرن العشرين ) الى حيث لايزال الموقف فى أجزاء كثيرة من حركاتنا الأدبية العربية . بنفس الانصعاق الذى لابد ينصعقه أى عالم فيزياء حيث يأتى مندوبو المجلات العلمية المعاصرة المتخصصة يسألونه : هل صحيح أن الأرض تدور حول الشمس وأنها أيضا تدور حول محورها أم أنها هى المسطحة الثابتة التى تتحرك حولها الشمس من شرقها الى غربها وكذلك النجوم . بمعنى أخر القضايا الأدبية التى تدرس لطلبة الآداب عندنا وغيرهم من طلبة الجامعات ، والتى تطرح احياناً للنقاش العلنى على صفحات الجرائد والمجلات ، هذه القضايا انتهت من زمن طويل من مجال النقاش فى العالم كله وأصبحت اللغات تناقش لا من وجهة نظر كونها عربية أو فصحى ، استخدمها الأقدمون أم لم يستخدموها ولكن بمقدار ما خدمت اللغة ، كوسيلة ايصال عبقرية النص المكتوب سواء أكان المسرحى أو القصصى ، هل كانت عبئاً على ابطاله أم استطاعت اعطاء البعد الناقص من الوصف أو الحدث فى البطل وانطاقه بطريقة أحالته من نموذج متحفى ميت الى كائن حى نابض بالصدق الفنى وبالحياة . العالم ، ومنذ عدة قرون انتهى من حكايات قداسة اللغة اللاتينية وابتكر لنفسه حتى لغات أخرى تماماً كالفرنسية والانجليزية والايطالية إذا العالم كان قد وصل فى تطوره الى الحد الذى استلزم وجوده لغات مستقلة تعبر عن لهجات أهل ايطاليا ، ولغة أخرى مستقلة تعبر عن احتياجات جزر بعيدة كالجزر الفرنسية .

ورغم أنه فى بلادنا حدث العكس بحيث طوعت الشعوب العربية نفسها للغة العربية القرشية باعتبارها اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، ولكنها ، لأنها شعوب ، وحية بالضرورة ، طورت هذه العربية الواحدة وأكسبتها (بدلا من لغة فرنسية مستقلة أو ايطالية مستقلة) روحاً شامية مستقله وروحاً جزائرية مستقلة وروحاًمصرية مستقلة ، بل حتى فى مصر هناك العربية ذات الروح القاهرية وهناك العربية ذات الروح الصعيدية أو الدمياطية .. الخ ..

بمعنى أخر .. شعوبنا أبدا لم تجد مشقة أو لغزاً محيرا كلغز أبى الهول فى اسطورة طيبة وإنما اتبعت طريق التطور الطبيعى الذى يتبعه أى كائن حي . ما توقفت قريتنا ابدا لتسال نفسها – كما لا يزال هذا السؤال دائرا فى الحركة الأدبية منذ أكثر من خمس وسبعين عاماً – بأى لغة تنطق غدا ، وبأى لغة تتفاهم فيما بينها وفيما بينها وبقية القرى . لم تتوقف أبدا قريتنا لتتساءل لأنها ابدا لم تواجه أى مشكلة تعبير ، وكذلك أى فنان أصيل سواء كان كاتبا أو حتى موسيقيا لم يتوقف ابدا ليتساءل بأى الموسيقى أغنى ، هل بالموسيقى والمقامات التركية التى تبنتها الأمة العربية ، أم بالألحان والمقامات والدقات الفولكورية ؟!

لا ولا توقف فنانونا التشكيليون عند (نوع) اللون الذى يرسمون به لوحاتهم ، فمناقشة الحبل قبل شراء البقرة ومناقشة كيف وبأى لغة أكتب قبل أن اعرف ما هى حتى الكتابة أصلا وما الفرق بين التعبير الفنى والتعبير المجرد عن الفن . مناقشة مسائل كهذه لا يمكن ان تحدث إلا فى حالات الموات الأدبى و الفراغ الأدبى الذى يريد به كتاب الدولة فى كل عهودهم من ايام سيف المعز وذهبه الى يومنا هذا (تعقم) الكاتب أو الناقد عن أن يناقش قضايا الفن الحقيقية ويقيم الفنانين ليس على أساس فصحاهم وعاميتهم إنما على اساس ما قدموه لهذا الشعب من خدمة أو خيانة ، والشرط الأول لمحاسبتهم على ماطرقوه من مواضيع ، الحقيقة الشرط الأول والوحيد هو أن يكونوا فعلا متمتعين بكامل القدرة على مزاولة الكتابة ذلك العمل الذى يتطلب مواهب وقدرات ومقاييس خاصة من الصعب جدا توافرها فى أكثر من واحد على مائة ممن يملأون صفحات المجلات الأدبية والأركان الأدبية والمقالات والهبهبات والسخافات والتشريعات وكأن كلا منهم قد اعتلى المنبر يشرع لزملائه ومن يأتون بعده كيف تكون الكتابة وكيف تكون مواضيعها وماهى اللغة الواجب الكتابة بها وإلا اعتبر الكاتب خارجاً عن القاموس العام ، ملحدا والعياذ بالله ، أزرق أو بنفسجياً أو من أية ملة كان .

إنى أغفر لحركة الأدب العربى أن تنشأ على هيئة (سوق) عكاظ ، ذلك أنه شيء كان يحدث فى نفس الوقت الذى كان تعريف علم الكيمياء فيه هو : علم البحث عن الطريقة التى

تحيل الرصاص الى ذهب . كل حركة علمية أو فنية تنشأ على نزعة بشرية تملؤها الخزعبلات والأفكار المشوشة واللاعلم واللافن بالمرة . ولكن الشعوب لا تبقى على حال واحدة إنها تتطور ، وغيرها من المجتمعات تتطور ، وتتم ترجمة أرسطو الى العربية لينشأ لأول مرة سوق عكاظ (كشك) اسمه الفلسفة يبدأ يزدهر حتى لتبدأ اوربا نفسها بعد حين تستورد من هذا الكشك الذى اصبح فى حجم ( سيلفردج ) لندن ، وتترجمه وتدرس إبن رشد وابن الهيثم وابن سينا ، وجابر بن حيان .

تتلقف اوربا المسيحية إذن هذه العلوم الاسلامية العربية التى انتجها الاسلام فى أوج إزدهارها أيام الدولة العباسية ، وتمضى بها ، تغير بها منطوقاتها المسيحية ( التى كان معظمها من العصور القديمة ) وبا(لعلم) العربى الجديد تبدأ تفكر لتكون النتيجة أن يفجر جابر بن حيان قوانين الميكانيكا فى عقل نيوتن وابن رشد والحلاج بذور (كانت)بمعنى أن الحضارة الاسلامية تستمر بثوب مسيحى لتصل الى عصر النهضة ، بينما العرب والمسلمون انفسهم قد ارتدوا ـ كما هو حادث الآن ـ الى الماضى الغابر كاليهودى الذى افلس يفتش له عن فلسفة وعلم يزيدانه غربة عن الحاضر ..

ولولا أننا فى العلم استدركنا انفسنا بعد احتكاكنا المباشر بالنهضة والثورة الفرنسية وبدأنا نعى باهمية أن تعود لنا بضاعتنا هذه المرة وقد اصبحت الكيمياء ليست علم المحاولات الساذجة لتحويل الرصاص الى ذهب ولكن علم دراسة خواص المواد كيميائيا تمهيدا لاستعمال هذه الخواص فى ايجاد علاقات وتفاعلات جديدة تنتج لنا فى النهاية عامود العصر .. الألمونيوم والكارميوم ... وخليط الايثلين والميثان .. ومفجر الذ.ن.ت و الد.د.ت ، وكل هذه الأدوية والكيماويات .

وكذلك أدى علم جابر بن حيان وحسن البصرى الى اكتشاف خواص الصوت والضوء ونشوء علم الطبيعة وارتقائه الى أن وصل الفلك والذرة والرياضيات العليا والقنابل النووية والكومبيوترات .. الخ .. فى العلم اعترفنا لهم بالقيادة وبدأنا فعلا نتعلم ، بل وننتج .

وفى الأدب ايضاً كشفت لنا حركة الترجمة عن اشكال فنية لم نكن نعرفها مثل القصة المكتوبة والرواية المسجلة على أوراق والمسرح الموضوع له النص مسبقاً .. الى إليوت والقصيدة الشعرية الحديثة .

والنقد وقد تولاه مندور وطه حسين الى حد ما ، العقاد والمازنى اقتربا كثيرا من تقييمنا أو الأسس التى علينا أن نقنن بها فنية الفن .

ولكن هذه لم تكن كل القصة ، ولكن نصف القصة فقط .

فباعتبار أن اللغة العربية كان الأزهر الشريف يتولاها ويرعاها ويحدد لها ألفية بن مالك ويصعبها الى درجة تستحيل فيه لغة من حق أى انسان أن يعرفها وقواعدها التى بالضرورة لابد أن تكون بسيطة وسهلة على انفسنا وعلى غيرنا ممن يودون دراستها . نشأ الأزهر على فكرة ربط الواقع والمستقبل بالتراث . بحيث أوقف مجال الخلق والابتكار وبالكلمة المستعملة وإنما (قفل باب الاجتهاد) .

وهكذا حدث لنا انفصام الشخصية الأدبية الرهيب .

بينما أقلية تعيش العصر وقرات التراث وترنو الى المستقبل وعلى هذا الأساس تنتج .

الأغلبية كان عملها الأوحد (فرملة) هذا الاتجاه ، خوفاً وتخوفاً مما قد يقودوننا إليه والذى باعتبار أن القدامى لم ينصوا عليه فلا يمكن أن نتصرف حياله وهو بالتاكيد عمل من صنع الشيطان سواء أكان فى مجال الأزياء أم التفكير أم حتى اللغة .

ولكن السؤال هو : الى متى يستمر هذا الوضع ؟

لا أعتقد أنه سيستمر طويلا ، فاذا استمرت الحناجر الغوغائية بهذا الارتفاع ، وإذا استمر هذا الارهاب الفكرى المرعب ، فحتما سوف يتوقف بنا القطار أو سنقيم به بعض الوقت ، ثم لأننا لابد أن نتحرك ، نهجره ونعود نركب الحمير والجمال ونكف عن طبع دواوين الشعر ونعتمد على الرواة ويصبح أشهر اغراض الشعر العربى هو مدح ذلك وبلاغته ونصائحه ومبالغته فى وصف كرمه

لا أعرف لماذا اتمثل دائماً بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد استيقظ على مشهد كمشهد امتنا العربية فى واقعنا (العظيم) الراهن .

اقسم أنه كان لن يناقش رضوان الله عليه مشكلة العربية والنص ابدا ، ولا مشكلة اى الأزياء نرتدى وأى الطعام نأكل ، ولكن كان سيقف فوق اعلى ربوة من ربى أمة محمد ويرنو الى العالم من حولنا فيجد المشهد مخيفاً ، ويجد الجميع اقوياء ، بل والمضحك أن معظم قوتهم من مرضنا ، سيجد الفارق العلمى والانتاجى والابداعى الهائل بيننا وبينهم . وحينذاك سيهب نفسه لتجنيد أمة العرب ، لا فى جيوش تفتح مصر وبلاد الروم والشمال الأفريقى ، ولكن سيجندها جنوداً تزحف على تلك الحضارة فيعتصرها ـ كما فعلت اليابان ـ الى النخاع ، ويهضمها ، وبقوة ما فى الاسلام من عدل ، وما نفتقده معظم نظم الارض برفع راية العدل على سطح هذه الأرض ، وإنى لمتاكد أنهم جميعاً اليه متجهون . (مسلمين) وغير مسلمين

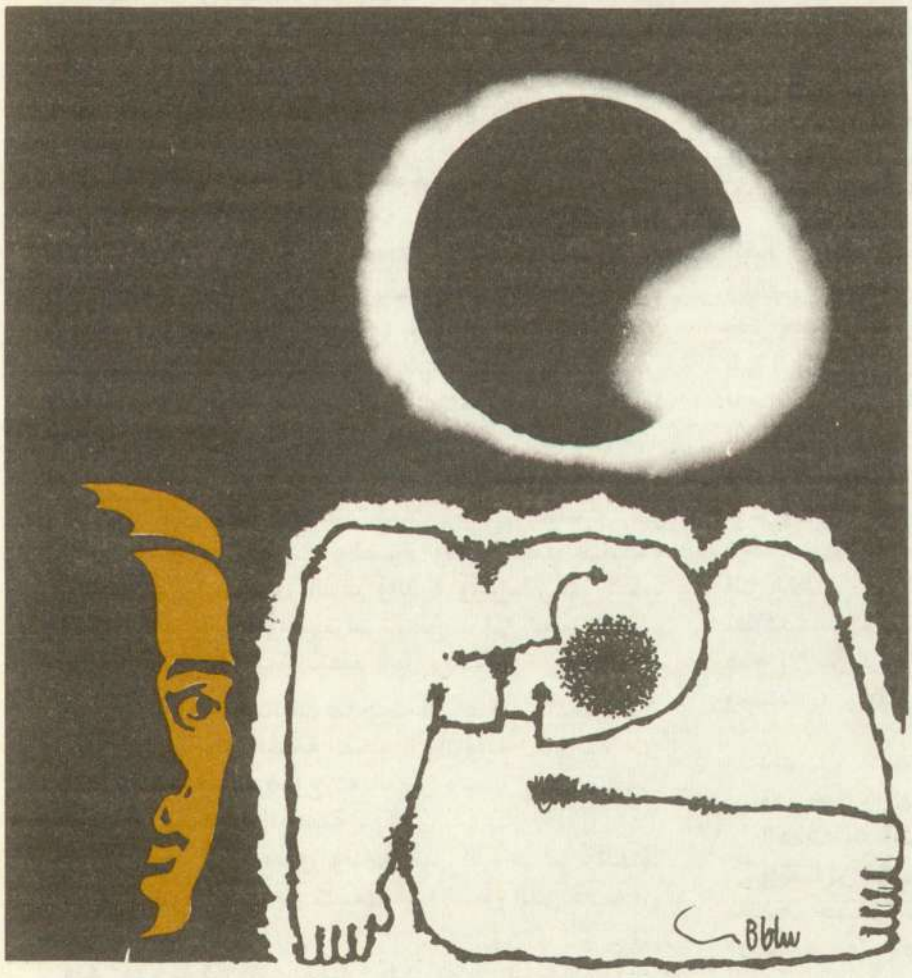
ذلك أن اعظم ما بشر به عمر كان هو العدالة .
وهو سلاح الاسلام الذى منذ ان طوى مات الاسلام .
العدالة مع انفسنا ومع غيرنا .
ولكننا لن نجيد القتال بهذا السلاح ، بل فى الحقيقة لن نكتشف حقيقته الحقة إلا إذا استوعبنا كل ما على ظهر الأرض من علم وفكر .

ولكن هذه قضية من المحال أن تناقشها الاروقة التى وهبت نفسها لدراسة هل تدخل بيت الراحة بقدمك اليمنى أم اليسرى وهو حديث سمعته فى تلفزيوننا المفضال اسمه ( حديث الروح ) وكان عنوانه قضاء الحاجة ، وحسبت أن الموضوع هو الحكمة والسعادة التى يحظى بها الانسان فى قضاء حاجات المسلمين ، فاذا بها الحديث الروحى هو عبارة عن (تقنية) لكيف ـ لا مؤاخذه ـ وماذا بالضبط تفعل لدى قضاء الحاجة فى بيت الراحة .

د. يوسف إدريس

د. عماد الدين خليل

# تكافؤ الأدلة عملة.. ذات وجهين



في حياتنا تبدو الكثير من المواقف والحلول والتجارب والممارسات ومحاولات التخطيط ، بل الأفكار والنظريات والقوانين ، والتشريعات كذلك ، وهى تحمل فى ثناياها السلب والايجاب .. الخطأ والصواب .. وأن بمقدور أى إنسان يملك قدرا من الذكاء أن يعمل عقله فيها لكي يرى وجهها المصيب حيناً ، فيقول انها لا تخرج عن نطاق الحقيقة ، ووجهها المخطىء حيناً آخر لكى يحلم بانها تدور فى نطاق الباطل .. فيتقبلها فى الحالة الأولى ويرفضها فى الثانية ، فيما يسميه بعض الفلاسفة بمبدأ ( تكافؤ الأدلة ) .. أى تعادل أدلة السلب والايجاب، أو تقابلها فى أى من المواقف أو الأفكار التى تطرحها الحياة البشرية والعقل الانسانى ..

وإنه ـ حقاً ـ لأمر محير دفع عددا من المفكرين والفلاسفة الى نوع من التشاؤمية وصلت ببعضهم الى نقطة مظلمة قربتهم من العبثية والعدمية والاحساس الباهظ باللاجدوى .. مادام انه لا حقيقة مطلقة هناك ، ومادام أنه مامن موقف يمكن إثبات بطلانه المطلق كذلك ..

ونحن فى حياتنا اليومية ومناقشاتنا ، نستطيع أن نضع أيدينا على بعض ملامح هذه الثنائية المقلقة فى الحكم على المواقف والأفكار والأشياء .. فبدون دافع واضح ، مبرر ومنطقى ، نندفع لطرح والتزام مجموعة من التبريرات التى تظهر موقفاً ما بمظهر الحقيقة المقنعة ، ، ويندفع آخرون ، إزاء الموقف نفسه ، وبالصيغة نفسها ، لكى يطرحوا نقائضهم ويصلوا بالموقف الى حافة الباطل ..

وقد تنقلب اللعبة ، لغير ماسبب واضح كذلك ، فنطرح أدلة البطلان . بينما يجهد الآخرون أنفسهم لطرح أدلة الاثبات ! ! .

وأحياناً ، يخيل الى كل واحدمنا فى أوقات الغفلة والنسيان والانغمار اليومى ، أو لحظات نرجسية والاعجاب بالذات ، إلى أن سلوكه يمثل تطابقاً هندسياً باهرا مع المنطق والمعقول .. إلا أنه سرعان ما يتبين له أن الأمر ليس كذلك ، فان تفكيرا يسيرا فى طبيعة السلوك يدله على أن بامكانه ، من خلال الموقف الواحد أن يختار إتجاهاً آخر أو اتجاهين ، وربما ثلاث اتجاهات .. يمكن

● تلك هي مأساة المعطيات الوضعية باعتبارها نتاج عقل قد يخطئ وقد يصيب
● لأن الموقف الديني صادر عن الله العليم .. فهو يحمل الصواب المطلق
● البُعد الحقيقي للموقف .. هو بُعد إيجابي في كل الأحوال .. أمراً ونهياً

بالتعود على أي منها والاستمرار عليه ، أن يبدو منطقياً .. معتدلاً !!

عملة واحدة ذات وجهين ، نلعب بها أحياناً برميها في الهواء ، فتغدو فريقين يقول احدهما انها ستستقر على وجهها (المصور) ويقول ثانيهما انها ستستقر على وجهها (المكتوب) .. وتكون للصدفة وحدها الحكم الأخير في (الحالة) التي ستكون عليها العملة بعد استقرارها على الأرض ..

نفس اللعبة تمارس احياناً كثيرة إزاء الأفكار والمواقف .. وبدون ما سبب واضح ينتهي الانسان الى هذه الفكرة أو تلك ، ويعلن قبوله لهذا الموقف أو ذاك ثم ما يلبث أن ينقلب عليهما ويتجه للطرف النقيض الآخر ..

تلك هي ماساة المعطيات الوضعية بما إنها نتاج عقل أو وجدان بشري قد يخطيء وقد يصيب .. قد يعانق الحقيقة وقد ينفصل عنها ،.. إن التناقض يكمن احياناً في الانسان نفسه وليس في العالم الخارجي فقط كما تريد أن تصور لنا النظرية الديالكتيكية .. والتوحد الذي يحدث بين النقائض حيناً بعد حين ليس سوى بسبب من الجهد البشري نفسه ..

والحل يكمن في خطوة واحدة .. ولكنها خطوة خطيرة .. واسعة .. بعيدة الحدود .. إنها تجاوز التشبث بالاحكام والمعطيات البشرية لأنها ليست نهائية بحال من الأحوال ، ولأنها تعاني في كثير من الأحيان من ماساة (تكافؤ الأدلة) .. تجاوزه الى الالتزام بمصدر للمعرفة .. بالدين الموحى به من الله سبحانه ..

إن الله سبحانه ، هو أدرى بخلقه ، يعلم نسبية القدرة البشرية على المعرفة ، وامكاناتها في الوصول الى الحقيقة ومن ثم يعينها بمنحها قدراً من (الضوابط) والمعارف الشاملة ، والمطلقات ، والمؤشرات النهائية ، لكي تتحرك على هديها عبر صيرورة زمنها الجاري وحياتها المتمخضة .. هناك حيث لا ثنائيات ولا تناقضات ولا وجهان للعملة الواحدة ، ولا التزام اعتباطي بهذا الجانب من الموقف أو ذاك .. ولا تحويل للممارسات البشرية الى لعبة عشوائية تقوم فيها الصدفة ـ أحياناً ـ بدور البطولة ..

إن الموقف الديني ، بما أنه صادر عن الله العليم ، يحمل الصواب المطلق (نعم) حيث يجب أن تكون .. و(لا) حيث يجب أن تكون .. ليس ثمة (لا) و (نعم) معاً في الموقف الديني .. وما يبدو في هذا الموقف أحياناً من ضغوط تبدو موجهة ضد الانسان في الظاهر .. من ممارسات قد تكشف عن بعد سلبي خادع يتضح في المدى البعيد أنها قيمة إيجابية ضرورية في التكوين النهائي لصورة الخارطة الشاملة للموقف كله ..

وكثيراً ما ينبهنا القرآن الى ذلك .. الى الا نتسرع في الحكم على المواقف والأشياء لمجرد أن نرى فيها بعض الفجوات التي قد تكون اشبه بالمسالك التي لابد منها لخروج الهواء الفاسد من أجل التحقق بالصحة والعافية .. ودعانا الى أن نمد رؤيتنا الى أبعد المواقع والآفاق .. أن ننتظر إذا اقتضى الأمر .. لكي يتبين لنا البعد الحقيقي للموقف ، وهو بعد ايجابي في كل الأحوال ، أمراً ونهياً

( لكي لا تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم ) .

(لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا نفرحوا بما اتاكم )

( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ( فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ) .

ومهما يكن من امر فان الانسان سيظل في حاجة الى هذا المصدر الديني الفوقي الذي يتميز بالشمولية والامتداد .. وإلا طحنته الثنائيات ، وضيعته تناقضات الموقف الواحد .. فمنذ اللحظة الأولى التي علم الله سبحانه آدم الأسماء كلها ، وهبط به الى الأرض .. القى في روعه وابنائه من بعده ، أن عليهم أن ينتظروا تعاليم السماء ، لأن ما تعلمه آدم في البدء ليس نهائياً ، ولابد من (دين) يقوده وأبناءه من بعده على الطريق المستقيم ( .. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما ياتيكم مني هدى فمن يتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) .

وليس ثمة حل وسط ..

إما الصراط المستقيم الواحد وإما التشتت والتبعثر والضياع عبر ألف طريق وطريق ..

وليس ثمة أكثر دلالة ووضوحاً من كلمات الله ( وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) .

صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

# فكأنها وكأنهم أحلام

محمد فريد أبو حديد



حين خرجت مجبور الخاطر من عيادة الدكتور ابراهيم ناجى بشبرا ، وبعد أن امتعنى بسياحته الودود بين شعره ومترجماته من شكسبير وبودلير طرت الى اصدقائى من زملاء الجامعة أنبئهم أنى سعدت بلقاء شاعر كبير ومودته . وأنه قد تكرم علي فدعانى أن أزوره كلما تيسر لي الوقت ، وانه استمع الى إحدى قصائدى فأحبها ، ثم رويت لهم كالمأخوذ بعضا من تعليقاته العابرة ونكاته التى لم اسمع لها حتى الآن مثيلا فى رقتها وسماحتها رغم ما فيها من لذع وسخرية .

كان الاصدقاء فى ذلك الزمان البعيد قلة بقيت صداقتها مع الزمن ، تكبر ولا تشيخ ، وكنا فى الجامعة نتحلق حول شيخنا واستاذنا المرحوم أمين الخولى ، حتى إذا انفضت دروسنا نتجمع فى إحدى مقاهى حي عابدين ، لأن أحد اصدقائنا كان يحب زميلة لنا تسكن أمام المقهى . وهاهو ذا الزمان قد مر ، واصبح اصغر ابناء الصديق والزميلة على وشك ان يتخرج من الجامعة .

كانت جلستنا موزعة بين قراءة كل منا لأصحابه ما افاض الله عليه به من القول شعرا أو قصة أو نقدا ، وبين لعب النرد ، ثم طلب الطعام من عربة يد كانت تقف إزاء المقهى ، وتقدم للطاعمين صنفا من الطعام لاادرى له اسما هو مزيج من الخضر والبصل ورائحة اللحم . حتى إذا اغلق المقهى ابوابه تحولنا الى حي الحسين ، فجلسنا فى مقهاه القديم ، مقهى الفيشاوى ، وكان صاحبه الحاج فهمى مازال حيا ، يتصدر واجهة المقهى بوجهه الأبيض الفاتر وجسمه السمين ، وكان المقهى كأنه معرض شامل فيه من المرايا القديمة المكسورة ، والاثاث البالي الرث ، والوجوه التى كأنها تنبعث من كاريكاتير الرسام دومييه ، فاذا أهل رمضان زارته بعض النسوة اللائى بعثن من لوحات تولوز لوتريك ، ثم هناك على الحوائط بعض الحيوانات المحنطة والأعمدة الخشبية التى تذكرك بالعبث الفنى العظيم الذى يصنعه سلفادور دالى .

ولا تسألنى متى كنا نستذكر دروسنا ، وقد كنا طلاب علم ، إذ أننا كنا قد طلبنا من العلم الفرع الذى نحبه ، فكنا ندرس اللغة أو الفلسفة ، وهنا تهون الأمور فيما عدا دراسة اللغات المساعدة . وقد كانت عادتى أن ألم بالمنهج فى بضع ليال قبل الامتحان ، ولكن هب ذلك كان جائزا فى درس الأدب العباسى أو الأموى ، فقد كان ذلك عسيرا كل العسر فى درس اللاتينية أو الفارسية أو التركية ، وهى اللغات المساعدة ، وأذكر عندئذ أن اختبار اللغة الفارسية فى السنة الأخيرة كان تحريريا وشفويا ، حفظت ما عرض علينا من قطع شعرية للترجمة عن ظهر قلب ، ولكنى فى الاختبار الشفوى فاجأت الاستاذ الممتحن وكان الدكتور يحيي الخشاب بسوء نطقى للغة فقد كنت أميل للتفخيم من العربية ومنها من الحروف ماله شكل الحرف العربى دون نطقه ، ودهش الدكتور الخشاب لهذا التناقض الغريب بين اتقانى الترجمة وخيبتى فى النطق ، فزعمت له كاذبا — وليسامحنى الله — إننى اعمل موظفا فى النهار بحيث لا استطيع حضور دروسه ، وانني افنى ليالي البيضاء فى الحفظ والتحصيل ، وأفنى ساعات نهارى كاتبا فى مصنع ، وواقع الأمر أن ساعات نهارى كانت معظمها تسكعا فى مكتبة الجامعة ، أو جلوسا على درجاتها التى حولناها الى رواق للمناقشة الأفلاطونية أو السخرية السقراطيـة .

بين ذلك كله كنت ازور ناجى اسبوعا بعد أسبوع ، وأذكر فى سبتمبر ١٩٥٢ ، وكنت قد تخرجت من الجامعة وعملت مدرسا فى احدى المدارس الاعدادية ، انى زرته يوما فى عيادته ، فرأيته كسير القلب . فقد وشى به احد الوشاة للحكام الجدد كما وشى بتوفيق الحكيم الذى كان مديرا عاما لدار الكتب فى ذلك الوقت أنه غير منتج ... كان ناجى عندئذ مديرا لمستشفى السكة الحديد فى الدرجة المالية المساوية بالأولى ، فأبت عدالة الحكام الجدد إلا ان تنزل به درجتين ماليتين بحجة أنه نال هاتين الدرجتين استثناء ومحاباة لصلته الحميمة بالمرحوم الدسوقى اباظة باشا (والد صديقنا الاستاذ ثروت اباظة) ، وكان من محبي ناجى ، وهو كاتب مقدمة ديوانه الأول (وراء الغمام) .

وكانت نفس اليد التى بطشت بناجى هى التى بطشت بتوفيق الحكيم ، فقررت إحالته على التقاعد بحجة أنه غير منتج ، ولكن القدر قيض لتوفيق الحكيم حظا مخبوءا ، إذ أن جمال عبد الناصر كان قد قرأ له فى صباه أحد كتبه فأعجب به ، بينما لم يقرأ أحد من الحكام الجدد لناجى مايرضيه عنه ، وهكذا انكسر قلب ناجي . وأظنه قدم استقالته من عمله الحكومى فى ذلك الوقت مكتفيا بعيادته .

كنت عندئذ مستمعا محبا لشكواه ، وكان لدى ما أشكوه له ، فلم أكن مدرسا ناجحا بحال من الأحوال ، وكان مفتشو اللغة العربية ، ومعظمهم من قدامى رجال التعليم حين يزورونى فى الفصل يضيقون بما يخالونه من إهمالى وقلة بضاعتى من العربية . حتى أن أحدهم كتب فى تقريره عنى إننى لا اصلح للتدريس . فقد كنا — السادة المفتشون وأنا ننتمى الى مدرستين مختلفتين ، هم من ابناء دار العلوم القديمة وأنا من ابناء كلية الآداب . ولكل من المدرستين فى اللغة والأدب تصور يختلف عن تصور أختها . وكان مما يهون علي الأمر عندئذ صحبتى لمجموعة مدرسى اللغة

● لم يقرأ واحد من الحكام الجدد لناجى .. وهكذا لم يعد إلى عمله!

● أعذب قيثارة فى الشعر العربى الحديث .. لم ينصفها الزمان

احمد أمين



العربية فى مابين الحصص ، إذ كنا مجموعة تتراوح بين العشرة والخمسة عشر معلما تتراوح اعمارنا بين مشارف الستين وبدايات العشرين . وكان حديثنا المرح يتنقل بين افانين من القول فى الطعام والمقويات وهم الأطفال ونكد الزوجات حين يضيق ذرع الزوج وتقل حيلته ، حتى إذا جاءت فسحة الساعة العاشرة ارسلنا فى طلب صحون الفول وقراطيس الطعمية وتلال الخبز ، فما تكاد تمر دقائق حتى يختل التل ويبدو قاع الصحون ، وتلقى القراطيس الفارغة فى السلال ، ثم يدور الشاى بعد ذلك دورة أو دورتين ، وكل ذلك ـ ويالله العجب ـ فيما لا يزيد عن خمس عشرة دقيقة .

وكان سمرنا الليلى فى ذلك الزمان ، وقد اصبحنا جميعاً معلمين فى المدارس فى نادى المعلمين بميدان الأوبرا ، وهناك تعرفنا ، وهنا اظن الأوان قدحان ان اقدم اليك مجموعتنا التى اشرت اليها فى أول الحديث بأسمائها وبما جرت به عليها احوال الزمان . كانت هذه المجموعة التى عرفت فيما بعد بالجمعية الأدبية المصرية مكونة من فاروق خورشيد الروائى ودارس التراث الشعبى العربى ، عز الدين اسماعيل الشاعر الناقد ووكيل كلية آداب عين شمس فيما بعد ، وعبد الغفار مكاوى القصاص الفيلسوف المترجم ، عبد الرحمن فهمى الكاتب القصاص السيناريست ، وكان فى ذلك الوقت موسيقيا أيضا ، واحمد كمال زكى الشاعر الناقد ، وهاأنت ذا ترى أن ثلاثة منا تدكتروا وصاروا اكاديميين ، وثلاثة اختاروا أن يكونوا كتابا لا يحملون إلا شهادة لا اله إلا الله وشهادة الليسانس .

وتعرفنا فى نادى المعلمين بأستاذ كريم وكان معلما رفيع القدر ، وأديبا عالى الصيت ، وهو المرحوم محمد فريد ابو حديد ورعانا أبو فريد وضمنا تحت جناحه الوارف ، ولعله هو الذى اصلح مابينى وبين وزارة التربية والتعليم التى كان هو وكيلها ثم مستشارها الفنى حتى فارقت هذه الوزارة لا أسفا ولا مأسوفا على باستقالتى منها فى أكتوبر ١٩٥٧ ، أى بعد ستة سنوات من العناء الذى لا يهون من أمره إلا قليل من المرح العابر . وكان فريد ابو حديد فى ذلك الوقت شريكا ومعاونا لاستاذنا المرحوم احمد أمين فى مجلة الثقافة ، وانبأه احمد أمين ذات يوم أنه يزمع اغلاق المجلة لما تصيبه وتصيب لجنة التأليف والنشر من خسارة محققة ، وهنا اقترح عليه فريد ابو حديد أن يعهد بتحريرها لجيل من الشباب ، فسأله احمد أمين عن هذا الجيل ، فرشحنا له ، وهكذا أصبحنا بين اغسطس ١٩٥٢ ، فبراير ١٩٥٣ مسئولين ، ونحن فى اوائل عشريناتنا عن مجلة الثقافة ، نجمع مادتها ، ونرتبها ونعد رسومها ، ونكتبها . بل ونرمى حروفها احيانا . ونبيع بعض اعدادها احيانا أخرى ، وأذكر اننى كتبت هذه الفترة قصتين قصيرتين قد تستهوى قراءتهما الباحث فى تاريخى الأدبى إن كان لي تاريخ ، كما نشرت فيها أول قصيدة لي فى الشكل الشعرى الجديد ، وهى قصيدة (أبى) .

ولكن ما هو أهم من ذلك كله هو اننى انبأت بهذا الأمر صديقى الكبير ابراهيم ناجى ، فابتهج له ، وحيانى بأن اعطانى مسودة قصيدتين بخطه ، مطلع احداهما فيما أذكر :

صيرك الحسن أمير الوجود .
والشعر من هاماته كللك.

وليتنى احتفظت بأصول القصيدتين بخطه .. فقد اضاعهما الطابع ، ولم اعن باستردادهما ، إذ كنت غرا لا أدرى كيف احتفظ بأجمل التذكارات ، وكيف للشباب أن يعرف أنه سيفتش ذات يوم عن ذكريات عمره الضائع ، بكل ما فى قلبه العجوز من وجد وانكسار .

ومن نافلة القول أن أذكر أن الذين عاصروا هذه الفترة من اخواننا يذكرون أن هذه الشهور من عمر المجلة كانت من أزهى أيامها ، ولعل من الانصاف أن نذكر أننا قدمنا فيها الفن التشكيلى لأول مرة . وكان من رفاقنا فى تقديم هذا الفن سواء برسم اللوحات التوضيحية أو التعليق على المعارض الفنية حفنة من ألمع فنانى مصر الآن منهم المرحوم عبد الهادى الجزار ، والصديقان حامد ندا وجاذبية سرى ، ولكن ذلك كله لم يرض استاذنا أحمد أمين ، فالخسائر هى هى ، والحياة الأدبية لاتكاد تستقبل مجلة أدبية بما هى أهل له من تقدير ، وهكذا كاشفنا المرحوم فريد أبو حديد بعزم أحمد أمين ، وطردنا من مقر المجلة بحارة كرداسة بعابدين ، وعدنا الى جمعية المعلمين (ومعذرة للسجع) .

ومرت أيام ، وفى إحدى الأمسيات كنت فى نادى المعلمين حين حدثنى صديق كان يعمل فى إحدى الصحف أن ناجى قد مات ، وكاد الخبر أن يصعقنى ، فقد كنت قد رأيته قبلها بيوم واقفا ينتظر الترام أمام مبنى الاسعاف المجاور لمبنى التليفونات فى شارع رمسيس الذى كان يسمى قبلها بشارع الملكة نازلى ، وحين طال بنا الانتظار تسلينا بالتعليق على وجوه الملاح والقباح من عاملات التليفون الخارجات من مقر عملهن ، ثم جاء الترام ، فودعته ومضيت على أمل لقاء .

ومضى ناجى .. أعذب قيثارة فى الشعر العربى الحديث ، مغموط الحق فى كل مجال .. إلا أن ينصفه الزمان ، وليتنى اقدر على استعجال خطاه فى حديث قادم ...

د.حسن أبشر الطيب

# المدير بين الوهم والحقيقة ؟
# القيادة الادارية .. كيف تكون؟

لقد انفقت المدارس التقليدية في علم الادارة بما فيها نظرية البيروقراطية لماكس فبر ونظرية الادارة العلمية لفردريك تيلور ونظرية المبادىء الادارية للوثر جيولك جهدا كبيرا في تأصيل ما عرف بالمظاهرة الرسمية للتنظيم • كان الهم الاول عندهم هو تركيز التخصص ، تحديد الادوار ، التدرج الهرمي في السلطات قياس العمل وتحديد معايير لمعدلات الاداء • لهذا كان من الطبيعي ان تخلص هذه النظريات الى القول بأن المهمة الاساسية للقيادة الادارية في المنشأة هي التثبت من كفاءة كل العمليات الداخلية بحكم انها المحور الاول والاخير الذي يحقق الكفاية الانتاجية في المؤسسات •

ان هذه المبادىء الادارية التي سادت في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين قد أفادت في تحديد بعض الاطر العلمية واعانت في تقنين بعض الاساليب التي حكمت الصلة في المناشط الادارية بين نسبة التكلفة الى المنفعة ، لكنها ظلت قاصرة عن وضع تصور متكامل للفعالية الادارية اذ انها باتت حبيسة منظور مغلق عنايته الاولى والاخيرة بالجوانب التفصيلية والفنية داخل اطار التنظيم •

## الحقيقة الذهبية

ان تصور العملية الادارية في منظور مغلق يقود الى ممارسة تتنافى وجوهر الادارة الفعالة اذ انه يغفل تفاعل التنظيم مع البيئة الخارجية بكل عناصرها السياسية وعواملها الاقتصادية وقيمها الاجتماعية والثقافية •

ان تصور المنشأة كجزيرة منعزلة عن بيئتها وهم يجافي واقع الحال ، فطبيعة الاشياء تشير الى ان كل تنظيم اداري يحتاج بالضرورة الى مدخلات ترد من البيئة في شكل موارد بشرية احيانا وفي شكل امكانات مادية احيانا اخرى • وللتنظيم في ذات الوقت مخرجات تفيد منها البيئة في شكل معلومات او خدمات أو منتجات • لهذا فان الحقيقة الذهبية في علم الادارة الحديثة تقول بان التنظيم الاداري لكي يقوم بواجبه وينمو النمو المطلوب لابد له ان يخلق علاقة توازن ديناميكي مع بيئته المتغيرة • جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان الكيان الاداري الفعال لابد له ان يحقق درجة معينة من التوازن مع بيئته بالقدر الذي يمكنه ، بصورة متصلة ، من استيراد المدخلات الاساسية التي تعين في استمرارية العمليات التي يقوم بها والوفاء بالاهداف الكلية المحددة للمنشأة •

ان خلق وانماء علاقة التوازن الديناميكي بين التنظيم وبيئته المتغيرة يمثل الجوهر الاصيل لواجب القيادة فهي المناطة بمهمة العمل المختص للابقاء على المنشأة في حالة فعالية متصلة • من هذا التصور الكلي لواجب القيادة تنبع المهام الثلاث الاساسية التي ينبغي لها ان تنهض بها وهي : العمل على استقرار واستمرارية التنظيم ، السعي للتعديل والتغيير حرصا على تأقلم التنظيم مع المتغيرات الايجابية في البيئة ، ابتداع النظم والسبل التي تحقق للتنظيم النمو والتطور بالقدر الذي يمكنه من استكشاف متطلبات المتغيرات المتجددة قبل حدوثها •

## استقرار واستمرارية التنظيم

بما ان التنظيم يتكون من انظمة فرعية متعددة تتفاعل مع بعضها البعض وترتبط مع البيئة بعلاقات متشابكة فان القيادة الفعالة لابد ان تكون مستوعبة لهذه العناصر لضمان تحقيق الترابط الذي يوجه كافة المناشط وصولا للاهداف الكلية •

فالقيادة في غايتها هي المقدرة على التأثير الايجابي والفن في تحقيق التنسيق المتصل بين الكيانات الداخلية لبلوغ النتائج المطلوبة • ان عدم قيام القيادة بهذه المهمة على الوجه المطلوب يقود بطبيعة الحال الى غياب النظرة الكلية ، الامر الذي يخصب المجال للصراع بين الجزئيات والازدواجية



في المناشط والتعدد في الاهداف ، وذلك حال ينتهي بالتنظيم الى التفكك وغياب الهدف الموحد مما يجعل من اليسير تقويض الدعائم المكونة له أو المحققة لاستمراريته ·

## التأقلم مع المتغيرات البيئية

نسبة لأن التنظيم لا يمكن ان ينشأ كجزيرة منعزلة عن بيئته فانه بواقع الحال صاحب علاقات متصلة ومتفاعلة مع عناصرها المختلفة · وبما ان هذه العناصر البيئية لا تبقى على حال واحد بل تتغير وتتعدل وتتجدد من وقت لآخر فان مواكبة التنظيم لكل هذه التعديلات ضرورة لازمة لخلق التوازن الديناميكي معها الذي يمكنه من التكيف والتأقلم مع الجوانب الايجابية منها · من هنا تنبع مهمة القيادة في استقبال التغذية الاسترجاعية من البيئة وتحليلها والاستفادة منها في معرفة ماهية المتغيرات الجديدة والضرورات التي تستوجبها سواء اكان ذلك تعديلا في تكوين التنظيم أو علاقته أو أهدافه ·

## صلات دائمة

لكي يتسنى للقيادة الافادة الكاملة من التغذية الاسترجاعية بشكل متصل ومنتظم فانه لا غنى لها من خلق صلات دائمة مع كيانات أساسية في بيئتها وهي :

● أولا : مراكز السلطة ، وتضم كل الكيانات المحددة والمنظمة للسلطات التشريعية · ان الصلات المتصلة بهذه الكيانات ضرورة قصوى لا سيما في المراحل التأسيسية التي تحدد الوضعية القانونية للمنشأة ، وتظل أهميتها باقية حتى بعد تجاوز مرحلة الانشاء اذ انها قد تؤثر عن طريق القوانين العامة التي قد تضعها لاحقا في كيان المنشأة أو في جانب من جوانبها الاصيلة · أن استمرارية الاتصال ومتابعته مع هذه الكيانات التشريعية يعين في التعرف على ما يجد من قوانين قد تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على أهداف المنشأة أو كيفية الاداء فيها · كما وانه يتيح لقيادة المنشأة ان تغذي هذه الكيانات برأيها وتجربتها العملية التي تعين في صياغة التشريعات الجديدة ذات التأثير المباشر في وضعيتها أو طرق الاداء فيها ·

● ثانيا : الكيانات الوظيفية التي تعمل عملا مكملا او مماثلا أو هي المستهلك لمنتجات المنشأة أو المستفيد من خدماتها · ان الاخفاق في تحقيق اية صلة من هذه الصلات الثلاث يقود الى تقويض ركن أساسي من جوانب العمل الامر الذي تنعكس سلبياته ؛ أداء المنشأة بشكل بين ·

● ثالثا : الكيانات الممثلة لقيم المجتمع ، وهي صلات تنبع جدواها من جانبين : فهي في المكان الاول تحفظ للمنشأة سلامة الاتجاه بعدم الدخول في مجالات ـ مهما كانت جدواها الفنية ـ اذا كانت تتعارض مع القيم الروحية او العرف الاجتماعي والثقافي السائد في البيئة · وهي ايضا تعين المنشأة من جانب آخر في توسيع دائرة نفوذها باستقطاب جهود الكيانات التي تغذي وتنمي قيما وأهدافا مماثلة لمنهجها وأهدافها · ان ارتباط المنشأة الوثيق بالقيم الفعلية لبيئتها يجعل وجودها جوهريا لازدياد ازالتها لاسباب فنية بحتة امرا صعبا ان لم يكن في بعض الحالات مستحيلا ·

● رابعا : الرأي العام ، فهو المناخ الكلي الذي لا يمكن للمنشأة ان تعيش خارجه وفيه تتبلور آراء الافراد والجماعات المميزة ازاء القضايا والاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفيه ينعكس تقييم المنظمات الفاعلة والعاملة في المجتمع · لهذا كله فان العناية بقنوات الاتصال لتحقيق علاقات التفاهم المتبادل والحفاظ على تنميتها بين المنشأة والرأي العام يعين في : بث المعرفة والترويج للسلع أو الخدمات التي تقدمها المنشأة ـ عن طريق المعلومات الكاملة والصحيحة ـ كما هي ايضا تعكس للقيادة رأي الجمهور فيما تقدم والانتقادات البناءة التي يمكن الافادة منها لاحقا في تجويد الخدمة المقدمة · كذلك تعين المنشأة في كسب التعاون والتأييد لمواقفها لا سيما عند مواجهة الظروف الحرجة بما تشمل احيانا من ندرة في المواد المتاحة أو في الحملات الدعائية المضادة غير المؤسسة على الحقائق · اضافة الى ذلك فان قنوات الاتصال المبنية على الرؤية الواضحة تتيح للمنشأة وجودا مميزا وكيانا ذاتيا خاصا يجعل من الصعب على بقية المنظمات التدخل فيه أو القيام بعمل يقلل منه ·

## الترابط العضوي والوظيفي

ان تنمية الاتصال بين المنشأة وبين الكيانات الاربعة التي بيناها سلفا يحقق للمنشأة الترابط العضوي والوظيفي مع بيئتها ويعينها على

التكيف والتأقلم والمواكبة في معناها الايجابي مع المتغيرات الاساسية ٠

جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان اية منشأة لكي تتمكن من تحقيق اهدافها لابد لها من ان تطبع تلك الاهداف بالواقعية وتسندها بالشرعية وتؤيدها بالوضوح الكامل وتدعمها بالامكانات والموارد المتاحة ٠ ان أيا من هذه المزايا الضرورية لا يمكن تحقيقه الا بالصلات والتفاعل مع المكونات الاساسية للبيئة ٠

## أستكشاف المتطلبات المستقبلية

ان التنظيم الفعال عندما يزداد نموا تزداد عناصره المتخصصة تطورا بالقدر الذي يمكنه من تجاوز مرحلة التعامل بردود الفعل الى مرحلة السبق في استكشاف المتطلبات المتجددة على ضوء المؤشرات العلمية للاحتمالات المتوقعة مستقبلا ٠ لهذا فان المهمة الاساسية الثالثة للقيادة في أية منشأة تتصل باخصاب المناخ الملائم لابتداع النظم والاساليب التي تمكن التنظيم من استكشاف المتطلبات المتوقعة مستقبلا والعمل على تحقيقها عند الحاجة اليها ٠ الجامعة مثلا كمنشأة ، فيما يقول اللورد فلتون ، تكون فاقدة لرسالتها وجدواها اذا لم تتجاوز بيئتها بربع قرن من الزمان ٠٠ ويعني بذلك ان مناهج الجامعة واساليبها لابد ان تكون معدة للايفاء باحتياجات المستقبل اذ ان خريجيها هم قادة المستقبل في الادارة والصناعة والزراعة وغيرها من متطلبات البيئة ٠ ما يصدق في هذا المثال على الجامعة يصدق على غيرها من المؤسسات مهما اختلفت نوعية الخدمة أو المنتجات ٠ أمامنا شواهد كثيرة في مجال الصناعة بشكل خاص ، تبين في وضوح لا يقبل المناقضة ان المؤسسات الصناعية التي استطاعت البقاء والنمو في ساحة العمل هي تلك التي تفوقت تقنيا واستطاعت بقدرتها العلمية النافذة ان تبتدع أشكالا وانماطا ما استطاعته غيرها ٠

ان مرحلة الابداع وهي مرحلة تمثل النضوج المتكامل للمنشأة تحتاج من القيادة الى الجهد المتأني في تكوين خلية للبحث العلمي تعينها في رصد التجارب الماثلة وتحليلها وتصنيفها وتكون للمنشأة بشأنها في موقف الذاكرة ٠ثم لابد لها فوق هذا كله ان تعين القيادة في استقراء المؤشرات الحالية لوضع البدائل الممكنة سعيا لاشباع الاحتياجات المتوقعة مستقبلا ٠

يمكننا ان نخلص من هذا التحليل لمهام القيادة وواجباتها الى القول بأن هذه المهام في جملتها تثبت حقيقة جوهرية وهي ان طبيعة وظائف القيادة تتصل بالقرارات الحرجة التي تؤثر في الكيان الكلي للمنشأة وتبعد بعدا كاملا عن القرارات الروتينية التي تتصل بالجزئيات الفنية داخل التنظيم فالقيادة في المكان الاول هي المحددة ـ بالتعاون مع التكوينات الداخلية للتنظيم ـ للأهداف الكلية مراعية في ذلك الواقع العملي من حيث الكفاءة والامكانات ، والظروف البيئية وما تفرضه من قيود أو توقعات ٠ ثم ان القيادة في المكان الثاني هي المحددة لدور كل من الكيانات الجزئية الداخلية في تنفيذ الاهداف بالقدر الذي يحول هذه الكيانات من مرحلة الحياد الى مرحلة الانتماء والتفاعل العضوي والوظيفي مع بعضها البعض ٠ ولابد للقيادة تحسبا لما قد ينتج داخل المنشأة من صراع بين الكيانات الداخلية ، الامر الذي قد يؤثر تأثيرا مباشرا في تحقيق الاهداف، ان تعطي عناية خاصة لجهاز الاتصال الداخلي الذي يعمق التنسيق ويدعم التعاون ويضع البدائل العلمية لحل اوجه الصراع الداخلي ٠ والقيادة هي ، قبل هذا كله ، المناطة بالابقاء على المنشأة في حالة فاعلية متصلة وذلك يعني بالضرورة تأقلما ايجابيا مع الظروف البيئية ، وجهدا ابداعيا موجها لاستكشاف الاحتياجات المستقبلية ، وسعيا متصلا لتحقيقها عند الحاجة اليها ٠

د٠ حسن أبشر الطيب

دولة قطر
وزارة المالية والبترول



يسر لجنة توزيع الخريجين القطريين ان تسترعي انتباه الخريجين حديثي التخرج الى ضرورة مراجعة ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول اثناء اوقات الدوام الرسمي لملء استمارات الترشيح ولتتمكن اللجنة من تادية مهمتها في وضع الشخص المناسب في المكان المناسب وذلك تنفيذا لقرار مجلس الوزراء الموقر في اجتماعه العادي رقم ( ٣٩ ) لعام ١٩٧٩م واخذا بيد الكفاءات القطرية الى ميدان خدمة الوطن العزيز .

والله نسال ان يوفق الجميع الى مايحب ويرضى .

« لجنة توزيع الخريجين القطريين »



أغماض أحلام

# نعم.. هى مسألة مناخ

من الحقائق العلمية التى لامرية فيها ، أن الماس ، والجرافيت والسناج (الهباب) ، ما هى إلا صور ، لعنصر الفحم أو الكربون الذى تتكون ذرته من نواة قوامها ستة (بروتونات) موجبة ، مع مثلها ( أو اقل أو أكثر ) من (النيوترونات) اللا مشحونة ، تدور حولها فى افلاك مقدرة ، ستة (الكترونات) أو كهيربات سالبة ، فى نظام عجيب ، تحكمه ( ميكانيكا الكم ) ، أودعه الله فى مخلوقاته تلك ، المتناهية فى الصغر ، والتى لا تدركها الأبصار ولكن تدركها البصائر لدى أولى الألباب من العلماء ... هذه الصور ، من عنصر الفحم إذا احرقت أياً منها ، فى جو من غاز الأوكسجين ، فانك تحصل على غاز (ثانى أوكسيد الفحم) الذى تستطيع أن تذيبه فى الماء ؛ مع السكر والليمون ؛ لكى تحصل على زجاجة من (الغازوزة) . بيد أنه لا شك فى أن ثمن زجاجة من هذه ، أو (الكوكاكولا) ، المذاب فيها غاز (ثانى أوكسيد الفحم) الناتج عن احتراق كمية من الماس ، يساوى ثمن انتاجه مصنع للمياه الغازية ، لمدة شهر كامل أو يزيد ، حيث يذاب الغاز الفحمى الناجم عن صناعة الجير الحي ، من الحجر الجيرى ، الذى تتكون منه التلال التى بنيت عليها قبلتنا الأولى ، المسجد الأقصى المبارك ، فى القدس الشريف الجريح ، أو الذى بنى عليه البطل صلاح الدين الأيوبى (رضى الله عنه وأرضاه) قلعة القاهرة الخالدة ، على جبل المقطم ، شرقى النيل ، وهو نفس الحجر الذى يغطى أرجاء شبه جزيرة قطر ، وتستقر فوقه عاصمتها ، الدوحة ، حيث تصدر هذه المجلة الفتية .. ولقد ثبت للعلماء ، أن الاختلاف البين فى صور عنصر الفحم بحيث ترى السناج أسود حالكاً ، يرمز للقذارة والاتسلخ ، وترى الماس صلباً وضاءاً متلألئاً ، يتحكم به (بنو قينقاع) اليوم ، فى جانب هام من الاقتصاد العالمى ابتداء من مناجمه فى جنوب أفريقيا العنصرية ، ومرورا بمصانع تشكيله وتزويقه فى (ناثانيا) بفلسطين المحتلة (((منذ سنة ١٩٤٨))) ، وأمستردام فى هولندا ، وانتقرب فى بلجيكا ، وانتهاء بسوق المجوهرات العالمية ، فى نيويورك ، معقل قريظة الأكبر ، حيث لا يتحدث الناس هنالك إلا بلغة الاشكينازيم ( وهى خليط من العبرية والألمانيةوالخزرية يسمى اليديش ) ـ راجع الى الاختلاف فى (المناخ) الذى تتكون فيه هذه الصورة أو تلك ، من صور عنصر (الفحم) ، وانه لو قدر (للهباب) أن يتكون تحت نفس (المناخ) الذى تكون تحته (الماس) فى عروق (الكمبراليت) ذات السحنة الصخرية ( فوق القاعدية ) ، التى كان أول اكتشافها فى منطقة كمبرلي بجنوب القارة السوداء ، فان ذلك السناج كان يمكن أن يصير (ماسا) يخدش كل ما عداه من المعادن والفلزات والسبائك ويظل نظيفاً براقاً ، يكاد أن يضيء لو لم تمسسه نار ، أو نور ، وتتمناه اجياد وآذان ومعاصم ، وأنامل الغيد الحسان (متبرجات بزينة أو محتشمات) ، والعجائز الشمطاوات المتصابيات ، سواء بسواء ... والمناخ ، فى عرف الشعراء ، دون اعتراض من العلماء ، يمكن (لتكوين السناج والهباب) أن تشبهه ، بمصنع ( طرشى مخلل ) أو مدبغة جلود أو مستنقع مجارى ، أو سوق للأسماك ( البحرية أو النهرية ) ، أو مخزن للبصل والثوم ، بينما المناخ لتكوين (الماس) يشبه رائحة الهواء ، فى ليلة مقمرة ، من أشهر الربيع ، بعد شتاء مطير ، بأى من بقاع الصحارى العربية بين المحيط والخليج (لم تتلوث بعد بمعطيات العصر) ... ويزيد الشعراء الأمر إيضاحاً ، مؤيدين العلماء فى مسألة (تأثير المناخ) فيؤكدون ، أنه لو توفر لانسان ، ذى مال وسلطان ، أن يجمع كل نوافج أيائل المسك التى يصرعها الصيادون ، دون رحمة ، فى جبال الهمالايا ، وحوافها فى الهند والتبت والصين ونيبال وبوتان ، وكل ما ينتجه الشبراويشى وأمثاله ، وجميع ما يلتقطه البحارة على سطح بحر العرب ومجاهل المحيطين الهندى والهادى ، من كتل (العنبر) التى يلفظها الحوت ، لعلة لم نعرفها بعد ، وخلطت بكل ما فى غدد (سنانير الزباد) فى الصومال وأرتيريا ، وبكل زيوت غابات الصندل ، والعود ، والاذخر ، والزعفران ، والنرجس ، والياسمين الفيومى ، والمر ، والخزامى ، والورد ، وما إليها من سنبل الطيب والرياحين ، ثم شاء حظه العاثر أن يحاول تمييز عبقها واريحها فى منطة (الجبل الأصفر) بشرق القاهرة ، أو مايشابهها فى أية عاصمة عربية ، فان مناخ (المجارى)سوف يطغى على كل تلك الاطياب ، تماماً ، كما يطغى (مناخ) دكان (مبيض نحاس) بدخان الكور وانجرة الكبريت والنوشادر على (مناخ) بائع للشواء (لحماً أو دجاجاً) على قيد خطوات ، وتماماً كما لايستطيع أى سمع مرهف أن يميز انغام ربابة ، أو عود ، أو قيثارة ، أو كمان ، أو (سمسمية) فى محطة للسكة الحديد ، أو فى (ورشة) سمكرة ، للسيارات التى يتلفها سوء أدب السكارى أو (الحشاشين) من السائقين .

والمناخ فى اعتقاد العلماء والشعراء على السواء ، لصياغة المجتمعات البشرية مرهون بنوايا وأعمال ( النظم الحاكمة ) على مستوى العالم اجمع ، فهى التى تستطيع أن تجعل من مجتمعاتها ، مخازن للثوم والبصل ، لاتبين فيها خلاصة المسك الأزفر ، مهما كثرت ، أو تجعلها مصانع لتخريج القيم والمثاليات والكمالات والمكارم ، التى تتصدى للجاهليات المعاصرة ، وتغيير المناخ ، ليس شعارات تطرح ، وعبارات تتملق الجماهير ، إنما هى إيمان بالله يصدقه العمل ، البَيِّن الواضح ، خلوا من النفاق والأنانيات والشهوات والضلالات والأكاذيب ، حتى نصنع بدل السناج ماسا مضيئا .



عـايدة الشـريف

من مذكـرات شاهـدة ربـع قـرن

## هـل آن الأوان
# لفتح ملف زيارة سارتر
## إلى القاهرة!؟
# حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين... في بلدى



يقدر عنف الموجة .. وتركيب تربة الشاطىء .. بما تحدثه الموجة .. من تاثير . فان كان الشرخ غائرا عميقا ، أدركنا مدى شدتها وقوتها . أما إذا لم تخلف شيئا فان ذلك قد يعنى ضعفها اووهنها ، وقد يعنى أيضا عدم استعداد التربة لتلقيها .

فكيف كانت موجة سارتر الى مصر .. وماهو الأثر الذى خلفته فى مثقفيها ؟

اقرأ كتاب لويس عوض «دراسات أوربية» تامل فى مقالته الثانية « الوجودية بلا دموع » ، « كيركجارد » يقول الدكتور لويس :

جاء ضيفنا العظيم جان بول سارتر وصاحبته الكبيرة سيمون دى بوفوار ، وزميلهما المعروف كلود لانزما رئيس تحرير مجلة العصور الحديثة ( وهو مدير التحرير .. وسارتر هو الرئيس ) . المهم يستطرد د. لويس : لن أقول لك إن سارتر ولد ١٩٠٥ أو انه حاصل .... .... وإنما سابدأ كلامى عن سارتر بتقديمه كفيلسوف اولا وكاديب ثانية «نتهيا لأن نسمع الحصيلة التى وصلته من سارتر فنجده يقول : لقد اقترن اسم سارتر منذ ربع قرن أو يزيد بالفلسفة الوجودية ... وللوجودية قصة فكيف بدات هذه القصة»؟ ، ثم نستمع الى هذه القصة فلا نخرج بكلام إلا عن كيركجارد .

اقرأ جريدة الأهرام بعد وفاة سارتر .. « ت . الحكيم يتحدث عن مفكر العصر .. الأوربى سارتر ، ويساله الصحفى الذى أجرى الحوار هل حدثك سارتر عن مسرحياتك ؟ فيجيب الحكيم بنعم قرأ مسرحياتى المنشورة بالفرنسية ، وقال لى رأيا طريفا .. قال إنه لاحظ أن النساء فى مسرحياتى أذكى من الرجال ، وهو مالم تلاحظه المراة .. وعلى الأخص فى بلادى .. فقد شاعت عندهن فكرة « عدو المراة » وإذا كان ذلك صحيحاً فلا تعارض هناك .لأن ... الخ .

هذه هى حصيلة الانطباعات من قبل ومن بعد الزيارة :

إن سارتر لا يؤمن إلا بما يوحى به إليه عقله وفلسفته للحياة . لقد زار مصر .. وقابل من قابل فيها وزار قطاع



- استقبلناه بمظاهرة .. وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى وادٍ مهجور!
- الصهيونية دست كلود لانزمان على الزيارة .. للتوجيه والتضليل!
- لم تكن العلاقة بين سارتر وسيمون ولانزمان مجرد علاقة أدبية!
- كان الاعتقاد أن يكون سارتر "منظمة دولية" ذات أحكام مُلزمة!
- هو نفسه لم يكن ضمير نفسه .. فكيف يطلقون عليه: ضمير العصر؟!

غزة وتحدث مع سكانها واللاجئين إليها . لقد سمع ورأى ولكنه لم يتأثر قيد انمله بما سمع ورأى ، وكان استقبالنا له أشبه بمظاهرة وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى واد مهجور .. إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة فى قيادته الى اهدافها . فقد دست كلود لانزمان بفكره الصهيونى المغلف بطبقة رفيعة مزيفة من الفكر التقدمى للتضليل . دسته على سيمون فى وقت كان فيه سارتر يتارجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيمون بتأثير من لانزمان أن تسوق سارتر الى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءهما منوما أو كالمنوم وهو الفيلسوف الذى وضع للفردية وللاستقلال الفكرى قواعد أثرت على جيل وستؤثر على أجيال ، فانبهر بما قدم اليه فترة .. قبل أن يعود الى قواعده سالما . ولقد رأينا كيف كان لانزمان يقف فى الظل وراء سارتر فى كل زياراته فيسمعه صوت هرتزل واضحا مجلجلا وهو يهمس به إليه . وإلقاء العلم الفلسطينى بعيدا عنه فى غزة وهو يرى بؤس اللاجئين إليها بام عينه ، ليس إلا دليلا صارخا على ما ذهبت إليه .

وهكذا حالنا مع انفسنا ومع غيرنا من قوى العالم الخارجى المحيط بنا، على المستويين الفردى والجماعى نستقبل كل ما تعرضه على انفسنا وعلى غيرنا بالزمر والتطبيل والمظاهرات والعواطف ، ودون أن نقيم للعقل والمنطق والتاريخ وزنا ..

ألم يقل سارتر للاستاذ على السمان ، وهو محق فى قوله «لماذا لا تجزئنى فتأخذ منى مايعجبك وتطرح مالا يروق لك» هذا هو المنطق الجدلى الذى يجب أن نواجه به انفسنا ونواجه العالم به . لقد استطاعت الشيوعية به أن تجذب سارتر إليها عدة مرات ، وكان كلما ينتفض عنها فترة تلاحقه مرة اخرى ، حتى انفض عنها الى غير رجعة . وعندها تركته بعد أن يئست منه فى آخر محاولة . وهذا ما فعلته الصهيونية به . ولنتعظ بذلك إذن فى مثل علاقاتنا مع مفكرين غربيين مثل سارتر فنخاطبهم ونتعامل معهم بمنطقهم وأسلوبهم .

لقد كان توفيق الحكيم ، بكل خبراته كمفكر لا يعرف عن العلاقة القائمة بين الثلاثى سارتر وسيمون ولانزمان إلا بعد أن غادروا مصر .. وكتب العارفون عنهم ما كتبوا ، مما دعا الحكيم تحت ضغط الحقائق لأن يعطى تفسيرا سطحيا عن علاقة سارتر بسيمون دى بفوار ، وذلك فى حديثه الى جريدة الاهرام ـ بعد وفاة سارتر ـ حيث قال :

« كانت علاقة زوجية تقوم على التراضى والايجاب والقبول دون تدخل من أى إجراءات عملا بمبدأ الحرية عند سارتر .. حرية الاختيار عند الانسان هى الاساس . وليس مجرد الورقة أو الاجراء .. الخ .

وبعد : فقد فشلت زيارة سارتر الى القاهرة عام ١٩٦٧ كما تعلمون . وعلى أثر وفاته طلب منى السيد رئيس تحرير الدوحة أن أكتب تقويما لهذه الزيارة ، وأن أسجل انطباعاتى عنها ، لا لأهمية الرجل أو الزيارة فى حد ذاتها . فذلك حدث مضى وانقضى ومات الرجل بعد أن غير فكره ومواقفه أكثر من مرة . ولكن تدبرا لمواقفنا وتغييرا لحساباتنا .. وربما لندرأ أخطاءنا بعد ذلك مع أناس آخرين وفى ظروف مواتية أخرى .

أتيح لى أن أرافق سارتر ومرافقيه فى زيارته الى القاهرة .. كمراسلة لمجلة الآداب البيروتية . بل أن الدكتور سهيل إدريس رئيس تحريرها أوكلنى لتوجيه الدعوة لسارتر ورفقائه لزيارته فى بيروت .. ولقد تسنى لى بفضل ذلك أن أكون قريبة منهم وأن اتتبع كثيرا من لقاءاتهم بالمجاميع وحو ارهم المنفرد مع المفكرين وأن استمع الى بعض آراء سارتر فى أولئك وهؤلاء .

والحق أن الصديقين عبد الملك خليل والمرحوم وحيد النقاش قد ساعدانى كثيرا سواء فى توجيه بعض الاسئلة ، أو ترجمة بعض ما يسقط عن اذنى من كلماتهم حتى أتابع الحديث .. فلقد كان عبد الملك رفيقاً كل الوقت للرفقة السارترية وكان يسرد لى دائما ما فاتنى من الزيارة بسبب عملى ١١ ـ كومى .. يحثنى باستمرار على أن

# حدث وأنا أرافق سارتر





توفيق الحكيم



لويس عوض



سهيل ادريس

اتشجع فى التحدث مع الضيوف بأية لغة ، حتى لا يظنوا أنى مجرد مراقبة لتحركاتهم وملاحظاتهم لصالح جهة ما . ، لا سيما وأنهم كانوا يعتبرون كلمة (مرسى) التى تنطلق منى عفويا تشى بأنى اتكلم الفرنسية بطلاقة ، لعدم معرفتهم أن المصريين يستعملونها كالعربية سواء بسواء .

وقد كتبت تغطية لهذه الزيارة لمجلة الآداب .. ولكنها لم تنشر فى حينها لأن هذا الحين تصادف مع نهاية زيارة سارتر لاسرائيل .. وتصريحه بتأييد وجودها ، مع حق عودة اللاجئين الى ديارهم (وكالعادة عندما يمسسنا ضر .. نغضب وننصرف .) فأحكم التعتيم على أخبار سارتر من وقتها .. ولم تتابعه الصحافة بعد ذلك بالشكل السابق حتى غابت عنا التحولات التى حدثت فى أفكاره بعد ذلك ، وإمتناعه عن توقيع البيانات التى تؤيد دولة اسرائيل . وأذكر أننى عند كتابة ذلك المقال ، عانيت كثيرا من القفز فوق موضوعات وآراء كانت تصدم القارىء حتى فى اساتذته الكبار الذين يكن لهم ولآرائهم تقديرا كبيرا .. لو تجاسر من كان فى مثل سنى وقلة حيلتى وخبرتى حينذاك على التصريح بها .. ولكن مرور ثلاثة عشر عاما على هذه الأحداث عملت كثيرا على اضمحلال هذه المهابة التى كنت أحسها فى نفسى تجاه كثير من هؤلاء المفكرين وعملت أيضا على زوال المرح لدى .

والحق أن هذه الزيارة قلبت كثيرا من أفكارى عن مثقفينا وعن سارتر رأسا على عقب ، كنت اظن قبلها أن لقاءً امهما كزيارة سارتر ستجعل الحكيم ينفض عن نفسه هذا الانغلاق الذاتى والميول الانصرافية التى تشكل أدبه ـ والتى المح إليها كثيرا من الأدباء العرب ـ ويبدأ بجدية فى التعرف على فكر الزائر وتطبيقاتها على حياته .. كنت اظن أن لويس عوض صاحب الثقافة الموسوعية النادرة .. سيتخلى ولو مؤقتا عن أحكامه الانفعالية المتسرعة وشهوة إطلاق التعبيرات المدببة . ولكن ذلك لم يحدث بالنسبة للرجلين معا . كنت اظن أن العلاقة الثلاثية بين سارتر وسيمون ولانزمان محض مواقف أدبية ، عاشوها كتجربة حياة .. ولكن هذه الزيارة أكدت أن هذه المواقف تنسحب على ادق آرائهم وتحكم مواقفهم السياسية والاجتماعية .

فمن أين ابدأ ... وهل أكون متفقة مع هذا الانقلاب أن أبدأ من النهاية ؟ ولكن إذا كانت النهاية محصلة لبدايات فكيف يرتب القارىء مفردات الموضوع بعد أن تعاكس سرده ؟ لنترك الموضوع يأخذ مجراه حسبما اتفق .

## مارس ٦٧

زار سارتر القاهرة فى مارس ١٩٦٧ .. واستمرت هذه الزيارة ستة عشر يوما . ولم تكن هذه الزيارة إلا آخر الدعوات التى وجهت اليه من القاهرة وماطل فى تلبيتها بسبب تشككه فى جدوى التجربة المصرية والقائمين على تطبيقاتها من فئة من الشعب وليست كل الفئات المتوجب أن تشارك فيها. وقد استمرت دعوات القاهرة تلاحقه لأنهم وجدوا أن هذا الموقف المبدئى منه ، لم يمنعه يوما من الوقوف مدافعا عن مصر فى وجه العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ .. حيث وقف مهاجما حكومته بقوله : إن فرنسا ذهبت تنقذ قناة وتقتل شعبا ، هذا الشعب الذى قررت أن تقتله ليس الشعب المصرى وإنما الشعب الفرنسى نفسه ، فليس من حق أى رئيس لحكومة فرنسا أن يجرد الشعب الفرنسى كله من شرفه فى حب السلام - ثم تأييده لمصر فى كثير من مبادراتها ومواقفها فى الستينات .

هذا كله بجانب متابعة مصر لتأييده لكل المظلومين والجوعى فى العالم أجمع ومساندته لكل الحركات التحررية وعلى رأسها ثورة الجزائر .

وهناك سبب آخر كان وراء تسويف سارتر فى قبول الدعوات التى وجهت اليه إثر كل موقف رجح فيه كفة مصر ، ألا وهو معرفته أنه مع تلبية أية دعوة لمصر سيكون مطالبا بابداء رأيه فى النزاع العربى الاسرائيلى . وهذا بالطبع كان واردا عند المصريين عندما وجهوا الدعوة الأخيرة الملباة .. بشكل زيارة صحفية من جريدة الأهرام ومن مجلة الطليعة بالذات التى كان يرأس تحريرها الاستاذ لطفى الخولى .. ويأسم توفيق الحكيم كأكبر مفكر سنا وقدرا كما رأت الأهرام . فبالرغم من أن العرب قد قرأوا من سنة ٤٦ الى وقت زيارته لمصر دراسة سارتر ( المسألة الوجودية ) وتأكدوا أنه لم يوفق فيها ، لأنه تصور أن طرفى القضية هما اليهود والنازية ، أو الذى يضطهد والذى يقع عليه الاضطهاد أو المعادى للسامية واليهود .. ومع أن تصور المسألة اليهودية على أنها علاقة ثنائية تصور صحيح فهو تصور مبتور ناقص .. لأن القضية لا تقتصر على المجال السيكولوجى

لم تكن سخرية الرجل نتاج عن طبيعة عدوانية .. وإنما نتيجة مبالغة غير محسوبة أخجلت تواضعه



فقط ، أو المستوى الثقافى فحسب بين فرد وآخر .. وإنما لها جذور تاريخية وأسباب إقتصادية واجتماعية كان لابد أن ينتبه اليها سارتر .. وربما كانت الدعوة لاكمال هذا النقص البين .. الذى يتيح له بعد ذلك إكمال هذه المسألة .

فقد صرح الاستاذ لطفى الخولى المشرف الفعلى على الزيارة .. أنه قد وضع زيارة سارتر وسيمون ولانزمان الى الجمهورية العربية المتحدة التى تتم لأول مرة فى إطار محدد ذى هدفين :

● معايشة التجربة المصرية والتعرف على الكفاح الذى يخوضه هذا الشعب بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

● وأن سارتر ورفاقه قد طلبوا بأنفسهم أن يتعرفوا على المعلومات الدقيقة عن القضية الفلسطينية فطلبوا زيارة منطقة غزة ( كانت غزة تابعة للقطر المصرى فقد تمت الزيارة قبل النكسة بشهرين ) والتعرف على مشاكل اللاجئين ومعرفة الحقيقة من كل جوانبها .

ولهذا فليس خافيا على احد انهم سيزورون اسرائيل بعد ذلك التى هى فى مفهومنا ، فلسطين المحتلة ، لأنهم بكل اخلاص وأمانة حينما نسألهم عن القضية الفلسطينية يقولون (إننا نريد البحث عن المعلومات والحقيقة على الطبيعة قبل أن نقول رأ ينا .) وربما يكون إستباقا منى أن أقول أن كلامهم كان بجانبه الحق .. المهم هذا عن الاطار الذى وضعه لطفى الخولى للزيارة .. أما الاطار الذى وضعه سارتر للزيارة نفسها ، فهو ذو شقين أيضا .. يتعلق الأول بضمان دعوى حياد مصر عندما وجهت الدعوة ، فاشترط لها أن يصطحب معه اليهودى كلود لانزمان . ويتعلق الثانى بحياده أمام ضميره – الذى حسبه متعادلا – وطرف الصراع الآخر .. فقبل دعوة لزيارة اسرائيل فور انتهاء زيارته لمصر .. وإذا تركنا زيارته لاسرائيل لأننا لم نراقبها .. فهل لنا أن نتساءل عمن هو (كلود لانزمان) هذا الذى فرضه سارتر على الزيارة حتى يضمن حيادها- ؟ وهل قرأ المشرفون على هذه الزيارة كل الذى كتبه سيمون عن علاقتها بهذه الشخصية وتأثيرها عليها وعلى سارتر ايدلوجيا وفنيا حتى يعاملوه كعنصر مصاحب – مهمته تحقيق التعادل – وليس كمدعو أصلي .. فيدراوا بذلك تأثيره الذى قلب المرجو من الزيارة رأسا على عقب خصوصا أن ذلك كان منشورا منذ ٦٣ ومترجما بعدها عن دار الآداب التى كانت تملأمنشوراتها رفوف المكتبات والأرصفة المصرية لمن لا يعرف الفرنسية أو الانجليزية .

## سيمون ولانزمان

لقد كتبت سيمون دى بوفوارعن علاقتها بسارتر وكل الذين أحبتهم من (الجرين) الأمريكى اللاتينى .. الى (لانزمان) اليهودى الشيوعى ، وذلك بعد أن انصرف عنها سارتر الى حبيبته الأمريكية (م) بجانب انشغاله فى أن يبنى ايدولوجية تضيء للانسان وضعه فيما هى تقترح عليه أن ينصرف الى عمل تطبيقى .. فتقول : إن مطمحا كالذى يشغل به سارتر نفسه كان غريبا على .. لأنه مشروع يخصه بشكل صميمى جدا – حتى أن واحدا لا يستطيع أن يشارك فيه .. ولو كنت انا هذا الواحد .. وكنت اعزى نفسى بأن الأمر ليس كما كان من قبل ، وأن هناك فى العالم من هم أتعس منى ، ولكن مامن شيء كان يمنحنى العزاء .. بل على العكس كان هذا الحزن الدفين يجذب الى كثيرامن الضيق والشكوى ..

.. وكان هذا اليأس والكآبة يتسللان الى قلبى الى درجة جعلتنى أتمنى نهاية العالم . لذلك كله عندما ظهر لانزمان فى افق حياتها أحبته وأسكنته شقتها .. وتقول هى فى ذلك: ( لقد حررنى حضور لانزمان الى جانبى .. فقضى أولا على ألوان ضيقى ، ثم انعش الاهتمام الذى كنت احمله للأشياء ، وذلك أن فضولى كان قد فتر كثيرا . رغم أنه كانت بى رغبة فى أن أراقب وأعمق واتمم تجاربى القديمة .. ولقد كانت هذه التحارب ، بالنسبة للانزمان ، جديدة ، وكان يضيئها بنور غير متوقع .. وقد رد لي بفضله الف شيء ، ألوان من البهجة والدهشة ، والانفعال والضحك ورطوبة العالم .

أما عن هوية وايدلوجية لانزمان فتقول عنه سيمون : إن لانزمان قد حول اتجاه مجلة (العصور الحديثة) حين اصبح مديرا لها الى السياسة(وهو الاتجاه الذى كان قد رفضه الفيلسوف ميرويونتى المدير السابق لها) وتقول سيمون أيضا : إن لانزمان كانت له اليد الطولى فى تحويل فكر سارتر الى اليسار المتطرف .

أما ما يهمنا من هذا الشخص فى هذه الزيارة نفسها فهو هذا الكلام على لسان سيمون دى بوفوار عندما تأكد لانزمان من مقدار الحب الذى تكنه له وعدم قدرتها عن الاستغناء عنه : (بدأ يقدم نفسه لى بشكل

# حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين... في بلدي






صريح فكان يقول أولا : إنني يهودي (اسرائيلي) وكنت اعرف وزن هذه الكلمة ، ولكن لم يكن واحد من اصدقائي اليهود قد افهمني معناها بشكل كامل لقد كانوا يصمتون عن وضعهم كيهود على الاقل في علاقتهم معي .. أما لانزمان فكان يطالب بهذا الوضع .. وكان هذا الوضع يقود حياته وقد قال لي الدكتور سهيل إدريس كناشر ومراجع لهذا العمل الذي ترجمته زوجته عايدة مطرجي .. أنه ألغى عدة صفحات من كلام لانزمان المبهور بما حققته اسرائيل من اصلاحات زراعية واستيطانية .. وتمنياته لها بالمزيد في المستقبل .

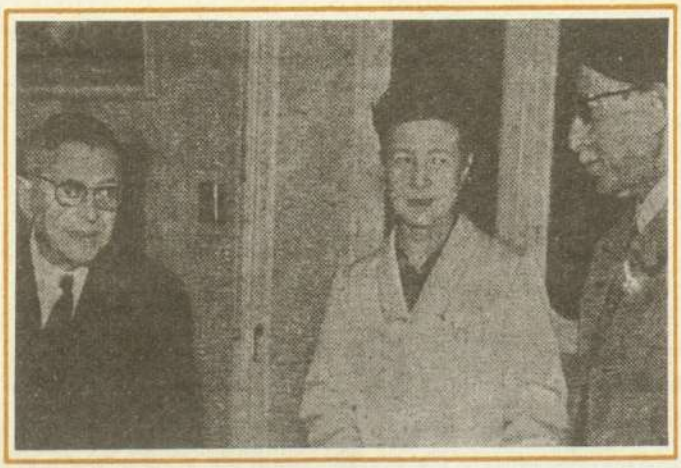
هذا هو المنحى الفكري والسياسي لكلود لانزمان الذي أثر بشكل مبدئي على علاقته بسيمون دي بوفوار وسارتر .. أما تأثيره عليهما خلال رحلتهم الى القاهرة والتي كان المفترض أن يكون عكسياً فهو ما سنتبينه خلال منعطفات هذه الزيارة بعد أن نستعرض تفاصيلها التي تميزت بمبالغات لن نعرف مداها في نفس الرجل وعلى صعيد الواقع إلا إذا عقدنا مقارنتين : مضاهاتها أولا بكل الزيارات التي قام بها سارتر نفسه الى أمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وكوبا وغيرهما حيث عومل فيها كمفكر وجودي محدد القدرة على اتخاذ رأي في كل قضية معاصرة .. ثم مقارنتها ثانيا بالدعوات التي لباها قبله كثير من زعماء ومفكري العالم لمصر كخروشوف ، وشوان لاي ونيكسون وغيرهم .. أو كجاك بيرك ، وجارودي ، وبرناردشو ، وسومسرت موم ، وتويبني .. حيث عاملناهم كعلماء وفلاسفة ومفكرين في حيزهم الطبيعي .. عندئذ ستعرف مدى المبالغة التي صاحبت هذه الزيارة .. لقد استقبلته مصر ليس كمفكر وإنما كمنظمة دولية أو عدة منظمات ذات أحكام ملزمة لاتقبل النقض . رفعناه الى أعلا الآفاق .. وعلقنا عليه اعظم الآمال .. وللأسف اعطى هذا الترحيب المبالغ فيه تأثيرا عكسيا ليس على غرض الدعوة فقط وإنما على الرجل نفسه حيث كان وجهه ينقبض حينا وينفرج بالسخرية أحيانا أخرى لدرجة أنه حينما كان السيد على السمان مدير وكالة انباء الشرق الأوسط في باريس والذي صحبه الى القاهرة في هذه الزيارة ، يقرأ له منشئات الصحف الحمراء التي تنعته بالبطل والرائد والحر والانسان ، يصيح السمسع وعلي يترجم له قصيدة محمد ابراهيم أبو سنة ، أو موضوعات العدد الممتاز الذي اصدرته مجلة (الفكر المعاصر) عن اعماله ومواقفه ، ومقدمة الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد التي كتبها تحت عنوان (سارتر ضمير العصر) .. كان سارتر يتساءل بعدها أنا ضمير العصر كله .. أنا لست حتى ضمير نفسي .. ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب .

## من القاهرة للأقصر

ولكي نقدر ان سخريات هذا الرجل لم تكن تنم عن طبيعة عدوانية ، وانما عن مبالغة غير محسوبة أخجلت تواضع الرجل .. لنتتبع رحلته وكلماته من بدايتها . لقد ارسلت له طائرة خاصة لتقله من باريس الى القاهرة .. وقبل نزوله منها شكر الطاقم على حسن ضيافتهم ، ثم نزل الى المطار ليجد مؤتمرا صحفيا يسأله أكثر ما يسأله عن فلسفة الوجودية ليعلم الناس أسس الوجودية وهو ماجاء لهذا وإنما جاء بهدف

## لماذا لم تشترط على سارتر أن يصطحب شخصيا موالية للعرب .. إلى إسرائيل؟





التعرف على الانسان العربى وتجاربه وتنطلق القافلة الكبيرة الى فندق شبرد .. فيجد إحتفالاً اكثر بهجة .. ومندوبة من الجوازات والجنسية قد حضرت خصيصا لاستلام جوازات السفر وعمل الاقامة والمغادرة ، وبعد منتصف الليل يقرر سارتر وهو يمسك بذراع الاستاذ توفيق الحكيم أن ينطلق الى الخارج .. وأمام النيل الذى بهر سارتر بمراكبه البدائية والحديثة الرائحة العائدة يفيض الحكيم فى الحديث عن باريس ومحاسنها ونهر السين والراين ..

وفى الصباح تنطلق القافلة الى مدينة الفنون بالهرم .. ومن على مسرح معهد الفنون المسرحية يشاهدون ليس عملا مسرحيا مصريا أو عربيا وإنما تكريما للضيف الفرنسى فصلا من مسرحية جزيرة العبيد للمسرحى الفرنسى ماريفو .. وتحية له يقدمون مشهدا آخر من مسرحية سارتر الشهيرة (جلسة سرية) . ويصفق لهم سارتر وهو يقول : (لقد ابهجتمونى .. وإننى اتمنى لكم كل توفيق ونجاح) ثم يجوس معهد وسط المكتبات وقد رصعها المستقبلون بأعماله الفرنسية والمترجمة .. أكثر من مرة .. فمسرحية جلسة سرية التى شاهدها قد ترجمت مرة تحت عنوان (رفعت الجلسة) وثانية (الجحيم هم الآخرون) ، وثالثة (من ثقب الباب) ويلفت لانزمان نظره الى ذلك بقوله لقد أجريت كل هذه الترجمات بدون علمك .. فينقبض وجه سارتر .

ثم تنطلق القافلة الى منطقة الحرانية حيث يتجمع فى هذا الحي كثير من الفنانين .. وكل منهم قد جعل له مرسما . حتى يصل الى منسج الفنان ويصا واصف .. وقفت ارملة الفنان الراحل حبيب جورجى حماه

ويصا واصف تشرح للزوار الطريقة التلقائية فى إبداع هذا النوع من الكليم الذى غزت شهرته أوربا كلها والذى دبجته ايادى فلاحات هاويات .. يتهلل وجه سارتر ويتدخل لانزمان ليوقف هذا الانبهار .. فيذكرهم بأعمال اليهودى مارك شاجال بعدها يستقلون العربات الى سقارة .. حيث يندمجون مع شرح الأثرى الفرنسى مسيو لوير ، الذى تابع تطور اكتشاف هذا الهرم على مدى واحد وأربعين عاما .. وبعد تناول الغذاء .. عادوا للسياحة فى حى خان الخليلى وشارع محمد علي ..

وفى اليوم التالى يستقلون الطائرة الى الأقصر وينطلق سارتر وسط الشوارع والآثار ، وتوقف عند المسلة .. غير المكتملة والمهملة .. وسرح خياله وكأنه يقارن بالمسلة المصرية فى ميدان الكونكورد فى وسط باريس .. ولا يهدأ الوفد حتى مع المساء فينطلقوا الى معبد الكرنك وقد فرشه ضوء القمر .. فيتقافزون هنا وهناك .. ويبدى سارتر إعجابه بجمال (نفرتارى) زوجة (رمسيس) ويقول أنها تستحق أن يبنى لها رمسيس مثل هذا المعبد .. (معبد ابو سنبل) ، وتعلو الطائرة فى اليوم التالى مقلة إياهم الى السد العالي .. ويطل سارتر ليرى بعينيه معجزة القرن فى افريقيا ..... ويبدى تقديره البالغ للشرح الوافى الذى قدمه لهم الاستاذ احمد طلعت للسد العالى .. منذ أن كان فكرة وحلما يداعب المصريين الى لحظة تمامه .. وقدرته على مقاومة الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية وفى أسوان ينوه أمين عام الاتحاد الاشتراكى بزيارات الوفدين الفرنسيين السابقين لأسوان فى العام الماضى .. يعلن ترحيبه البالغ بسارتر وسيمون وتشتعل القاعة كلها حماسا وتصفيقا .. فيتكلم سارتر مع هذه الحشود بحماسة وود .. وتتكلم سيمون عن حقوق المرأة .. وعندما يوشك الاجتماع الحافل أن ينفض .. يتلقى سارتر رسالة من عمال السد العالى يدعونه لمناقشة مفتوحة .. ويسر فى أذنه لانزمان أن الذى وجه الدعوة هو الاتحاد الاشتراكى موضحا أن اعضاءه فئة تحتضنهم الدولة ومن ثم لايعبرون عن الآراء الحقيقية لمن وصف الدعوة بأسمهم .. فيميل سارتر الى لطفى الخولى ويطلب تأجيل هذا اللقاء الى دعوة خاصة . وبعدها يستقل سارتر والاستاذ محمود أمين العالم يختا يشق طريقه بهم فى نزهة نهرية بين الصخور والجنادل .. ويرفع سارتر يديه ويشير الى روعة وعبقرية هؤلاء المصريين القدماء الذين لم يتركوا حتى الصخور والجنادل إلا ووضعوا عليها مقياسا للنيل .. وعلامة تهدى المسافر عبر الطريق .

وبعدها يشاهد فيلما عن الحرب فى فيتنام .. وينتهز محمود العالم هذه الفرصة ليشير الى الجهود التى يجب أن تبذل من أجل السلام .. وبأن الوجودية ليست إغراقا فى الذاتية .. ويتجاذبان أطراف الحديث حول الصراع الصينى السوفيتى .. وكيف أن الماركسية والاشتراكية قد ولدتا عددا من المتناقضات التى ينبغى على المثقفين تناولها بجدية وحماسة .

### سارتر فى الجامعة

ثم يعود سارتر والجمع الى القاهرة . ويبدى رغبته فى اللقاء بطلبة الجامعة ويعلن عن محاضرة له فى المدرج واحد بكلية

الآداب .. ولمعرفة المسئولين أن سارتر لا يحب أن يرى الحرس داخل ردهات الجامعة .. فقد اعفى الحرس من مهمة تنظيم هذه المحاضرة .. وكان لهذا الاعفاء أثر فى الغاء المحاضرة أصلا .. ذلك أن أغلب طلبة الجامعة ومن جميع الكليات بأقسامها المختلفة تركوا محاضراتهم وتجمعوا فى المدرج واحد بكلية الآداب .. وعندما حاولت مع الدكتور سهيل إدريس إختراق هذا الجمع .. نبهنا الصحفيون ومعهم الاستاذ على شلش أنه لم يعد فى المدرج مكان حتى لقدم سارتر نفسه .. الذى حضر مذهولا .. وهو ينظر اليهم ويتساءل هل كل هؤلاء قــراء مؤلفاتــى ؟ لا أظن .. إننى لست فى نظرهم أكثر من موضة .

وانقاذا لوقت سارتر .. عرج به المشرفون الى مكتبة جامعة القاهرة .. واستقبله مدير الجامعة والمرحوم الدكتور عثمان استاذ الفلسفة الأسلامية بكلية الآداب الذى أخذ يتجادل عن المبادىء الوجودية والاسلام .. وعدم تناقض الوجودية مع الاسلام فى كثير من اسسها الفلسفية .. وكان سارتر يرد بمجاملة لا تخفى تعجبه بسرعة طرح قضايا فلسفية بهذا العمق فى هذا الظرف الطارىء .. وفى طريق العودة .. يلحق به الدكتور سهيل إدريس ليكلمه عن ترجمة (نقد العقل الجدلى) الى العربية .. وسارتر يهز رأسه وترتعش رقبته المتهدلة بالموافقة .. ويصل الى العربة التى ستنقله الى الفندق مرهقا .. فيغلق بالخطأ على اصابع الدكتور سهيل وينزف منها دما .

وأمام فشل سارتر فى القدرة على الالتقاء بالطلبة فى الجامعة .. نظم له المشرفون لقاءا آخر فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. فكانت هذه جولته الثقافية الكبرى .. تكلمت سيمون أولا عن حقوق المرأة وكانت قد اجتمعت من قبل بالقيادات النسائية .. ثم تكلم سارتر فكاشف نفسه وطالبها بمزيد من الدقة والحساسية .. ثم وضع المهام على عاتق المثقفين من أجل إكتشاف أوضاع إنسانية جديدة .. وفكر لا يعرف الانغلاق أو التعصب .

## مع اللاجئين

ويحين وقت زيارة الوفد الى اللاجئين .. فيذهب الوفد .. ويجرى طفل بيده لفة مستطيلة الى سارتر ويسلمها له .. فيفضها تلقائيا ويلتقط المصور الصورة ويجرى لانزمان إليه ليسر فى أذنه .. أن ما بيده ليس إلا علم المقاومة الفلسطينية .. فيثور سارتر ويفور .. ويجرى وراء المصور الصحفى الذى التقط الصوره .. خوفا من استغلالها لموقف سارتر من المقاومة .. ويصر على اخراج الفيلم وتعريضه للضوء .. ويتم له ما يريد .. ثم يدخل الى المعسكرات والمخيمات .. ويزور منازل اللاجئين المتواضعة ويتعرف بأم عينه على بؤسهم .. فيقف مشدوها بالعيون الحزينة التى تنظر عبر الاسلاك الشائكة الى يوم قريب فى العودة الى منازلها وبياراتها بعد غيبة ثمانى عشر سنة من الضياع والحسرة . وتأثر سارتر فأخذ يوجه الاسئلة ويستمع لاجابتها .. ولم تكن الاسئلة تتناول قضايا المعرفة أو حق المرأة ، أو الوجود والعدم ، أو نقد العقل الديالكتيكى .. أو أى من هذه المشاكل المجردة الموغلة فى غرابتها عن هذه الأرض البائسة مكسورة الجناح . كانت اسئلة تتميز بالمباشرة والمواجهة والحقيقة .. ربما كان صمت سارتر إزاءها أقوى من كل تعبير كان فى محياه بعض ذلك الحزن العميق الذى سبق أن عاناه هو فى بلده اثناء الاحتلال النازى .. ووسط النشيج الانسانى الذى شد اعماق الحاضرين تجهم وجه



## سارتر لا يحب أن يرى الحرس داخل ردهات الجامعة .. وهكذا أعفى الحرس من مهمته!

سارتر وهو يستمع للسيدة عفاف الادريس المدرسة بوكالة غوث اللاجئين وزوجة وأخت لشهيدين من خان يونس وينطلق الموكب عائدا الى غزة .. ويسأل سارتر أحد اللاجئين الى غزة .. هل الفلسطينيون وحدهم الذين سيحررون بلادهم أم انهم سيطلبون مساعدة الدول العربية الأخرى .. ويأتى الجواب على لسان عز الدين الشوا المزارع بغزة : ان الفلسطينيين انفسهم هم الذين سيقومون بتحرير وطنهم .

ويسأل سارتر عن النظام الذى يراه واجب الاتباع عند النصر على الاسرائيليين .. وكيف سيعاملون هذه العناصر وهل سيرمونهم فى البحر .. ؟ وكان المتحدث من الحماس بحيث فات عليه المنطق قال : سوف ننتصر أولا ثم نحقق ما نراه .. عندئذ راجعه سارتر .. إنه لابد لكل ثورة من فلسفة .. فمن الأفكار تنبع أكبر القوى واغناها .. فى هذه اللحظة تنبه لطفى الخولى لهذه الفجوة التى احدثها الحماس .. فأوعز لاحداهن بالتحدث الى سارتر .. فتقدمت الآنسة عصام الحسينى .. لتجيب على مخاوفه على مصير اليهود النازحين الى فلسطين سواء من الدول العربية كالعراق واليمن ومصر .. أو من أية كمنطقة فى العالم فقالت ستختلف معاملتنا .. فالفئة الأولى لن يفرض عليها العودة الى تلك البلاد العربية .. لأن فلسطين العربية ستكون لهم وطنا سواء بسواء .. أما الفئة الثانية فعليهم أن يعودوا الى بلادهم الأصلية لأنهم وقبل كل شىء أوربيون متهورون .. وليسوا يهودا عاشوا فى اوربا .. وبينما هذه الكلمات الناصعة تدخل إذن سارتر من جهة فيهدأ .. كانت كلمات لانزمان وملاحظاته عما رآه من دفع لطفى الخولى للآنسة عصام تدخل أذنه الثانية .. فيعود الى التعادل . كل ذلك لم يمنع سارتر من التفاعل .. بل لقد استبد به الحماس برغم محاولة التبريد التى كان يقوم بها لانزمان ويعلن بأنه لن يذهب لاسرائيل إلا بعد أن يتعهدوا له بأنه سيقابل كل العرب الذين يود رؤيتهم . وبخاصة الموجودين فى السجون ..

### فى المسرح

ويعود الى القاهرة ليواصل بقية الرحلة .. فيطلب أن يرى المعبد اليهودى فيلبى طلبه ويذهب الى حي مارى جرجس بمصر القديمة .. ويتحاور مع الاحبار ويزور الكنائس القبطية ويشاهد الآثار ويقارنها بما شاهده من قبل .

ويدعوه المسرح القومى بعد ذلك الى حفل شاى .. ثم يقدم له فصلا من مسرحيته (الذباب) تقوم فيها سميحة أيوب بدور اليكترا .. وفاروق الدمرداش بدلا من (طارق عبد اللطيف) بدور أورست .. ويقف فاروق الدمرداش فى آخر الفصل فيلقى الى سارتر بكلمة تحية بالفرنسية فيشكره .. ثم يعتلى سارتر خشبة المسرح ليهنىء المخرج سعد أردش والممثلين بابداعهم .. وبعد حفل الشاى يعود الى خشبة المسرح ليتوه فى مناقشات كبار النقاد المسرحيين التى لم يتعرف لها بداية أو تسلسلة أو نهاية .. صعد سارتر ودى بوفوار ولطفى الخولى وتوفيق الحكيم وفى وسطهم لويس عوض ليحكى نبذة عن تاريخ المسرح العربى وتصر السيدة لليان أرقش زوجة الاستاذ لطفى الخولى على أن يعتلى لانزمان خشبة المسرح ليجلس وسط المتحدثين .. ويصعد لانزمان مكرها .. فليس له فى الحديث ناقة ولا جمل .. ولكنه الكرم المصرى العتيد .. ويبدأ لويس عوض كلامه .. فينبرى أكثر من مثقف فى القاعة .. يلفت نظره الى كثير من المراحل والأسماء التى قفز فوقها أو التى عكس مراحلها .. ويتحير سارتر .. هل الجمهور ادق ملاحظة من المحاضر .. ويستمر لويس .. يسلسل المراحل المسرحية من الكلاسيكية الى الرومانسية .. الى أن ينهيها بحركة سماها (الواقعية الملحمية) ويشد الاسم انتباه سارتر .. فيتوقف ليسأل عن خصائص وأسس هذه المرحلة .. ومن هو زعيمها .. ويقول لويس عوض .. أنه سعد الدين وهبه ويبحث الجمهور عن سعد وهبة .. ويتوجه الآخير الى الميكروفون حائرا .. فانه لا يعرف كيف وضعه لويس عوض على قمة هذا المذهب الذى لا يعرفه .. ويقول محرجا أن الدكتور لويس عوض ربما قصد نعمان عاشور .. وبدوره يذهب نعمان حائرا الى الميكروفون ليعلن أسفه وانكاره لمعرفة هذا المذهب ويطالب لويس عوض بأن يوضح ماعناه بالضبط .. وقد اعطت هذه المواقف المتخبطة بلا شك صورة نقدر اثرها على الرجل .. وكل ذلك بفضل ولع لويس باطلاق الأسماء والمعانى كما حدث أكثر من مرة سواء فى بحثه حول رسالة الغفران حيث راجعه الاستاذ محمود شاكر فى كتابه (اباطيل و أسماء) أو تفسيره لكلمة مطلق إمرأة فى مقاله عن الحملة الفرنسية على انها تعنى حرية المرأة .. مع انها تعنى لافرق بين عبده وحره سمراء أو شقراء كما راجعه فى ذلك الاستاذ عبد الجليل حسن ..

وربما غيرت زيارة الرفقة السارترية الى كمشيش وجامعة الاسكندرية والنزول فى فندق فلسطين بعض ما تركته تلك الليلة من انطباع ، فقد سعد عندما رأى الفلاحين يتدافعون نحوه فى كمشيش يهتفون مهللين عندما وضع الطاقية على رأسه ووجد الطلبة أكثر هدوءا وتعقلا .. والاساتذة أكثر رصانة والطبيعة والفندق أكثر سخاءا .. لذلك كان أكثر انطلاقا عندما عاد الى القاهرة لمقابلة المسؤولين .

### عن الحكيم : لا !

وأمام فشلى فى الحصول على صورة من هذه اللقاءات الرسمية عرجت على المكتب المواجه للمعمل فى الدور الثانى من مبنى الاهرام القديم .. وهو مكتب توفيق الحكيم .. وكان سارتر قد زاره فى هذا المكتب من أيام .. وأهداه الحكيم كل مؤلفاته بالفرنسية .. وفى اليوم التالى لهذه الزيارة .. كنت أقف وسط مجموعة من الصحفيين أمام

سعد الدين وهبة



نعمان عاشور

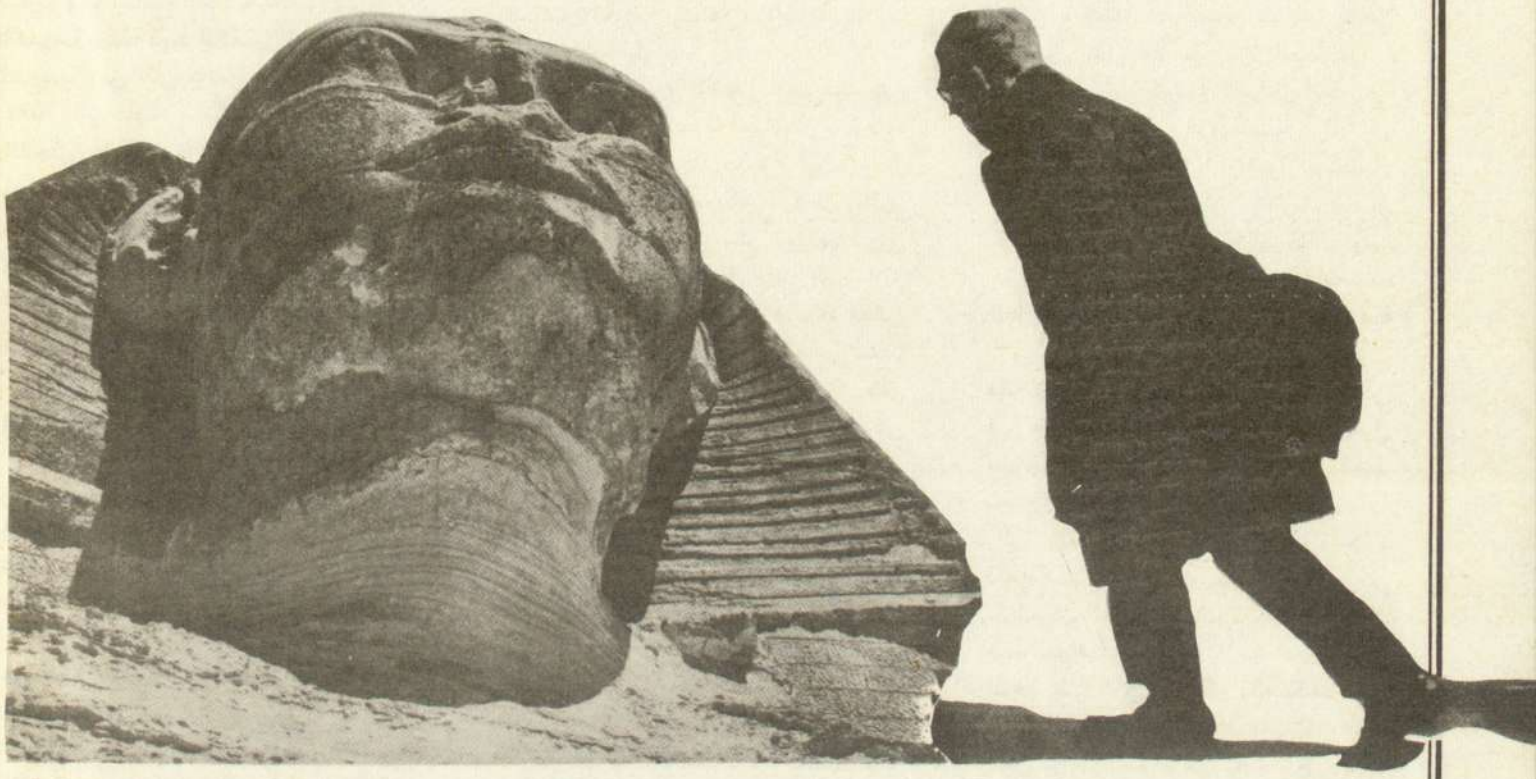


سميحة ايوب



سعد اردش





مصعد فندق شبرد .. ثم فتح المصعد وظهر سارتر وسيمون ولانزمان .. فتقدمنا نحوهم ولكن سارتر مال علينا وهو يخدرنا : إياكم أن تسألونى رأيي فى أدب توفيق الحكيم .. إن هذا لايصح فهو رجل أكبر منى سناً .. وهو مضيفى الذى وجهت لى الدعوة باسمه ومن ثم فلا يصح أن اقول فيه رأيا .. كانت الكلمات تنطق من فم الرجل . وهو يرتعش .. ورقبته المتهدلة تهتز .. وتعقبها كلمات سيمون الخاطفة كالطلقات .. تمنعنا من توجيه الأسئلة .. وقال لانزمان بعدم إكتراث إن الاسئلة كثيرة فلماذا تحصرون أنفسكم فى هذا الموضوع بالذات ؟

وإذا كان سارترنفسه أول من قال : ( قد يكون الصمت موقفا ..) فانى قد استشغفت من صمته هذا موقفه تجاه توفيق الحكيم وأدبه .. والذى لم يكن سارتر هو أول من المح اليه سنة ٦٧ .. وإنما سبقه اليه سنة ٣٤ أديبنا الصادق يحيى حقى .. والدكتور مندور من بعده ، والدكتور محمد يوسف نجم أخيرا .. فقد كتب أولهم فى (مجلة الحديث) بحلب مقالته الشهيرة (توفيق الحكيم بين الخشية والرجاء) بعد أن قرأ (عودة الروح) ، (أهل الكهف) فألمه أن يجد الحكيم قد رفع شعار مجد الفراعنة حتى يثير الأحلام الجميلة لدى الشباب .. مع انها بعيدة عن وعيه ولا تستطيع أن تستفز فيه روح الحداثة استفزازا قويا فعالا .. وحز فى نفسه أن يكون المدافع عن مصر فى عودة الروح مؤرخا فرنسيا ولذلك طالب الشباب بعدم قراءة توفيق الحكيم .. وقد كتب بعده الدكتور مندور .. بأن توفيق الحكيم إنتهى من حيث ابتدأ .. وكتب الدكتور نجم أن أدب توفيق الحكيم أدب تلفيقى مستشهدا على ذلك بأصوله الفكرية المستقاة من الأدب الذى كان مطروحا أيام كان الحكيم فى بعثته الى فرنسا .

وإذا كان هذا الرأى الضمنى .. هو ما أبداه سارتر ، وهو رجل لم يكن من السهل خداعه أو التمويه عليه أوقسره على التصريح بشىء لا يؤمن به ، مهما كانت دواعى المجاملة .. إلا أنه يكمن فى اعماقه قلب عطوف يرعى من حوله باهتمام وجدب كبيرين ، فعندما دعاه توفيق الحكيم هو وسيمون ولانزمان الى حفل عشاء خاص .. ، إنقضوا عليه بأسئلة جادة حينا ومازحه وعابثه حينا آخر .. يسألونه فيها عن عدم حضور زوجته حتى يتعرفوا عليها .. ويتظاهر الحكيم بأنه لم يسمع جيدا السؤال لانصراف ذهنه الى الألحان العالمية .. فتميل عليه سيمون وتطوقه بذراعيها وهى ترفع صوتها لأعلى ما يتصور .. ولا يجد الحكيم إلا إبداء الأعذار .. ثم تغمز لسارتر الذى يلتقط الحديث ليكلم الحكيم عن دور المرأة فى مسرحياته .. وكيف انها عملاقة يتضاءل بجانبها الرجل ، ثم يتشجع درجة أكثر فيأخذ على الحكيم بأنه لابد وأن يكون من الناحية النفسية ( نرجسيا مازدكيا) ويضحك الحكيم ، ويتلفت حوله ليمنع المصور حتى لا يلتقط صورا له .. لأن سيمون كانت ماتزال تطوقه بذراعيها .

كنت محملة بكل هذه التفاصيل وأنا أجلس الى توفيق الحكيم .. وكان يوم أربعاء وقد تعود كثير من المثقفين أن يلتقوا به فى هذا اليوم .. فكان فى ضيافته عبد الله الطوخى والاستاذ الناقد فؤاد دواره .. الذى كان يردد كلمة الشيخ محمد ابو زهرة التى يشجب احتفاء المصريين برفقة سارتر بقوله : عجبت لشعب مسلم يصفق لرجل وعشيقته . فانبرى الحكيم مدافعا عن هذه الرفقة من جهل الجاهلين .. فأدار فؤاد دواره العارف لما يقوله الشيخ ابو زهرة وإن كان يريد المناقشة من وجهة أخرى لا يسمح بها ضيق صدر الحكيم .. ولفت نظرى عنوان فى جريدة الأهرام .. فقد كتب كمال الملاخ بأن د. طه حسين لم يعرف بزيارة سارتر إلا من الجرائد .. وقرأت هذا العنوان بتلقائية وبصوت عال سمعه توفيق

## الأسئلة كثيرة .. فلماذا تحصرون أنفسكم فى هذا الموضوع بالذات ؟

الحكيم فاذا به يصرخ فى وجهى وكأنه البركان إنفجر لتوه ليرمينى حمما ملتهبة : (وهل يقلب هذا الخبر الحياة رأسا على عقب ؟ .. ثم من هو طه حسين هذا .. من أى وجهة تنظرون له أيها الشباب .. ما هو فكره فى نظركم لقد آن الآوان أن تنزلوه من فوق قممكم السامقة ثم استطرد وعلى أى حال لو كان طه حسين وزوجته الفرنسية يعرفان الواجب حقا بالنسبة لهذا المفكر ، لأرسلت زوجته الفرنسية باقة من الزهور تحية لابنة بلدها سيمون .. وفاضت فى نفسى كلمات .. ضاق بها صدرى ولم ينطلق لها لسانى .. فأنا قرأت الخبر بحياد . لم ادافع عن طه حسين ولم اهاجمه .. وفى وسط هذا الهدير الصاخب دخل الدكتور حسين فوزى ، صمت هنيهة وهو يراقب الحدّيث الصارخ .. ويرانى مكظومة .. وفجأة وجدته يقول : على رسلك يا توفيق على البنت .. التى تخجل من الرد عليك لصغر سنها .. وإذا كانت هى تخجل فلأصارحك أنا .. أليس طه حسين هذا من قلت أنت عنه يوم قدم لك مسرحية أهل الكهف أنه وفر عليك عشرات السنين فى الدعاية والاعلان عن أدبك .. وأنه سبب شهرتك ؟ ألم تكن أنت نفسك تذهب اليه بميناء الأسكندرية تستقبله بعد عودته من كل مصيف لتحمل له الحقائب وتسنده من الباخرة الى رصيف الميناء ؟ ..

أخمدت هذه الكلمات فورة الحكيم فأشاح بيده الى الدكتور حسين فوزى وهو يقول : (والله إنت كده ياحسين .. تقلب واطيها عاليها ) ثم نظر يوجه لي الكلام : (والحقيقة أنا عرضت على سارتر أن يلتقى بطه حسين وقلت له ظرفا من ظروفه البيولوجية وثقافته وزوجته الفرنسية .. فرد فى خجل وصراحة فى آن واحد .. أنا لا أحب أن أرهق أحدا ، وإننى افضل رؤية الادباء الشبان على رؤية من هم فى سنى أو أكبر منى .. ، لأن الشباب هم العنصر الصاعد الذى يتدفق بالحياة والقادر على صنع المستقبل . ) .

واعتبرت أنا هذه الجملة الأخيرة مصالحة لى .. فتكرر مرورى على مكتب الحكيم فى كل مرة أذهب لاجتلاب صور .. وفى مرة بدر منى التعبير الذى كان قد شاع لوصف الرفقه .. من أن الطريق الى سارتر يمر عبر سيمون ، والطريق الى سيمون يمر عبر لانزمان ، بل إنى سلكت هذا الطريق لتوجيه الدعوة لهم الى لبنان .. حيث قابلت


ماركس


برنارد شو


هيمنجواي


برتراند راسل

لانزمان .. الذى بدا حزينا أول اللقاء .. ثم اعتذر بأن زيارته للقاهرة مع سارتر وسيمون لم تجيء فى الوقت المناسب له .. لأن أخته قد قتلت نفسها من اسبوع .. عقب أزمة عاطفية طاغية .. ثم قال وكأنه يفيض شيئا عن نفسه على كل فهذه كانت حياتها وهى حرة فى انهائها .. إستفهمت منه هل هى إيفلين الجميلة حمراء الشعر التى كتب عنها سيمون وقالت انها قامت بدور (أستيل) فى الجحيم هم الآخرين ؟ فأكد لي أنها هى وقلت استغل انبهاره بهذه المعرفة فأشرت بطرف خفى الى معرفتى بعلاقته بسيمون .. فقال : إن ذلك كان من زمن وقد انتهى .. ثم وعدنى بأنه سوف يعرض أمر زيارة بيروت على سارتر .. وفى المؤتمر الصحفى لختام الزيارة .. ولم يحضره لانزمان لمرضه .. قالت لى السيدة لليان أرقش زوجة الاستاذ لطفى الخولى أن لانزمان يطلبنى .. وعندما صعدت .. وجدت سيمون قد سبقتنى .. بل امسكتنى بكلتا يديها المدهون اظافرها بلون فاقع من الطلاء .. ومنعتنى من الدخول .. حتى تدخل هى وترى ماإذا كان قد استعد لهذا اللقاء أو لا .. وأدخلتنى حجرتها وكانت قد اخليت من الحقائب .. فوجدت المؤلفات المصرية المهداه لهم مبعثرة على أرضية الجناح .. من مؤلفات أمين والريدى ومجاهد عبد المنعم .. ذلك أنها عربية وهم لا يقرأونها .. وعندما دخلت على لانزمان .. هنأته بحدب سيمون عليه واهتمامها به مما يدل على أن العلاقة مستمرة وقلت مازحه أنها منعتنى من الدخول ، مع إنى لا أشكل لها أى عدوان من أى جهة .. فضحك وحول الحديث الى اعتذار سارتر عن زيارة بيروت ، لأنه ملزم بأن يذهب فور إنتهاء الزيارة الى قبرص كبلد محايد .. ومن هناك الى اسرائيل ومن بعدها الى فرنسا ليذهب الى محكمة برتراند راسل .وإن هذا الرد منه يعتبر ردا على رسالة سهيل التى بعث بها الى سارتر والتى المح له فيها انه الشخص الذى كلمه فى ترجمة ( نقد العقل الذاتى ) .. وذكره أيضا بأنه الشخص الذى اغلق على اصابعه باب العربة .. وعندما نقلت هذه المحادثة الى الدكتور سهيل فى حضور الاستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. تهلل وجهه ونصحنى بتسجيل هذه المقابلات فورا .. بينما لامنى صلاح وقال أننى زججت نفسى فى معترك صعب .

كنت متأكدة إذا عن طريق ما كتب ورأيته بنفسى وتأكدت من بعض اطرافه .. بأن العلاقة الثلاثية قائمة بين الرفقه .. ولكن ما أن اتيت بذكرها أمام الحكيم .. حتى ارتفع صوت الحكيم مرة أخرى يهدر بى ويزبد : (كيف تتطاولين أنت على هؤلاء الفلاسفة العظام .. العمالقة حجما .. النصعاء سيرة .. هل هم اناس عاديون حتى تخوضين وأنت فى هذه السن فى سيرتهم هكذا وبهذه الطريقة المشينة غير الصادقة أو الامينة .. كان صوت الحكيم فى لقائى على غير عادته ـ عادة الحكيم أنه عندما يتكلم فى السياسة خصوصا فى السياسة .. أن ينظر الى يسراه ويمناه بتوجس .. ولا يتكلم إلا إذا تأكد من عدم وجود مسجل ـ بل كثيرا ما يقول لى : إياك أن تكتبى هذا الكلام وإلا حرمت عليك دخول مكتبى .. وعندما دعانى نجيب محفوظ هذا العام لأن أدخل معه لتوفيق رفضت .. غير أنه رجانى .. لأن توفيق يداعبه احيانا كثيرة بأنه قد استحوذ على كل الضيوف ـ ولكن الظاهر أننى احرج الحكيم دائما من همسه الى ضخبه .. ربما لجهلى بطبيعة شخصيته وتفكيره ..

مع هدير الحكيم هذه المرة أتي جريا الاستاذ احمد بهجت .. وقف على عتبة الباب .. وضع كوعه يستند على المقبض



الاقصر .. البيلون الامامي والمسلة لمعبد الكرنك



سيمون دي بوفوار

ليتابع الحديث ، فيوجه له الحكيم الكلام : (تعال ياسيد احمد واستمع لما تقوله هذه الفتاة . هل تصدق أن علاقة ما يمكن ان تنشأ بين السيدة المسنة سيمون دى بوفوار ورفيقهم الشاب الصغير كلود لانزمان- ؟ تصور هذا الافتراء ؟ ألا .. واسمع انها تقول أنه شيوعى ويهودى أيضا تصور ياأحمد- ؟ واين سيقف سارتر من هذه العملاقة .. عندئذ جاء رد احمد بهجت : والله البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .. إنتظر عايدة وستمدك عايدة بوثائقها عما هو زعم فى رأيك الآن . هدأ الجدل .. ولكنه مازال يتعجب : يا أخى إنهم عندما قدموا الى الأهرام واستقبلتهم أنا عند المدخل .. كانوا يصرون على أن أدخل أنا أولا .. وتكرر ذلك فى الصعود الى السلم بل الى الدخول الى مكتبى . واستطرد من ذلك الى الحديث عن اهتمام الجمهور الفرنسى — فذكر أنه فى زيارته الأخيرة لفرنسا وكان ذلك من سبع سنوات .. ( ركبت المترو ولم أجد مكانا خاليا ، فوقفت .. ولكن شابا من الجلوس أخذ يتصفحنى مليا .. ثم هب واقفا ليدعونى للجلوس فى مكانه . وهنا انفجر احمد بهجت ضاحكا وهو يقول : (دائما ياأستاذ الحكيم تفسر رقة السلوك الفرنسى بأنه دليل شهرتك .. أن لائحة المترو ايضا تحتم على الشبان أن يقوموا للشيوخ، وفر أحمد بعد هذه الكلمات هاربا .

## تقول سيمون فى المذكرات

وفى اليوم التالى ذهبت بقصد الى الاستاذ الحكيم .. محملة بما استطعت من المذكرات التى سجلتها سيمون وقد جلست طول الليل السابق اضع خطا تحت المقاطع التى تؤيد كل ما أبديته للحكيم بالأمس .. وجلس الحكيم يقرأ . وتقول سيمون فى هذه المذكرات : وفى هذه العطلة كان لانزمان قد قام برحلة الى اسرائيل .. وعاد الى باريس بعد اسبوعين من وصولي وشملنا شعور بالفرح الغامر .. وبدا نبنى مستقبلنا وكل منا يروى ماضيه للآخر .. وبالرغم من أن لانز مان كان يصغرنى بسبعة عشر عاما ، فان هذا الفرق لم يكن يرعبنا ، وقد كنت بحاجة الى زمن لألزم قلبى بهذه العلاقة ، لأنه لم يكن واردا أن استبدل بتفاهمى مع سارتر تفاهما آخر .. كان (الجرين) ينتمى الى قارة أخرى ، و(لانزمان) الى جيل آخر . لقد قبلنى جملة وتفصيلا ، بماضى وحاضرى ومع ذلك فان اتفاقنا لم يتم فى لحظة واحدة .. كانت الاجازات التى كنت اقضيها كل عام بعيدا عن فرنسا مع سارتر تطرح علينا مشكلة : إننى لم أكن اريد أن اتخلى عنها ولكن فراقا يدوم شهرين سيكون شاقا علينا كلينا ، أنا ولانزمان ... واتفقنا أن يجيىء لانزمان كل صيف ليقضى عشر أيام مع سارتر ومعى .... وانتظمت حياتنا : وكنا فى الصباح نعمل جنبا الى جنب ، وكان قد عاد من اسرائيل بملاحظات كان يريد أن يفيد منها لكتابة روبرتاج . ولقد حررنى حضور لانزمان الى جانبى من عمرى وظللت أقابل سارتر كالسابق ولكنا اتخذنا عادات جديدة ... لكننى كنت قلقة .. كنت قد خشيت ألا يقبل لانزمان علاقاتى مع سارتر ولقد كان الآن يحتل فى حياتى مكانا كنت اتساءل معه عما إذا كان تفاهمى مع سارتر لن يتأثر بذلك ، ولم أكن أنا وسارتر نعيش بنفس التلازم السابق . فهو لم يسبق لـه ان استغرق فى السياسة وفى كتابته وفى عمله كما هو مستغرق الآن ، أما أنا فكنت افيد من شبابى العائد ، كنت استسلم لحظات ... لاشك اننا سنبقى دائما صديقين حميمين ، ولكن اترى يمكـن ان ينتهى ذينك المصيريـن الممتزجين حتى الآن ؟ ولكنى استعدت الاطمئنان فيما بعد .. إن التوازن الذى حققته ، بفضل لانزمان ، وسارتر واحتراسى الخاص كان جديرا بأن يستمر .. وقد استمر ) .

احداث ، وتفاصيل .. ذهل الحكيم وهو يقرؤها .. واستعد للكلام .. ولكنى أشرت له أن يقلب الصفحات ليتأكد من تأثير هذه العلاقة على الجوانب السياسية والأيدولوجية فيجد سيمون قد كتبت : (هبطت الى سان تردبيز بصحة لانزمان .. وفيما كنا نسير كنا نتحدث عن روايتى التى كنت قد أعرته مسودتها .. وكان له حس نقدى دقيق ومرهف .. وقد اعطانى نصائح طيبة وافادنى بانتقاداته ، وقد بدأت انزعج منها ، ثم أدركت النقص الذى كان يثيرها .. وكنت احمل هما كبيرا بسبب هذا الكتاب .. وكنت قد قلبته رأسا على عقب ، وحين اعاد سارتر قراءته سنة ٥٢ لم يكن راضيا عنه بعد .. .. أما لانزمان فقد اقنعنى أكثر منه بالمضى والمثابرة . كان يقرأ النص للمرة الأولى .. وكان أشد تأثرا بحسناته منه بسيئاته .. وهكذا عدت الى الرواية .. ولكنى غالبا ما كنت اكظم غيظى ... كان العنوان يقلقنى .. وكنت قد عدلت عن تسميتها ـالأحياءـ واخترت عن طوع ـ المشتبهـون ـ .. إن الموضوع الجوهرى فى الرواية كان التباس وضع الكاتب .. وكان سارتر يقترح له ( السحرة ) فقد كنا نشبه انفسنا بأولئك السحرة والمشعوذين والشعراء الذين كانت المجتمعات الأفريقية تحترمهم وتخافهم وتحتقرهم فى وقت واحد .. ولكن لانزمان اقترح أن يكون الأسم ببساطة ـ المثقفون ـ .

## الحكيم يتعجب !

قرأ الاستاذ الحكيم كثيرا من الصفحات بان عليه التعجب والاقتناع فأضحت الأذن لاتستمع الى رأيه الأخير فقال : (أمامنا مائة سنة على الأقل حتى نكتب أو نحيا أصلا مثل هذه التجارب) فلم اشأ أن اراجعه أو أذكره بثورته علي أمس .. إنصرفنا بعدها الى احاديث شتى .

كانت هزيمتنا فى فشل هذه الرحلة التى قت لها الطبول واستنفرت لها العقول والتى نتوت بتأييد سارتر لاسرائيل .. مع حق للاجئين فى العودة الى ديارهم .. سابقة شهرين فقط للنكسة الشهيرة ونبعهما واحد ذ مامن جيش انهزم عبر التاريخ قبل أن ينهزم فكره ذلك اننا خدعنا على المستوى لفكرى لأن سارتر كان قد جاء بشبه فكرة سبقة غذاها لانزمان بملاحظاته لأشاراته فى كل دروب الزيارة ومنعطفاتها .. ولم يكن المشرفون على الرحلة قد قرأوا عنها ليتقوا أثرها .. كخديعتنا فى النكسة لأننا لم نكن قد قرأنا كما قال موسى ديان ماكتبه عن العدوان الثلاثى على مصر سنة ٥٦ ..

ثم اليس من السذاجة أن ينقل حضور لانزمان كضمان لحياد الرحلة .. ولا نشترط عليه أن يصطحب شخصا مواليا للعرب الى اسرائيل .. وماالذى افادتنا به كلمات سارتر المهدئة .. عندما سافر له بعد تأييده دولة اسرائيل كل من لطفى الخولى ومحمود أمين العالم .. ليستفسروا عن سبب هذا البيان فقال لهم : (ربما خدعت كالآخرين ) أو عندما إنقطع على السمان عن زيارته أو السؤال عنه تليفونيا ـ بعد أن كانت الصداقة قد نشبت بينهما ـ إتصل به سارتر ـ كما قال لي على ـ وقال له ياعلى إن موقفك متعنت تجاهى فلو إنى خدعت كانسان فلابد أن تتعلم انت تجرد الانسان الذى أمامك .. عليك أن تقبل منه الجانب الذى يعجبك فيه .. وتغفل الجانب الذى لا يعجبك منه ..

وكيف لا يخدع سارتر عبر سيمون ؟ إن من يقرأ بتأمل ظروف دخول لانزمان الى عالمهما يكتشف على الفور كيف اقحمته يد خفية عليهما .. إذ كيف يوقف شخص حياته هكذا دون أن يكون قد حسب حساب خطوه وفوزه بصورة ما ؟ وعلى كل فليس غريبا أن يقع فيلسوف كان ملء السمع والبصر كسارتر فريسة الصهيونية العالمية .. أو اليد الخفية ـ فلكل عالم هفوة ـ فقد سبق لهذه القوى أن قلبت دولا ونفضت عنها كل مذاهبها .. ثم ألم يسبق أن قالت سيمون على لسان سارتر : ( قد يسقط إنسان مادامت الظروف لا تسمح غالبا بأى تجاوز آخر غير الخضوع )

ولكن سارتر الذى كان يحتقر حيل الحياة .. لم يكن يستطيع أن يتلذذ طويلا بأن يغطى جموده وسلبيته باحتجاجات كلامية .. لقد ادرك أنه ، إذ يعيش فى المؤقت لا فى المطلق ، مدعو إلى أن يتراجع عن أن (يكون)ليغرم على أن (يعمل)، وقد عمل فعلا بعد ذلك على نقض هذا الموقف المخزى تجاه العرب ـ ولا نستطيع أن نقول بعد الأوان فكل الآنات قبل مادامت القضية الفلسطينية ـ فقد امتنع منذ زمن طويل عن توقيع البيانات التى تؤيد دولة اسرائيل بينما إستمرت سيمون توقعها تحت تأثير كلود لانزمان .

● ● ● ●

## حساب الخسائر والمكاسب !

إن ذلك كله لم يمنعنا من وضع حساب ، خسائر ومكاسب .. حققتها الزيارة لقد انبهر سارتر بالأثار المصرية .. والمشاريع العمرانية فى السد العالى .. وانتهى وهو الذى ظل طويلا متشككا فى جدوى التجربة المصرية بأن يقف بين الفلاحين فى كمشيش ليهتف لشعب مصر ويدعو لتقدمه .. مما يدل على أن سارتر قد جاء الى القاهرة بعقلية المفكر السياسى المتفائل فى تقدم العالم الثالث وفى مقدمته الجمهورية العربية المتحدة بينما كان عدد من المثقفين ـ على وجه التحديد ـ يسعون الى سارتر الوجودى العدمى المتشائم .

أضف الى ذلك عدم معرفتنا الدقيقة للتركيبية النفسية التى كتب عنها الكثير : بأنه عندما ينفعل بشىء أو اثر أو حدث فانه يهب له نفسه تماما .. فما كان من المستطاع مع هذه السمة أن يستمع الى مناقشات حول نقد العقل الجدلى أو بسؤال عن انقسام اليسار وهو يستمع الى شرح حول السد العالى وقنوات التحويل .. وما كان فى الامكان ان يثنيه تعب وجهد وإرهاق عن متابعة الحركة المسرحية التى انتهت بالتعبير المركب العشوائى .. وما كان له وهو المهذب أن يراجع الدكتور حسين فوزى أو يصدم كلمات التمجيد الكلاسيكى للشعب الفرنسى .. الذى طالما حمل له سارتر كثيرا من البغض لا سيما أيام حرب الجزائر وهتافاتهم (الجزائر فرنسية) وكان دائما يصفهم بالفاشست : لأن الانسان كل انسان فى فرنسا كان شريكا فى الجريمة .. لأنهم يفيدون جميعا من استغلال المستعمرات .

إن سارتر بمثل ماأحب المصريين وجموعهم وحشودهم كانت تحدوه دائما رغبة عارمة فى أن يلتقى بهم مواجهة وبلا وسيط بدليل أنه كان يضيق بشروح المترجمين أوقات زيارته للآثار .. لأنه كان يحب التأمل وحده ويتلقى الاجابة على مايريد أن يعرف فقط .

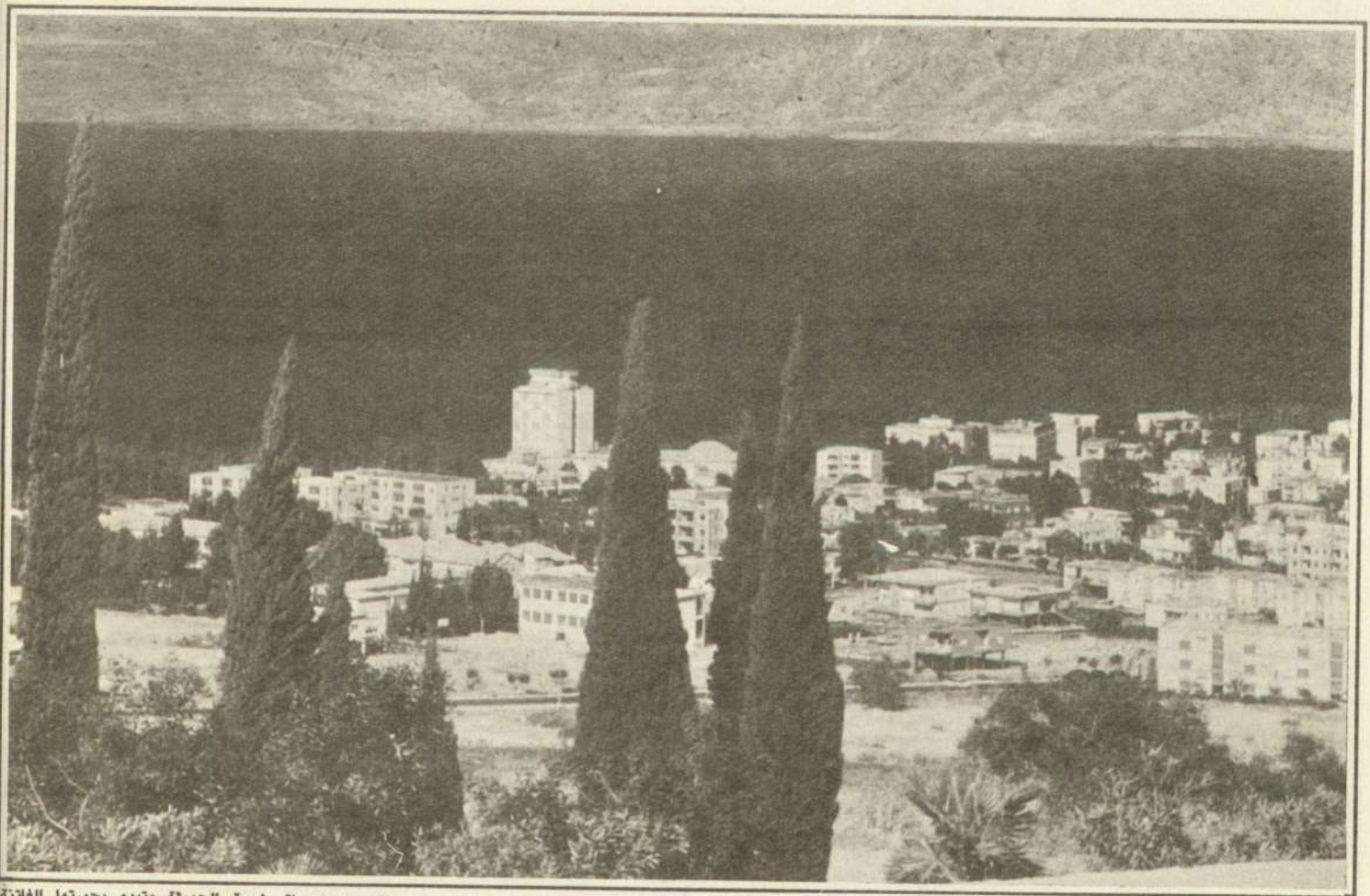
كان يجب ان تترك الرفقة لتلقائية الاحساس المباشر والمعرفة المباغتة .. وكان ذلك سيكون أجدى .

**عايدة الشريف**

وجه مدينة من فلسطين

# طبرية
## قيثارة الجليل

نبيل خالد الأغا



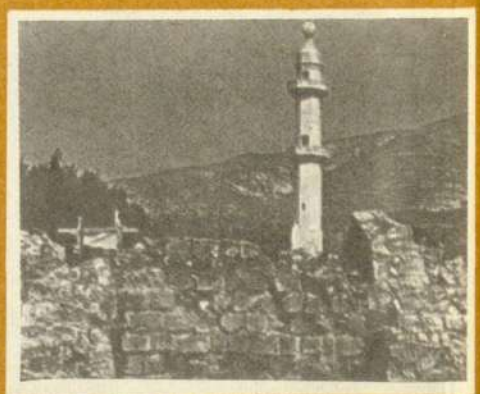
منظر عام لمدينة طبرية الحديثة وتبدو بحيرتها الفاتنة

طبرية .. اسمها خالد فى دنيا الجمال والجاذبية ، لا يستطيع احد إدراك عمق جمالها إلا حين يراها بعينيه ويتحسسها بيديه ، ورئتيه ووجده ووجدانه . واسم « طبرية » منقوش فى ذاكرة البهاء نقشتين : اولاهما : طبرية البحيرة وثانيهما طبريه المدينة ..

أما البحيرة فتسمى أيضا ببحر الجليل .. وهى فى شكلها الذى اوجدها الله عليه تشبه القيثارة . ويبلغ طول سواحلها حوالي ٥٣ كم وابعد عمق لها يصل الى ٤٥ مترا . أما طولها فيبلغ ٢٢ كم وعرضها ١٢ كم تقريبا . أما متوسط انخفاض البحيرة عن الابيض المتوسط فيبلغ ٢١٠ امتار .

تاريخ البحيرة قديم جدا ، ولعل أول ذكر لها هو الذى ورد فى انجيل « يوحنا » ويقال أن السيد المسيح عليه السلام قد دخلها مع بعض حواريه ذات صباح ، فهبت رياح شديدة احدثت الهياج فى مياه البحيرة الهادئة ، فانتهرها عليه السلام « فصار هدوء عظيم » كما ورد فى الانجيل . ويقال ايضاً بانه اختار اربعة صيادين من اتباعه العاملين بالبحيرة فارسلهم لنشر رسالة المحبة والسلام .

لقد كانت البحيرة ـ وما برحت ـ فتنة للمشاهدين ، ومنبعاً لأخيلة الأدباء



- طبرية فتنة المشاهدين ومنبع لإلهام الفنانين والشعراء
- الخلفاء الأمويون أقاموا قصورهم على ضفافها افتتانا بها
- أمضى المتنبى ثلاثة أعوام على مشارفها فأوحت له بقصيدة رائعة .. وكذلك فعل الأمير شكيب أرسلان
- إنها إحدى المدن المقدسة الأربع عند اليهود



الصيد فى بحيرة طبرية

والشعراء ومرهفى الاحاسيس ، وقد كان الخلفاء الامويون اكثر من اخذوا ببهاء مناظرها ، وروعة مشاهدها فاقاموا على ضفافها قصورا شتوية فخمة لهم .

ويحدثنا التاريخ بان موكب القائد المظفر موسى بن نصير قد مر بسواحل البحيرة وهو فى طريقه الى الشام قادماً من الأندلس بناء على تعليمات الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

## البحيرة : الهام الشعراء

وفى طبرية امضى ابو الطيب المتنبى ثلاثة اعوام فى ضيافة صديقه ابى الحسن الطبرستانى ، وقد اوحى جمال البحيرة الاخاذ للمتنبى بقصيدة جاء فيها :

كانها فى نهارها قمرٌ
حَفَّ به من جِنانها ظُلَمُ
تَغَنَّت الطير فى جوانبها
وجادت الارض حولها الدِّيَمُ

وفى إحدى قصائده تغنى امير البيان العربى شكيب ارسلان ببحيرة طبرية فى قصيدة رائعة قال فيها :

بحيرة كل شانها عجبُ
وهي من الحسن كلها غُرَرُ
مراة نور من السفوح لها
إطار نور لم تَحْكِه الأطُرُ
كانها فى صفائها فلك
وفلكها فيها انجُمٌ زهرُ

ولابن طبرية وقاضيها الشاعر طاهر الطبرى قصيدة ورد فيها :

الماس إن سالوك عنه فقل لهم
هذى البحيرة سطحها الماسُ
واللؤلؤالوَضّاح فى صَفَحاتها
متناثرٌ هو كله ايناس
والشمس إن عكست اشعَّتَها بها
هَدَلَ الحَمام وانْصَتَ الجُلاّسُ

ومياه البحيرة ذات نفع عظيم للسكان فمنها يشربون ، ويروون اراضيهم ومزروعاتهم ، ومنها يرتزقون حيث يصطادون السمك . الذى تتوفر منه اصناف كثيرة تزيد عن العشرين منها : المشط والقشرى والكرسين والسردين .

## مدينة طبرية

هى إحدى المدن الأربع المقدسة عند اليهود ، اضافة الى القدس والخليل وصفد .

يقال , ان مؤسسها هو الملك «هيرودس» وسماها باسم الامبراطور الرومانى حوالى سنة ٢١ للميلاد .

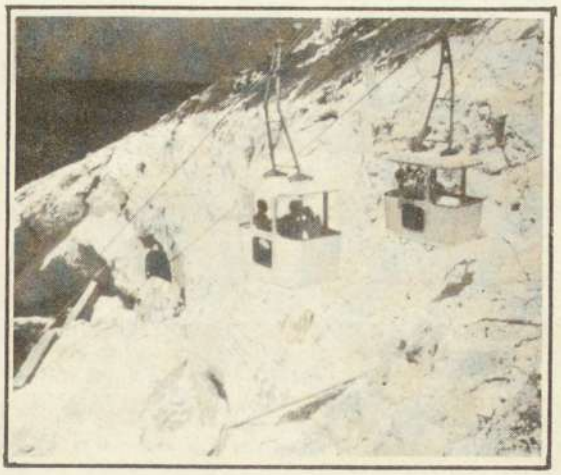
وينبئنا التاريخ بانه عندما احرق القائد الرومانى « تيطس » مدينة القدس عام ٧٠ م حرم على اليهود الاقامة فيها ، لكنه سمح لهم بالسكن فى طبرية حيث اصبحت منذ ذلك الوقت مركزا للديانة اليهودية . ويعتقد بان «التلمود» ـ وهو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود ـ قد جمع وكتب فى طبرية عام ٤٠٠ ميلادية .

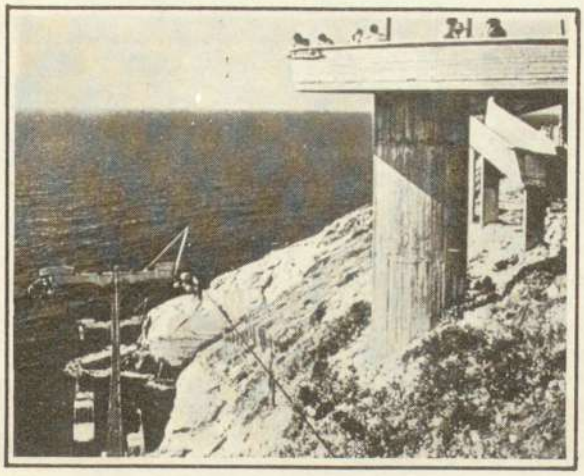
## موقع المدينة

فى سنة ١٣ هـ فتح العرب مدينة طبرية بقيادة البطل شرحبيل بن حسنة ثم اصبحت فيما بعد عاصمة « لجند الاردن » ووصفها المؤرخون بانها «قصبة الاردن ومدينته الكبرى» . وقد احتلت هذه المكانة السامقة بالنظر لوقوعها على طريق القوافل التجارية ما بين دمشق و مصر مارة بالكسوة وغزة وسيناء ثم مصر . وتقع المدينة على منتصف الشاطىء الغربى لبحيرة طبرية ، وهي تبعد حوالى ٢٠ كم عن مصب نهر الاردن ، وتقوم على سهل منبسط يمتد الى الهضاب الغربية والشمالية وقد حباها الله جمالا وروعة ، فقد تجمعت فيها كل مفاتن الطبيعة

# طبرية

## قيثارة الجليل





ومباهجها ، وتمتاز هذه المنطقة بدفء في فصل الشتاء وبجفاف الهواء طيلة ايام السنة ، وبصيف حار لكنه مقبول وله جماله وسحره . كما يقول الاستاذ محمد سلامة النحال .

وتعتبر مدينة طبرية من اهم المشاتى الفلسطينية وقد كان يؤمها الكثيرون من اثرياء فلسطين طلباً للدفء وللاستشفاء ، ولكن يبدو انها كانت مهملة لفترة طويلة من الزمن ، فقد وصفها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى ، بانها : « ضيقة ، كربة فى الصيف ، مؤذية ، بها ثمانى حمامات بلا وقود ، ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون ، وشهرين يقمقمون ، وشهرين يثاقفون ، وشهرين عراة ، وشهرين يزمرون ، وشهرين يرقصون من كثرة البراغيث !! » .

وفى القرن الحادى عشر زارها الرحالة الفارسى ناصر خسرو ، ومما قاله عنها : «.. ولطبرية سور عظيم حصين يبدأ من شاطىء البحر ، ويمتد حول المدينة ، وفى بحر طبرية سمك كثير ، ومسجد الجمعة فى وسط المدينة ، وفى الجانب الغربى مسجد اسمه «الياسمين» وهو مسجد جميل فى وسطه ساحة كبيرة بها محاريب ، وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبياً قتلهم بنو اسرائيل !! » .

وفى عام ١٨٩٢ نزلها الرحالة بيركهارت . ومن ضمن انطباعاته عنها قوله « لا يوجد فى طبرية خان للمسافرين فذهبت الى خورى الكاثوليك وابديت له رغبتى فى الحصول على مفاتيح الكنيسة لأوى إليها ، وقد اعطانى إياها فعلا إلا اننى وجدت المكان يعج بالهوام فانتقلت الى فناء الكنيسة المكشوف

البطل شرحبيل بن حسنة فتحها عام ١٣ هـ. ثم أصبحت عاصمة لـ "جند الأردن"

●

مدينة طبرية تعتبر من أهم المشاتى الفلسطينية وكان يؤمها أثرياء فلسطين

وبت فيه».

### طبرية فى العهد العثمانى

بعد استيلائهم على طبرية عام ١٥١٧م اصدر الاتراك قرارا بتعيين الشيخ ظاهر العمر حاكما عليها . فاخذ ظاهر يوسعها ويزينها ويحصنها .. فبنى قلعتها الكبرى فى مدخل المدينة ، وبنى الجامع الزيدانى فى الحى الشمالى . وماكاد يوطد اقدامه فى حكم طبرية حتى خاض عدة معارك مع خصومه فى الجليل الأعلى ، غير أنه استطاع فى النهاية أن ينتصر عليهم واصبح الشمال الفلسطينى تحت امرته ، فقرر نقل مقره الى عكا ، وواصل الشيخ ظاهر انتصاراته على باقى خصومه فاستولى على الديار اليافية ، والديار النابلسية ، وعقد تحالفاً مع على بك الكبير فى مصر.

### يهود طبرية

حتى القرن الماضى كان يهود طبرية يعيشون فى حى خاص بهم يفصلهم عن بقية البلدة سور عال له بوابة ضخمة تغلق بعد غروب الشمس ، ولا تفتح مصاريعها إلا عند شروق الشمس فى اليوم التالى . وكانت غالبيتهم تعود باصلها الى بولندا واسبانيا وشمالى افريقيا .

ويحدثنا الرحالة الذين زاروا طبريه قبل ثمانين عاما تقريباً بان اليهود كانوا يتمتعون بحرية دينية مطلقة وقد كانوا يتزوجون فى سن مبكرة جدا «ولا يستغرب ان ترى امهات عمر الواحدة منهن احد عشر عاماً او اباء عمر الواحد منهم ثلاثة عشر عاماً ، وحاخام طبريه يتبع الحاخام الاكبر فى صفد الذى يصدر الاحكام النهائية بالنسبة لجميع المشاكل المختلفة فى الشريعة والدين».

ولعمرى هل هناك تفسير لذلك الزواج المبكر جدا سوى زيادة النسل اليهودى تنفيذا لخطة اغتيال الحق العربى وتهويد فلسطين !

وقد جاء فى دليل بدكر ١٩١٢ « يسكن طبرية ثمانية آلاف وستمائة نفس منهم حوالى سبعة آلاف يهودى لهم سبعة معابد ، واكثرهم من مهاجرى بولونيا ويتكلمون الالمانية ويعيشون على الصدقات التى تصلهم من اوربا . وهم يلبسون برانيط «قبعات» كبيرة وسوداء وجبباً عليها فراء حتى فى اشد ايام الصيف حرارة ، وفيها ١٤٠٠ مسلم ، و ٢٠٠ مسيحى » .

والاماكن المهمة التى يتبرك بها اليهود بالمدينة حتى اليوم هى :

١ ـ قبر «ميمو نيدس» وهو عالم لاهوت يهودى ، توفى عام ١٢٠٤ م .

٢ ـ قبر «ماير» وهو اهم مكان مقدس عندهم لاعتقادهم انه كان يقوم بالعجائب !

جانب من بحر الجليل



اغنام ترتع على شاطىء البحيرة



منظر من الجليل



٣ ـ نصب «اكيفا» وهو الذى كتب « المشنة » قبل أن يعتقله الرومان . وكذلك قبور بعض مشاهير علماء التلمود.

## الحمـامـات

ينابيع حارة تنبجس من الارض ، التجا إليها الانسان منذ قديم الزمان ـ ومازال ـ فاستحم فى مياهها المعدنية للتخلص من أمراض الروماتيزم والامراض الجلدية والاضطرابات العصبية والنقرس وغيرها.وقد عرفها الكنعانيون العرب وأسسوا عليها مدينة «حمات» التى تعنى الينابيع الحارة ..

ومن المعروف أن درجة حرارة هذه الينابيع تصل الى ٦٢ درجة مئوية مما يستوجب تبريدها .

وتاريخ حمـامـات طبرية قديم ، وقد جمعت تحت قباب ثلاث قام ابراهيم باشا بتشييد آخرها عام ١٢٥١ هـ . والحمام عبارة عن حوض كبير بجواره حمامات صغيرة يجرى الماء الساخن من خلالها حيث يستخدمه الأفراد للاستحمام . وطوال مدة بقائها كانت هذه الحمامات على امتداد تاريخها وقفا اسلامياً صرفاً ، ولكن بمجرد أن ابتلانا الله بالاستعمار البريطانى اللعين أخذ جلادوه يكتمون انفاس شعبنا ويضيقون عليه رزقه فادعت حكومة الانتداب ملكيتها لهذا الوقف وقام خلاف طويل كانت خاتمته حصول هيئة الاوقاف الاسلامية على ثلث الحصة فقط ! وامعاناً فى قهر المواطنين العرب منحت الحكومة امتياز استغلال هذه الحمامات لشركة يهودية بايجار رمزى !

## قرى القضاء

كان قضاء طبرية ـ قبيل عام ١٩٤٨ ـ يضم ٢٦ قرية عربية ، اضافة الى ٢٤ مستعمرة يهودية منها تسع مستعمرات اقيمت فى العصر العثمانى ، والباقى فى العصر البريطانى ، أما فى الوقت الراهن فقد زالت عن الوجود جميع القرى العربية فى القضاء باستثناء ثلاث منها فقط !

وقد كانت مدينة طبرية هى مركز القضاء ولها اهميتها التجارية والدينية والزراعية فهى المدينة الرئيسية فى منطقة الغور الشمالى ، وتمتاز اراضيها بزراعة الحبوب والخضروات اضافة الى وفرة الاسماك . وهذه المزايا اضافة الى وجود الحمامات المعدنية والمناظر الخلابة والأجواء الصحية جعلت اهالى طبرية يستشعرون السعادة والعافية ، وهناك مثل يضرب فى هذا المقام يقول : «من يعش فى طبرية يسعد بالعيشة الهنية » .

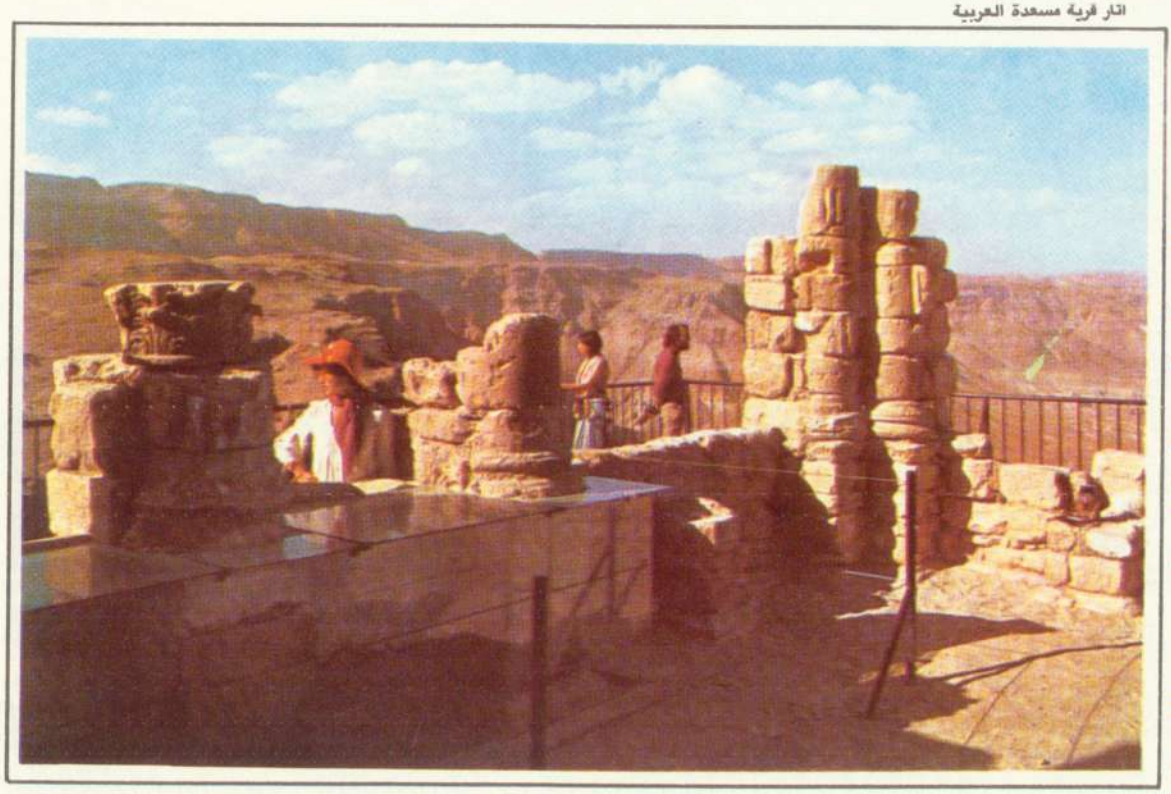
وعلى شاطىء البحيرة مباشرة وفى داخل المدينة توجد كثير من الآثار المسيحية المقدسة مثل كنيسة دير الروم ، ودير المسكوب ، ودير اللاتين المعروف بدير تراسنطة «تراسنطة تعنى الأرض المقدسة» وفى ساحة هذا الدير يقع تمثال القديس بطرس . والحقيقة أن معظم منطقة الجليل مقدسة لدى المسيحيين لأن السيد المسيح عليه السلام تنقل بينها وقام برسالته فيها كالمجدل ، والطابغة ، وكفر ناحوم .

ومن اهم قرى القضاء :

● الطابغة : وهى اساساً كلمة يونانية تعنى الآبار السبـع غير انها حرفت فيما بعد ، وقد مسحها اعداء امتنا من الوجود وحولوها الى مركز سياحى ودينى. ويعتبر خان المنية من أهم المواقع الاثرية على جنبات الطابغة .

● المجدل : وهى كلمة سامية الأصل بمعنى البرج ؛ وهى غير مدينة المجدل

آثار قرية مسعدة العربية



# طبرية

قيثارة الجليل

## حمامات طبريّة مياهها تشفي كثيراً من الأمراض

## أول مدينة فلسطينيّة سلمها الإنجليز لليهود

## الصهاينة يطمسون وجه طبريّة العربي الصبوح

الفلسطينية التى تقع جنوبى فلسطين وتنتسب اليها القديسة « مريم المجدلية » ذات الثروة والصيت الحسن ، وقد آمنت بالسيد المسيح فكانت إحدى تلميذاته فتبعته وقامت بخدمته حتى آخر المطاف .

وقد ازالها الأعداء تماماً واقاموا على انقاضها مستعمرة مجدال .

● سَمَخ : تبعد عشرة كم عن طبرية وترتبط بها عن طريق البحيرة التى تسير عليها مراكب تجارية تتنقل بين المدينة وسمخ . وقد كان لها شان كبير إبان الحرب العالمية الأولى حيث كانت مسرحاً لقوات تركية وبريطانية واسترالية والمانية .

وفى الحرب العربية الصهيونية الأولى عام ١٩٤٨ خاض الجيش العربى السورى معركة ناجحة ضد العصابات اليهودية واستطاع احتلال سمخ لمدة خمسة أيام . ثم اضطر للانسحاب منها لاعتبارات شتى !

وبعد نكسة حزيران كانت سمخ هدفاً لصواريخ الثورة الفلسطينية .

● الحِمَّة : تقع على نهر اليرموك وتبعد مسافة ٢٢ كم جنوبى طبرية و ٦٥ كم جنوبى مدينة القنيطرة السورية .

ويرتبط اسم الحمة بحماماتها المعدنية الفريدة التى تعد من اهم الينابيع فى العالم حتى بالنسبة لينابيع طبرية ذاتها ، فنسبة الكبريت فى ينابيع الحمة مرتفعة جدا بينما نسبة الملح منخفضة جدا عنها فى طبرية . وهناك ميزة أخرى لمياه الحمة تتمثل فى وجود بعض اشعاعات الراديوم فيها .

ومن جانب آخر فقد طبق الفدائيون الفلسطينيون عام ١٩٦٩ فى الحمة مرحلة متقدمة فى صراعهم العنيف مع الكيان الصهيونى وهى مرحلة « الاحتلال المؤقت » حيث استطاعوا احتلال الحمة ورفع العلم الفلسطينى عليها لعدة ساعات .

● ناصر الدين : قرية فلسطينية متواضعة ، ولكنها برزت فى دائرة الضوء ليلة ١٤ نيسان عام ١٩٤٨ بسبب المجزرة الرهيبة التى ارتكبها الصهاينة حيث أبادوها وابادوا سكانها من الوجود ولم ينج منهم إلا من رحم ربى .

● الشجرة : ذكرها ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » بقوله : « اسم قرية بفلسطين بها قبر صديق بن صالح النبى عليه السلام ، وقبر دحية الكلبي » .

وقد اقترن اسم « الشجرة » يوم ١٣ تموز عام ١٩٤٨ باسم الشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود حيث نفذ ارادته والقى بروحه فى مهاوى الردى فى معركة « الشجرة » وهو القائل لهذين البيتين اللذين يحفظهما كل فلسطينى تقريباً :

ساحمل روحى على راحتى
والقى بها فى مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى

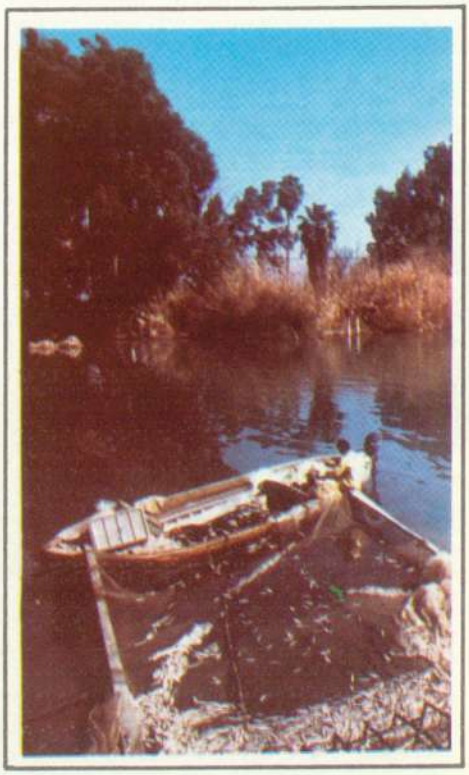
● حطين : تبعد مسافة ٩ كم الى الغرب من طبرية ، وبجوارها تقع «خربة النبى شعيب » حيث يوجد مقامه عليه السلام ، ومقامه هذا تقدسه الطائفة الدرزية ، ويزوره افرادها فى شهر نيسان (ابريل) من كل عام .

وفى سهل حطين وقعت معركتنا الخالدة مع الصليبيين فى ٣ ـ ٤ تموز عام ١١٨٧م حيث احرز عليهم قائدنا البطل صلاح الدين الأيوبى نصرا مبيناً . وقد سقط من الفرنج فى هذه المعركة أكثر من عشرة آلاف قتيل وأسرت آلاف أخرى حتى قيل بأن من شاهد الاسرى ظن أن ليس هناك قتلى ، ومن شاهد القتلى ظن أن ليس هناك أسرى ، وذلك دليل الكثرة الهائلة فى الفئتين .

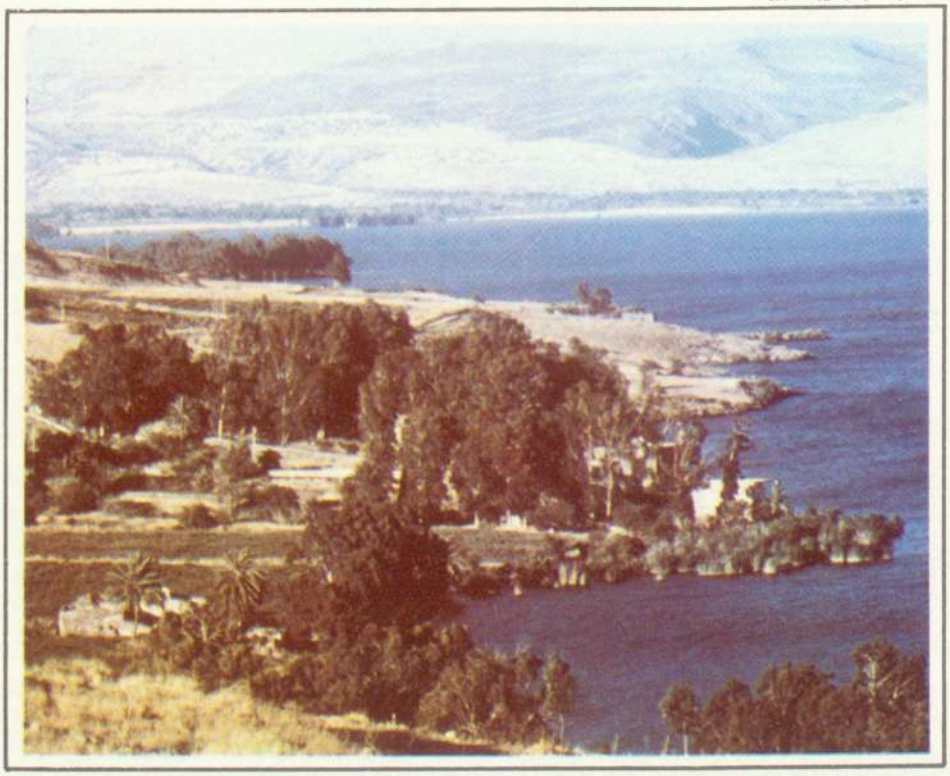
وقد روى ثقاة المؤرخين بان قيادة جيش المسلمين قد وضعت جنديا مسلما واحدا ليقوم على حراسة مائتى جندى صليبى !!

وقد كان ذلك الانتصار يبشر بنجاح

منظر جانبى لبحيرة طبرية



منظر اخر لبحيرة طبرية



المسلمين فى القضاء على اكبر حركة استعمارية هددت المنطقة العربية فى العصور الوسطى . وقد تم لصلاح الدين الايوبى بعد معركة حطين تحرير عكا ونابلس وحيفا وبيروت وصور وصيدا والناصرة والقدس وعسقلان والرملة . وقد خلد العماد الأصفهانى تلك المعركة بقصيدة جاء فيها :

يايومَ حطين والابطال عابسة
وبالعَجاجة وجه الشمس قد عَبسا
رأيتَ فيه عظيمَ الكفر مُحتَقَرا
مُعفَّرا خدّه والأنفُ قد تَعِسا

هذا وقد طرد الصليبيون الجدد سكان حطين من قريتهم بعد أن مسحوها من الوجود وكانهم يهدفون الى مسح تاريخنا وامجادنا ، ومابرح اهل حطين – وكل امة الاسلام – فى انتظار حطين جديدة ، وصلاح الدين جديدا ، لمقارعة الصليبية الجديدة !!

● ●

كان سكان طبربة يعيشون حياة مفعمة بالتالف والاخاء فيما بينهم ، لا فرق بين مسلم ومسيحى ويهودى ، برغم كثرة عدد اليهود وتوسط عدد المسيحيين ، وقلة عدد المسلمين ، ولكن عندما اصدرت بريطانيا وعدها الغادر باقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين تغيرت النفوس ، وشحنت القلوب بالموجدة والكراهية ، وكانت ليلة النصف من شهر نيسان ليلة لا تنسى فى طبرية ، فقد فاجا اليهود المواطنين العرب من مسلمين ومسيحيين بهجوم كاسح نتج عنه احتلالهم وسيطرتهم الكاملة على الأحياء والمساكن العربية . وقد حدث ذلك كله برغم وجود الجيش البريطانى فى فلسطين ، بل ان قيادة هذا الجيش ذاتها – وبناء على خطة مسبقة مع اليهود – ارسلت نحو ٢٠ شاحنة تم حشر جميع العرب فيها وأرسلوهم الى الناصرة ووضعوهم فى الاديرة والجوامع ، وكان اليهود مصطفين على الطريق يضحكون ويؤشرون بأصابعهم اشارات قذرة ، ثم اندفع اليهود الى بيوت العرب ونهبوا كل ما فيها من اثاث ومؤن ثم احتلوا البيوت وسكنوها كما يقول السيد طلعت السيفى احد ابناء طبرية ممن شهدوا ذلك المشهد المأساوى !

## الضياع .. الضياع

واخيرا قام البريطانيون بتسليم طبرية الى العصابات اليهودية فى ١٩ نيسان عام ١٩٤٨ ، فكانت بذلك اول مدينة فلسطينية يسلمها البريطانيون الى اليهود ايام حكمهم الظالم كما يروى استاذنا القدير مصطفى مراد الدباغ .

## حاضر طبرية

لقد طمس اعداؤنا وجه طبرية العربى الصبوح ، ولم يعد المتنبى ولا أحفاده يصفون أو يتغزلون بجمالها الفاتن ، فلقد اضحت طبرية مصدرا لخيالات الشعراء الصهاينة ، وقبلة لمتدينيهم وزوارهم . إن عدد سكانها اليوم يزيد عن ثلاثين الف نسمة ! وهى تعتبر من المراكز السياحية المهمة فى الجليل ، بعد ان انشا اليهود عدة ضواح جديدة فيها ، وحدائق عامة وفنادق فخمة تزيد عن الثلاثين ، ومبان حديثة ، ومسابح كبيرة . وعدداً من الاستراحات ومضافات الشبيبة . وفيها ايضا محطة للزوارق البحرية . ومحطة لمراقبة الاشعاعات النووية . وتقوم المراكب الصغيرة بنقل الركاب فى البحيرة لزيارة المستعمرات المنتشرة حولها ، وتناول وجبات السمك الطازجة التى تقدمها مطاعم المدينة لعشرات المئات من الزوار الذين يقضون عطلة نهاية الاسبوع فيها .

إن طبرية وكل المدائن والقرى الفلسطينية الأسيرة .. وأكثر من مليون أسير عربى يستصرخون ضمير العالم لانقاذهم من وطأة الاحتلال الصهيونى البغيض .

**نبيل خالد الأغا**

جمال الغيطاني

# عندما يصل الإسلام إلى وسط أوروبا

بودابست : كانت المدينة حتى ١٨٧٢ تتألف من مدينتين متميزتين ، بودا على ضفة الدانوب اليمنى ، وبست على الضفة اليسرى .



.. يخترق الدانوب مدينة «بودابشت» يقسمها الى جزئين كانا حتى القرن الماضى منفصلين ، « بودا » على الضفة الشرقية ، و «بشت» على الضفة الغربية، وتقع « بودا » فى منطقة جبلية ، تتناثر البيوت والشوارع على المرتفعات الجبلية التى كستها خضرة الأشجار بطابع فريد ، يذكرنا الى حد كبير بمنطقة ابو رمانه المتدرجة فى الارتفاع على سفح جبل قاسيون بدمشق .

فى قلب « بودا » ميدان «الموسكوفاتير» حيث تنتهى وتبدأ خطوط المواصلات والترام ، ومنه ايضاً يبدأ طريق مرصوف يرتفع على مهل ، وبعد قطع مسافة يبدأ تغيير واضح فى المعالم .

تختفى المبانى متعددة الطوابق ، تصبح من طابقين او طابق واحد ، يتغير شكل البوابات لتصبح شبه مستديرة ، مغلقة برتاج خشبى ثقيل تذكرنا على الفور بمداخل البيوت العربية القديمة ، أما النوافذ فمستطيلة ، بارزة عن الواجهة ، الزخارف ذات طابع شرقى ، تلمح فيه العين بسهولة تأثيرات عربية ، الطريق يصبح مرصوفا بالحجارة المضلعة ، يبدو واضحاً أن المسافة لا تنقضى فقط فى المكان ، إنما ترحل عبر الزمان ، الى زمان بعيد يرجع الى القرن السادس عشر الميلادى عندما غزا العثمانيون مملكة المجر ، واستمر حكمهم مائة وخمسين ، وكان من الطبيعى ألا تمضى هذه السنوات الطويلة بدون أن تترك أثرها ، أثر مرئى يتمثل فى العديد من المنشآت التاريخية ، كالمساجد ، والمآذن ، واضرحة بعض الأولياء ، وأثر خفى ، ترسب فى العادات وبعض أسلوب الحياة اليومية ، وكلمات اندمجت فى اللغة المجرية حتى الآن بعضها عربى أصيل .

يمضى بنا الطريق الى منطقة القلعة ، قلعة الصيادين المطلة على نهر الدانوب الجميل ، هنا نجد كنيسة «اشتفان» التاريخية المشهورة ، ومبنى فندق

- بدأ الحكم العثماني للمجر في عام ١٥٤٠ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة بودا
- توافد الجنود في البداية مع عائلاتهم .. ثم أقاموا في بيوت شيدوها في المدن
- عندما بدأت ملامح المدن المجرية تتغير في اتجاه الطراز العثماني أو الشرقي

مسجد حسن ياكوفيل في مدينة بيتش



الهيلتون الذى اقاموه على الطراز القديم حوله تتفرع أزقة ضيقة ، جميلة ، تبدو البيوت خلالها راسخة ، موغلة فى الزمن ، منطوية على الكثير من الاسرار ، وفى الجانب المطل على «بودا» نفاجا بمقبرة رخامية قديمة ، شاهدها عليه بعض الآيات القرانية باللغة العربية ، وعبارة «رحمة الله عليه» ، إنها مقبرة قاسم باشا أول حاكم عثمانى لمنطقة بودا بعد بدء الغزو العثمانى عام ١٥٤١م ، فى هذه السنة بدأ الحكم العثمانى للمجر أثر حملة عسكرية قادها السلطان سليمان القانونى فى إبريل من هذا العام ، كانت المجر تمثل منطقة هامة ، إذ أن السيطرة عليها تعنى السيطرة على وسط أوربا باكمله ، وشبه جزيرة البلقان ، وتهديد النمسا التى كانت تحكمها اسرة الهابسبورج ، وحول المجر دار صراع عنيف بين العثمانيين والنمسا ، تخللته عدة حروب ، كان ملك المجر سجيسمون قد توجس ضيفه منذ غزو العثمانيين لمنطقة الصرب ، وبلغاريا ، ولجا الى بابا روما ، واستجاب البابا لنداء عاهل المجر فاعلن اشارة الخطر فى اوربا ، ودعاها الى اتحاد مسيحى جديد ضد الغزاة المسلمين ، وكانت هذه الحرب بمثابة حروب صليبية حديثة راح البابوات يحرضون عليها لمدة تزيد عن قرنين ، لقد بدأت هذه الحروب فى سنة ١٣٩٦م ، وكان النصر حليف العثمانيين ، وكانت آخر الحروب عام ١٦٨٤ وفيها اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبان مالطة والبابا و روسيا ، واستمرت حتى عام ١٦٩٥ ، وانتهت بانكسار السلطنة العثمانية وجلائها عن المجر .

## العثمانيون والمجر

.. بدأ الحكم العثماني للمجر فى عام ١٩٤١ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة (بودا) ، وحتى عام ١٥٤٣ تساقطت المدن الهامة واحدة إثر الاخرى ، وفى هذه المناطق بدأت الحياة اليومية تتاثر باسلوب الحياة العثمانى ، توافد الجنود فى البداية مع عائلاتهم ، واقاموا فى بيوت خاصة شيدوها فى قلب المدن المحتلة ، وجرى تغيير النظم القضائية ، وبدأ بناء عدد من المساجد فى كل مقاطعة لاقامة شعائر الصلاة ، ومبانى للتكايا الخاصة بالدراويش ، واسواق على الطراز الشرقى ، من هنا بدأت ملامح المدن المجرية تتغير فى اتجاه الطراز العثمانى ، أو الشرقى ، كان هذا التغيير عميقاً ، وبنفس القدر الذى تمت به التحولات السياسية والاقتصادية ، وانعكس ذلك فى المظهر . شكل المنازل التى اصبحت تقارب الطراز الشرقى ، بروز المشربيات التى تحجب الناظر من خلفها ، والبوابات الفسيحة التى تؤدى الى مدخل خاص ينتهى فى فناء فسيح تطل عليه النوافذ الداخلية للبيت .

كما اصبح لكل مدينة سوق مركزى ، مغطى ، يشبه الأسواق الشرقية ، والعربية ، التى تخصص لكل سلعة معينة قطاعاً معينا ، ولاتزال هذه الأسواق قائمة فى المدن العربية القديمة ، تتوحد فى مظهرها ومضمونها الخفى ، ولكن أهم بناء قام فى المدن المجرية هو المسجد ، فى البداية حول العثمانيون بعض الكنائس القليلة الى مساجد ، واستلزم ذلك عدة خطوات ، منها فرش أرضية الكنيسة بالسجاد ، وإزالة اللوحات والصور ، ونقش الجدران بزخارف عربية واسلامية ، وكتابة بعض الآيات القرآنية على الجدران ، وإقامة المحراب فى الجهة الجنوبية الشرقية ، وهو اتجاه القبلة الى الكعبة فى المجر ، وبناء حاجز يفصل القسم الخاص بالنساء والذى يؤدين فيه الصلاة بمنأى عن الرجال ، وبهذا تتحول الكنيسة الى مسجد ، غير أن عدد الكنائس التى جرى تغييرها محدود جدا ، وأهمها ، كنيسة بودا ، وكنيسة بيتش فى الجنوب ، وكاتدرائية ايجر .

## المدارس والحمامات

ثم بدأ العثمانيون فى بناء المساجد ، وكانت كلها على الطراز العثمانى ، حيث الصحن المكشوف يؤدى الى قاعة

## ● بعض جدران المسجد لاتزال مغطاة بالنقوش الإسلامية الملونة

الصلاة ، التى تعلوها قبة كبيرة ، وفى الركن الأيمن تقوم المئذنة النحيلة ، الصارمة ، التى تشبه مآذن استانبول الشهيرة ، وأحيانا كانت تستخدم بعض حجارة الكنائس القديمة فى بناء المسجد الجديد ، الذى كان يقوم عادة فى مركز المدينة ، فى قلب ميدانها الرئيسى ، أو يبنى فى مواجهة إحدى الكنائس المشهورة ، مثل مسجد بودا الذى شيد بالقرب من كنيسة سانت أوجستين ، بالاضافة الى المساجد ، قام العثمانيون ببناء بعض الاسبلة التى كانت تحوى ايضاً كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، وبنوا عددا من الاضرحة للأولياء والدراويش واشهرها ضريح «جولى بابا» احد مشايخ الطرق المولوية الشهيرة ، ولازال قبره قائماً فى «بودابست» ويسعى بعض الاتراك لزيارته قاطعين مسافات بعيدة حتى يصلوا اليه ، وبالقرب من المساجد قامت بعض المدارس ، والحمامات ، وعادة كان الباشا التركى الذى قام ببناء المسجد ينشىء عددا آخر من هذه المبانى لتحمل اسمه .

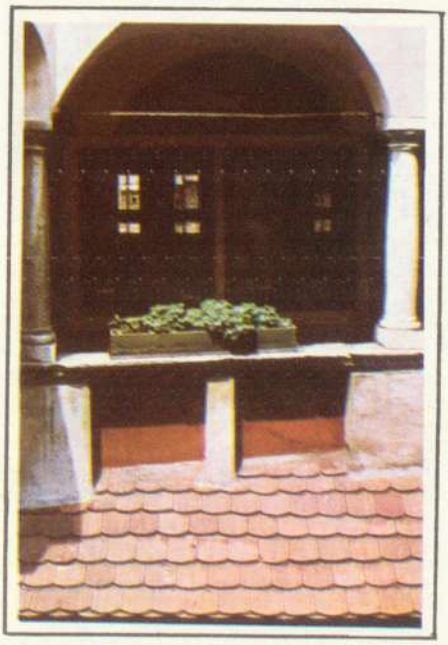
### مسجد الغازى

.. الطريق الى مدينة «بيتش» فى الجنوب مكلل بخضرة كثيفة ، مغسولة بمياه المطر ، المدينة ترقد بين سلسلة من المرتفعات الجبلية ، تبدو بمنازلها القديمة ، وحواريها المبلطة بالحجارة ، وتدرج شوارعها فوق الصخور ، كأنها متحف حي ، مسكون ، بمجرد أن ينتهى الطريق المؤدى الى « بيتش » فى الميدان الرئيسى ، نفاجأ ببناء ضخم اسلامى الطراز ، تعلوه قبة هائلة عثمانية الملامح ، انه مسجد الغازى قاسم باشا ، أول من حكم مدينة «بيتش» بعد الغزو العثمانى ، المسجد يتوسط المدينة ، يلقى بظلال كثيفة على كل جزء فيها ، حتى وإن أوليته ظهرك ، انه مركز الاشعاع المكثف لهذه الروح الشرقية لبيتش برغم مظهرها الأوربى

جامع بكس الذى تحول الى كنيسة



طابع البناء العربى داخل بيت مجرى قديم

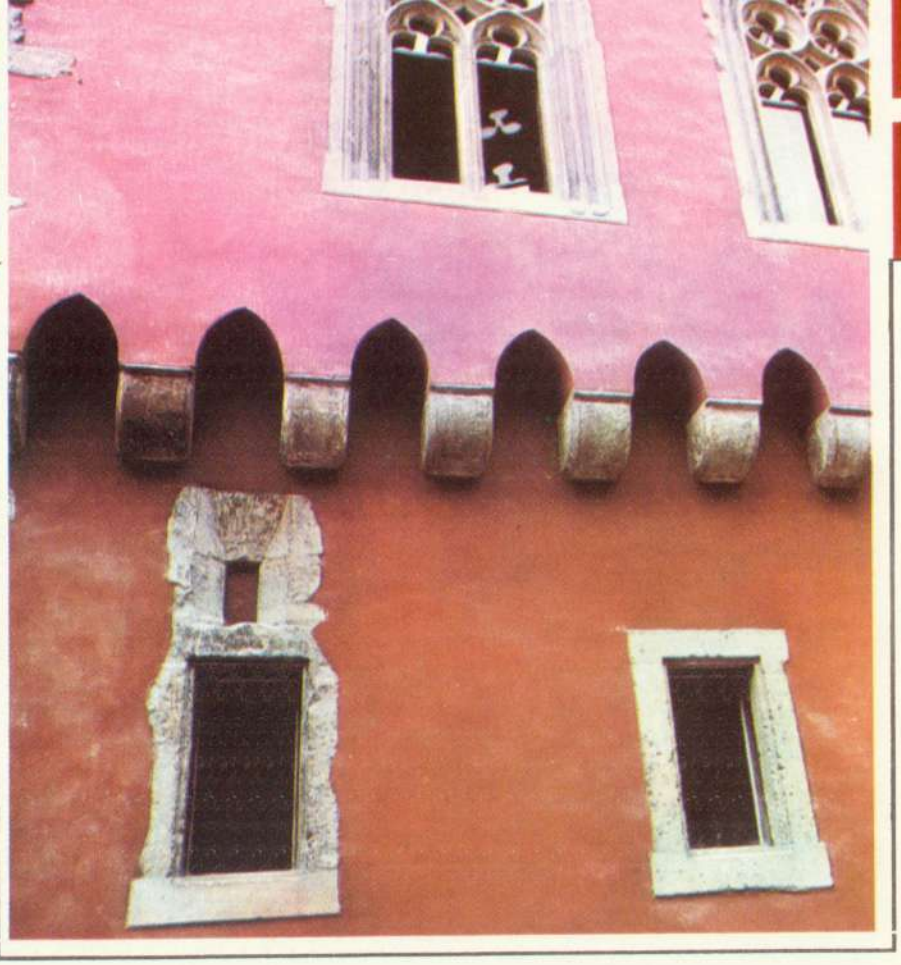


ومضمونها أيضاً ، تشرف قبته التى تشبه الى حد ما قبة الصخرة على ما حولها ، بعد هزيمة العثمانيين حاول النمساويون طمس ملامح المسجد ، فحولوه الى كنيسة ، لكنهم لم يغيروا ملامحه ، كل ما فعلوه انهم أزالوا الهلال ووضعوا مكانه الصليب ، غير أن المعالم الرئيسية ، والزخارف التى تمت بجذورها الى الروح العربية ، ظلت كما هى ، فى القرن الثامن عشر انهارت المئذنة واصبح المسجد تابعاً لطائفة الجزويت ، وفى سنة ١٩٣٩ تعرض المسجد لتغيرات عميقة بسبب عوامل التعرية كادت تؤثر فيه ، اعيد ترميمه ، مع المحافظة على طابعه الشرقى بحيث يمكن القول أنه استعاد هيئته الاصلية تماماً .

### مسجد حسن

.. من ميدان «سيشنيا» الرئيسى حيث يقوم مسجد الغازى قاسم باشا ، نتجه الى بعض الشوارع الضيقة ، الجميلة ، المعبقة بالتاريخ ، نصل الى شارع راكوتش العريض نسبيا ، على جانبيه مجموعة من المبانى الأوربية الطابع ، نفاجأ بمسجد صغير ، يحتفظ بمآذنته النحيلة ، عثمانية الطراز ، تقوم عند الركن الأيمن منه ، غير أن هذه البقعة التى يحتلها المسجد ، غنية بمضمونها ، فريدة فى تكوينها ، وكأنها صانت فترة زمنية متكاملة من البلى ، هذا ما نشعر به بمجرد الطواف حول المسجد والوقوف فى الحديقة الخلفية التى كانت مخصصة لتكية دراويش طائفة المولوية والتى لم يتبق منها إلا بعض الجدران الرخامية ، وفسقية ، وشواهد قبور لبعض الدراويش الذين دفنوا فى مقبرة كانت ملحقة بالتكية .

شيد هذا المسجد فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، الطراز عثمانى ، وصف الرحالة التركى ايفليا جلبى المسجد بالتفصيل ، بعد انسحاب العثمانيين من المجر تحول المسجد الى كنيسة فى الفترة مابين ١٧٠٢ و حتى ١٧٣٢ ، فى هذه الفترة اضيفت نوافذ جديدة ، وفتح مدخل آخر فى الجانب الشمالى ، وقد ظلت الزخارف التركية كما هى ، حتى بعد ان تحول المسجد الى كنيسة ، ثم تآكلت بفعل الزمن ، واعيد ترميمها فى الفترة من ١٩٥٧ وحتى



واجهة بيت قديم تبدو فيها المؤثرات العربية

١٩٦٠ ، عند دخول المسجد نجد ان صحنه مبلط بالحجارة ، ونلاحظ ان المئذنة متصلة به ، تقوم فى الركن الايمن ويوجد سلم داخلى يؤدى إليها ، والنوافذ القريبة من الأرض مستطيلة الشكل ، مغطاة بقضبان حديدية زخرفية الشكل الى جانب الزجاج العادى ، وفى القبة التى ترتكز على قاعدة مثمنة الاضلاع نوافذ يتخللها زجاج ملون معشق بالجبس ، فى منتصف الجهة الجنوبية الشرقية ، وفى مواجهة المدخل الأصلى نرى المحراب الرخامى الجميل ، والى اليمين منبرا خشبى مطعم بالصدف ، وإلى يساره المقعد المخصص لقارىء القرآن ، وهو قطعة جميلة من الفن الاسلامى ، الأرضية مغطاة بسجاد تركى ثمين ، وبالقرب من المنبر حامل للمصحف ، خشبى مطعم بالعاج والصدف ، وهذه القطع مهداه من الحكومة التركية ، كما يوجد متحف صغير ملحق بالمسجد به صور من المخطوطات التركية وسيوف قديمة وبعض الملابس ، وكلها مهداة من متحف طوبقابى سراى باستانبول، نعود الى صحن المسجد الصغير ، الأنيق الهادى

فوق الجدران لوحات كتبت بخط جميل تحتوى على آيات قرآنية :

« قال رسول الله ، افضل العبادات الذكر ، وافضل الذكر كلمة لا اله إلا الله »

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مامن يوم وليلة وساعة إلا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده الفقراء ».

« قال عليه افضل الصلاة والسلام ، أدعوا الله وانتم موقنين بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ، اللهم صل وسلم على اشرف جميع الانبياء والمرسلين » اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونؤمر بك ونتوب اليك »

« كتبه الفقير لله اسماعيل غفر الله ذنوبه ، سنة ١١٣٥هـ »

## مساجد أخرى

فى مدينة « شيجتفار» وفى قلب ميدان « زيزنيا » الكبير يوجد مسجد على باشا ، لقد نال الزمن منه فتقشر طلاء جدرانه ، واصبحت الحجارة التى تشكل جدرانه بارزة ، مكشوفه ، بنى مسجد على باشا فى السنوات من ١٥٨٨ إلى ١٥٨٩ ، وقد ذكره الرحالة التركى ايفليا جلبى ، كذلك تهدم المدخل الأصلى فى القرن الثامن عشر ، والنقوش الجصية التى كانت تحليه ، غير أن الملامح التى لاتزال متبقية ، الى جانب النقوش التى اعيد تجديدها لا تزال تحتفظ بطابعه الاسلامى الأصيل .

فى نفس المدينة ، وفى قلب القلعة القديمة يقوم مسجد السلطان سليمان ، وقد بناه السلطان سليمان القانونى عام ١٥٦٦م اثر سقوط القلعة فى ايدى العثمانيين ، وقد سجل الرحالة ايفليا جلبى وصفاً دقيقا للمسجد ، ومن خلال الوصف امكن التعرف على اسمه وملامحه فيما بعد ، ولما كان المسجد متصلا ، فقد استخدم لعدة اغراض بعد انسحاب العثمانيين من المجر ، استخدم كمقر لقيادة فرق الكوماندوز النمساوية التى كانت تتبع قائد القلعة ، ثم حول الى ترسانة عسكرية ، وفى عام ١٧٦٠ تحول الى كنيسة عسكرية ، ويقع المدخل الأصلى فى الجهة الشمالية ويفضى الى صحن المسجد من خلال ممر ضيق على شكل حرف «إل» الانجليزى ، وعندما بدأ اصلاح المسجد فى الخمسينات اكتشفوا المحراب الأصلى فى الجدار الجنوبى الشرقى ، وفى الجهة اليمنى من المسجد تقع المئذنة التى يفضى الى داخلها سلم دائرى ، الى يمين المحراب توجد القاعدة الرخامية التى كان يقوم فوقها المنبر الخشبى ، وإلى جانب المدخل يوجد القسم المخصص لصلاة النساء ، بعض جدران المسجد لا تزال مغطاة باعمال الخزف التركى والنقوش الاسلامية الملونة ، وبعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط عربى جميل حول الجدران وبالقرب من السقف الذى تعلوه قبة شبه مثلثة ، وبالتاكيد فانها اضيفت خلال تحويل المسجد الى كنيسة .

فى مدينة سيكلوش ، يوجد مسجد مالكوش بك ، كان مؤسسه حاكماً للمقاطعة ، وقد توفى فى سنة ١٥٦٥ ، لم

مئذنة مدينة إيجر



بعض الآثار الاسلامية فى المجر .



يتحول هذا المسجد الى كنيسة شأن معظم المساجد التى بنيت فى المجر ، إنما ظل محتفظاً بسماته الاسلامية ، ونقوشه ، والآيات القرآنية على جدرانه الداخلية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، فى هذه الفترة تهدمت المنارة ، والمدخل بسبب الاهمال الذى استمر سنوات طويلة ، وفى سنة ١٩٠١ كانت القبة ومعظم الجدران الرئيسية قد اصابها تهدم كبير ، جدار المسجد فى الجهة الجنوبية الشرقية مبنى من الحجارة والآجر ، ومن الداخل نستطيع أن نلمح بقايا زخارف جصية ، ونقوش اسلامية ، وفى الواجهة نرى ثلاث مستويات من النوافذ ، والنوافذ الموجودة فى المستوى الثالث معظمها تهدم وتشوه .

## النقوش باقية

والمئذنة من الممكن الدخول اليها من داخل المسجد ، تقع ايضا فى الجانب الأيمن ، وبالقرب من قاعدة المئذنة تتناثر شظايا حجرية كانت جزءا منها ذات يوم ، المدخل يقع فى الشمال الغربى ، فى مواجهة المحراب الذى يقع فى الجنوب الشرقى ، ولازال محتفظاً بالزخارف الدقيقة من الرخام والجص ، ويوجد الى اليمين بقايا المنبر . أما الزخارف الاسلامية والأيات القرآنية التى كانت تغطى الجدران فقد ذهبت مع الزمن .

فى مدينة استرجوم ، التى يمكن للواقف على مرتفعاتها أن يطل على الجانب الآخر من الدانوب حيث الحدود التشيكوسلوفاكية ، يوجد مسجد حاجى ابراهيم ، وهذا المسجد يعتبر من المساجد التى شيدت عند حدود المناطق التى وصلتها الجيوش العثمانية داخل اوروبا باتجاه الغرب ، لا يعرف شيء عن مؤسسه او الظروف التى شيد فيها ، ولكن عرف اسمه من وصف الرحالة التركى ايفليا جلبى شيد فى بداية القرن السابع عشر وفى منتصف القرن الثامن عشر استخدم كمخزن للقمح ، والآن يستخدم كمنزل ، وقد كشفت الحفريات الحديثة أن الجانب الشمالى الغربى من المسجد كان يواجه سور المدينة الطولى من هذه الناحية .

ويقودنا مسجد حاجى ابراهيم فى استرجوم والذى اندثر معظم معالمه ، الى بقايا مساجد أخرى لم يتبق منها إلا أجزاء مهمة ، اندمجت فى بعض المبانى الحديثة . أو تقف متوارية فى عديد من شوارع المدن المجرية ، ومن أهم هذه المساجد جامع تويجون باشا ، بنى من عام ١٥٥٣ وحتى عام ١٥٥٦ م ، أى فى بداية الحكم العثمانى للمجر ، وقد وصلت المعلومات المتعلقة به من خلال كتاب الرحالة ايفليا جلبى ، وعندما انسحبت الجيوش التركية من المجر ظل سليماً لم يمسه اذى ، ثم اصبح جزءا من كنيسة جديدة فى عام ١٧٧٠ ، ولكن معظم نقوش المسجد الأصلية ذات الطابع الاسلامى ظلت كما هى فى الجدار الجنوبى الشرقى ، كذلك النوافذ التى وزعت على ثلاث مستويات . وكانت النوافذ الموجودة على مقربة من الجدران كبيرة ومستطيلة ، أما نوافذ المستوى الثاني فاضيق قليلا ، أما النوافذ العلوية فغالباً ما كانت مستديرة ولازال مكان المحراب ظاهراً بوضوح حتى اليوم داخل الكنيسة .

وإذا انتقلنا الى مدينة « بيتش » سنجد بقايا مسجد فرهاد باشا ، وتوحى بقايا المسجد بأنه كان يحتل المكان الذى يقيم فيه الآن المنزل رقم ٤ بشارع كازينسكى ، اسس المسجد فرهاد باشا حاكم مقاطعة بودا من ١٥٨٨حتى عام ١٥٩٠ ، وعندما وصف ايفليا جلبى مدينة بيتش اورد وصفاً تفصيليا لهذا المسجد ، وفى سنة ١٦٨٦ ، انسحب العثمانيون من بيتش ، ولم يلحق المسجد تدمير كبير ، ثم اصبح لطائفة الآباء الدومينكان ، واستخدموه حتى سنة ١٧٦٠ ، وتبدو بقايا المسجد تحت المنزل الذى يحتل موضعه هناك .

ونستطيع أن نرى تفاصيل معمارية اسلامية فى كنيسة أوجستين بمدينة بيتش ايضا ، وقد اكتشفت هذه البقايا عام ١٩١٢ ، غير أن المسجد الاصلى الذى كانت هذه الزخارف جزءا منه مجهول الاسم ، وغير معروف مؤسسه حتى الآن غير أن الكنيسة نفسها بنيت ١٧١٢ ومن المرجح انها بنيت مكان المسجد أو أن اضافات جوهرية جرت على بناء المسجد الاصلى .

وهكذا تنتشر الآثار الاسلامية فى المجر من بيتش جنوباً ، حتى استرجوم فى الشمال ، تقف الحجارة كشاهد باق على الاماكن التى وصل اليها الاسلام ، وأبقى على مر الزمان بعض من فنونه ، وروائعه .

**جمال الغيطاني**



# لوحة

م. كجراى

يازورقى الحالم فى ضاحية البحيرة المنسية المهجورة
أود أن أصعد للمقصورة
أصغى إلى الموسقة السحرية ، المقاطع الحلوة فى قصائد الندى
أقفز فوق حائط السكون والردى
أدخل من بوابة الخروج
أحرق قلب الموت فى برية الثلوج
أعبر كهف الصمت استلقى على الغابات والمروج .
أتوق للألوان فوق اللوحة الاسطورة
للكروان العاشق المسحور
للشاعر العصفور
يادارة الصحو الذى يقودنى
لحانة الليل على الغدران والخمائل
يكتمل المشهد حين يرقص السكون فى مقاطع الهديل
تغتسل الخضرة بالضياء
فى غابة الجميز « والهبيل »
فالورق الصقيل
انقى من الصفاء فى المرايا
يعانق العليق خصر سرحه
فتطلق الآهة من مغاور الحنايا
كل الفراشات على الخارطة الملونة
تقبل البراعم الثلجية الندية
تمتص من رحيقها سلاف باخوس على دوارق فضية
عبيرها كعبق الحضارة المجهولة المنسية
ياقلبى المترع بالنشوة هذا سيد الفصول .
يخطر فى مملكة العشب يرش العطر فى مسالك الحقول

هذا حبيب القلب « أوزوريس » فى شبابه المؤتلق الوديع
هذا زفاف الملك المتوج الربيع
يعبر فى موكبه الملون البديع .

أوراق بدون ترتيب



# حكاية كتاب خرج ولم يعد !

● الكتب اصدقاء هادئون ومامونون !

تلك كلمات قرأتها لـ «فيكتور هوجو» فى سنوات الصبا . ولست ادرى إن كانت هى التى جعلتنى فى تلك السن الباكرة أوثر صحبة الكتاب على صحبة الأتراب . أم هو الغروب فى قريتى الهمنى ان الوذ بفضيلة الاصغاء الى مفردات الكون تصاغ فى المساء بتلك الكلمات المرسومة بكل مشتقات التداخل بين اللون والضوء والظلال المتحركة حول قرص الشمس الموشك على الاختفاء . وبالحجم تلك الدهشة التى تلهب فينا جذوة الخيال والفضول والرغبة فى المعرفة ، حين يكون الله هو المبدع ، وحين تكون الطبيعة هى الكتاب !!

لكنى اوقن ان صداقتى مع الكتاب بدأت فى «كتاب» القرية جلوساً منصتين ومرددين وحافظين . وتأكدت تلك الصداقة حين اتممت حفظ القرآن كله فى سن العاشرة . إن صداقة الكتاب تتأكد حين ننتهى من قراءته . لأنه يكون قد افضى بكل أسراره إلينا مهما دقت على افهامنا . ولقد افضى القرآن ببعض أسرار الصفاء المبهم إلى روحى . مثلما زرعنى على شواطىء الانبهار المطلق بأسرار اللغة التى نزل بها . ولازلت الوذ به كتاباً ـ وهو يطهرنى من شوائب النفس ـ يقربنى من جوهر اللغة التى اعشق ، ويملؤنى بفيض الموسيقى غير المتكلفة ، ويمنحنى شجاعة الخوض فى مهابات الزيف المحدق بنا من كل صوب ، حيث لا خشية إلا من الله ، ولا حق غير الله ! وإنى مازلت بالقرآن اهفو لو يدنو بى من تلك البصيرة ، التى احلم لو تدنو من فيض الشفافية ، كى ابصر بها الحقائق التى لا تدنو من الناس لأنهم مظلمون !

ولقد اهدانى القرآن بعد ذلك كيف اختار أصدقائى من الكتب ، فلا اتدنى بالعقل الى درك التفاهات . ولا أسيغ لذاكرتى ان يحشوها مخادع او مبتز . وهكذا يستبد القلق بى حين اقف زبوناً امام الأرفف فى المكتبات . إنه قلق الفضول المحموم نحو عقل جيد العطاء والصحبة .

ولقد علمتنى التجربة الا اثق فيما يقال من أن الكتاب يعرف من عنوانه . فكم من العناوين البراقة اجتهد الكتاب من الدرجات الدنيا فى ابتكارها ، سريعاً ما ينكشف خداعها حين نطالع المقدمات او ندخل فى الموضوع !

## أحياء في غرفتي !

● صداقة الكتاب الجيد هى افضل صداقات الانسان على الاطلاق ! .

إنها التفاهم القائم على محبة العقل والمعرفة والمعرفة . وهى الود الذى لا يفسده اختلاف الرأى . والكتاب يمنحك تلك الحرية الشخصية وانت تختاره صديقاً ، تدخل فى عقل صاحبه مباشرة ، لتجول فى عالمه دون توجس من كبر او استعلاء . ودون هاجس من زيف السلوك الاجتماعى الذى بات ظاهرة من ظواهر الجهل والاحباط الروحى فى حياة البشر . وإنى إذ اجلس الآن فى غرفة كتبى هنا .. وحين اسافر بذاكرتى الى غرفة مكتبتى هناك .. استشعر اننى فى حضرة اصدقاء حقيقيين من افضل المفكرين الذين عرفت وعاشرت . جميعهم راغب فى ان يفيح لديك خبراته ، واحلامه ، وامنياته للحياة وللناس . وكلهم مجبولون على المزيد من العطاء كلما قصدت . لا يملون .. ويحيون اكثر ! ودائماً يتجسد لى الكاتب الذى ادعوه رفيقاً لأمسيتى . اجلس إليه . واصغى الى صوته وهو لا ينفعل ولا يكابر حين اقاطعه حيناً لأدير حواراً معه حول نقطة يكون لي فيها وجهة نظر او استفسار . وهو لايصاب بالحنق او الجهامة حين اهرع الى وجهة نظر اخرى فى نفس الموضوع لدى كاتب آخر فى الغرفة يصغى وينتظر الدعوة للادلاء . إنهم جميعاً احياء فى غرفتى ساهرون ، وعلى السنتهم اغلى كنوز العقل . وبالهم من متواضعين اولئك الكتاب العظام حين تدعوهم الى صداقتك . وحين يدخرون لك أصفى ما خرجوا به من الحياة .. للحياة . وحين يسهرون خوفاً عليك من ضوضاء المعرفة . وإنه لعالم حقيقى ورحب الوذ به فى المساء من هجير العلاقات الفجة وعنكبوتية النوايا والأصوات اليومية المنكرة فى غابة النهار ! .

## حياة محمد

● هذه الليلة الثامنة من ليالى شهر رمضان العفيف المتسامح ، اجلس الى «حياة محمد» بقلم الدكتور محمد حسين هيكل . وإذ اقول انه من افضل ما كتب عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلأن الدكتور هيكل يجعلنى فى كل سطر من سطور الكتاب ، استشف ذلك الصفاء الروحى شديد الايمان بتلك المهمة المضيئة . إن بعض الموضوعات ينبغى الا يتوفر لها فقط موهبة المقدرة على التعبير والبحث والاستقصاء . وإنما يتوجب ان يكون الكاتب على درجة عليا من الشفافية والنور . ومن هذه الموضوعات : محمد .

« حياة محمد » كتاب يصحبنى منذ ثلاثين عاماً على وجه التحديد ، لم يفارقنى يوماً . انتقل معى من قريتى الى مدينة دمنهور طالباً . وإلى الاسكندرية موظفاً . وإلى القاهرة صحفياً وكاتباً . وركب معى الطائرة الى عدد من بلاد الدنيا زائراً ، وسائحاً ، وفى مهمة . وهاهو ذا يستقر معى فى مدينة الدوحة رفيق عمر وطريق واغتراب . سرقت مكتبتى فى مدينة الاسكندرية ولم يكن ضمن المسروقات لأنه كان فى حقيبتى . وفقدت حقيبتى بكل الأوراق الخاصة فى مطار هيثرو ، ولم

د. محمد حسين هيكل



يضع لأنه كان تحت إبطى . واهترات معظم كتبى من تكرار التصفح إلا هو ، لأنى القاه بكل الرفق والمهابة ، فى امسيات شديدة الضوء بالصفاء والجلال .

« حياة محمد » الكتاب .. استعرته من صديقى وبلدياتى الشيخ محمد على القماح الطالب حينذاك فى الأزهر . وكان المفروض أن اعيده إليه بعد شهر قدرته وقتا كافيا لقراءته وهضمه . إذ اعتدت أن اقرا الكتاب الجديد مرتين . مرة لممارسة الدهشة . ومرة للحوار معه .

وهو يقدمه لي احسست انه بدا يتعجل انقضاء الشهر كى يعود إليه الكتاب ، لأنه كما قال يتفاءل بوجوده فى مكتبته . ولعل كلمة « تفاؤل ـ كانت اقوى مفتاح يعطيه لي كى ادير به عقلى فى « حياة محمد » بل لعلها كلمة « تفاؤل » أوعزت لى فى نفس اللحظة اننى لن اعيد هذا الكتاب الى صديقى فليس اجمل ولا أروع من كتاب يدفق لديك كل هذا الاحساس النبيل بالحياة .

وقد حدث !!

.. ومع أن صديقى القماح ـ ذلك الانسان الطيب المزيج من البراءة الذكية، والذكاء الفطرى البرىء ـ لم يكن له من شاغل غير أن يعيد هذا الكتاب الى حوزته .. ومع انى كنت المح ذلك الندى الخجول فى عينيه ، راغبا فى أن اعفيه من عبء المطالبة المستمرة سواء بالتلميح او بالتصريح .. إلا اننى الآخر وجدتنى متشبثا به ، وكان ملكية الأشياء لا تؤول إلينا لمجرد اننا دفعنا فيها الثمن .. وإنما لأننا عاشرناها ، وتعرفنا عليها ، وامتدت فى عروقنا ، وتوحدنا فى حياة واحدة بالتفاهم ، والمخالطة ، والعادة .

كنت قد وقعت فى اسر الكتاب حقا .. وهذه النسخة بالذات .. لا سواها ! ليس فقط لأننى امضيت معها الليالي وحيدين فى ضوء المصباح الريفى الشاحب .. غارقين فى عالم من نور حقيقى بلا نهاية . وإنما لأننى كنت قد انسكبت على هوامشه البيضاء ببعض قطرات المناجاة التى توهجت بداخلى ، وتوهجت بها .

شيء آخر كان يقنعنى باصرارى على التشبث به . كنت قد اكتشفت للوهلة الأولى عند استعارتى له ، من نظافة الغلاف الأسود ، ثم من التصاق الصفحات بعضها ببعض فى عناق قديم ومستميت ، اننى أول الأنامل التى تتصفح الكتاب ، وأن عينى أول ضوء يغشى عالمه ! هل كنت مشفقا على دنيا هذا الكتاب من السكون والتحنط ؟ أم انها تلك المبررات التى نقنع بها انفسنا حين نكون راغبين فى امتلاك اشياء الآخرين بعد أن صارت عزيزة علينا ؟!

● ●

الآن تلوح لى قريتى لحظة التوديع فى طريقى الى القاهرة منذ ربع قرن :

الشروق ، والحقول ، ومواكب الفلاحين ، وعينا صديقى الشيخ القماح .

وهو يصافحنى ، لم ينس أن يذكرنى بالموضوع . قال فى حزن من سيفتقد الصديق ، والأمل فى استعادة الكتاب :

ـ لاتنس أن تكتب لنا شيئا عنه .

وتحرك القطار فاعفانى من سلوك التصميم !

سنوات وسنوات .. أعلا مافيها اصوات المحطات والمطارات والموانى و .. دقات على باب مسكنى ذات مساء كهذا باصابع صديقى القماح

ضاحكا وجادا فى الوقت الذى فتحت له الباب :

ـ تصور اننى لم اقرا « حياة محمد » حتى الآن !

ضاحكا وجادا فى اللحظة التى احليته فيها من بين ذراعى

ـ يالك من مهمل . كيف لم تستعره طوال تلك السنوات من مكتبات الوزارة ؟

وتضاحكنا طويلا فى شوق . فلما اكتشف صديقى انه سيبيت تلك الليلة فى غرفة الكتب ، توهجت عيناه بامل لا يمكن وصف ميلاده المفاجيء من رحم اليأس كل هاتيك السنين !

واظلننى نمت قلقا تلك الليلة !

استبد بى انفصام شديد بين رغبتين صادقتين : أن اعيد الكتاب إليه لأن ذلك يخفف عنه عبأ كبيرا سيظل يحمله الى آخر العمر . ورغبة فى أن احتفظ بالكتاب لأن عشرتى معه اطول . ولأنى تعرفت عليه اكثر . ولأننى ما تصورت أن ادخل غرفة مكتبى ويكون قبس من « حياة محمد » الذى توهجت به ، قد غادرها الى الأبد !

وعندما انحزت الى رغبتى .. امضيت بقية الليل نهبا لاحاسيس من نوع الحرج الذى ينتابنا فى مثل هذه المواقف . وقررت أن آتي له فى الصباح بنسخة جديدة ، لست واثقا من توافرها فى المكتبات حينذاك .

فلما جاء الصباح ، وتاخر الصوت فى الغرفة التى ينام فيها صديقى ، تصورت انه غارق فى الكتاب ، ذاهل عن كل شيء .. لكنى ما إن واربت الباب فى رفق ، حتى بدت لى الغرفة خالية منه . وعلى جانب من السرير الصغير وجدت كتاب « حياة محمد » مفتوحا على الصفحة البيضاء الأخيرة ، وقد تحولت الى رسالة من كلمات قليلة :

ـ قاومت كثيرا أن احرمك منه .. فلا تحرمنى منه : الأمضاء محمد .. صاحب « حياة محمد » .

واعتبرتها تعليمات صريحا .. فكتبت له على هامش الرسالة : تؤول ملكية هذا الكتاب الى صديقى وصاحبه الشيخ محمد على القماح بعد أن تقعد بى الشيخوخة عن القراءة .

وفى كل خطاب ياتينى منه .. يذكرنى بالموضوع !

وفى كل خطاب ابعث به إليه .. يتاكد له اننى مازلت قادرا على القراءة .. مع أنه لا يعرف شيئا عن الوصية . لأننا لم نلتق منذ ذلك الصباح البعيد الذى تسلل فيه هاربا من «فرصة متاحة» لحرمانى من الكتاب !!

# جوجول الروائي الذي أضحك ليبكي

جمال كنافي

قال الناقد الروسي المعروف بلتيسكي عن جوجول « إنه اعظم عبقرى انتجته روسيا » .. فلما قرا الكتاب الذى نشره جوجول فى عام ١٨٤٧ بعنوان «مختارات» قال عنه « إنه المبشر باستعمال السوط ، رسول الجهل ، مادح وحشية التتار »

ولكن ترى ما كان جوجول بالنسبة لغيره من الكتاب الروسيين عامة ؟ .

كان تورجينيف اصدقهم تعبيرا إذ قال « كان جوجول بالنسبة لنا اكثر من كاتب ، فقد كشف لنا عن انفسنا » اما بالنسبة لدستيوفسكى فان جوجول « ضحك على نفسه طول حياته وضحكنا معه ... ضحكنا طالما اننا بكينا فى النهاية » .... لقد عرض جوجول امامنا موكبا من عباد المال والمحتالين من ملاك الأراضى واهل السلب والنهب ، وكانت مهمته لا تزيد عن الاشارة الى هؤلاء باصبعه فيظهر على جباههم وشم الخزى الذى يذكرنا بعارهم ما عاشوا .. واكثر من ذلك ... يطبع اسماءهم على ذاكراتنا ما عشنا »

ولعل الصور التى رسمها جوجول لافراد الطبقة الحاكمة فى روسيا هى التى حطمت حب الشعب وولاءه لهم .. على ان الصور التى رسمها جوجول تتخطى الشخصيات المحلية المجردة وتتعداها الى شخصيات شائعة فى العالم كله لانها تكشف عن خصائص وصفات يشترك فيها البشر جميعا ... فيمكن ، من هذه الناحية ، ان نعتبر شخصيات جوجول خالدة باقية على الدهر مابقيت شخصيات لير وشيلوك وهاملت وليدى ماكبث ، وما بقى الناس انفسهم .

ولكن من هو هذا «الجوجول» ، هذا الكاتب الفكه ، الهجاء اللاذع ، الروائى الشاعر ، كاتب القصة القصيرة ، والمقال ، والتمثيلية ؟ ترى من هو هذا العبقرى الذى ينشر النور ويحمل بطولة الظلامية فى آن واحد ؟

هو نكولاى فاسيليفتش جوجول ، الذى ولد فى اوكرانيا فى شهر مارس ١٨٠٩ لأب من صغار اصحاب الأراضى ... الذى حاول بعد ان اتم تعليمه الثانوى ان يحصل على وظيفة حكومية او يعمل ممثلا فى مسرح سانت بيتر سبرج الحكومى فلم ينجح فقرر الهجرة الى الولايات المتحدة ، ولكنه ما بلغ ارض السويد وهو فى طريقه الى امريكا حتى قفل عائدا الى بلاده وكتب لابيه يقول :

« لقد اذل الله كبريائى .. وهذه إرادته المقدسة !»

وكان ان حصل جوجول بعد عودته ، على وظيفة حكومية متواضعة قضى فيها عاما او بعض عام ... ولكن الأدب ، وهو هوايته الأولى ، كان يشده شدا .. والأدب الذى كان يمارسه أول الأمر هو الشعر والقصة القصيرة والرواية الطويلة والتمثيلية والمقال ...

## علاقته ببوشكين

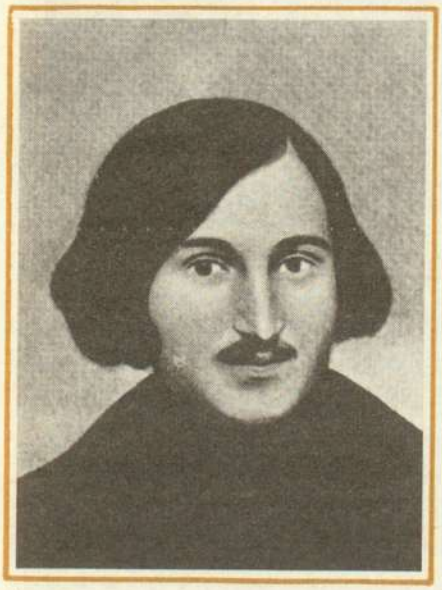
وحدث ان عرفه احد اصدقائه من الشعراء على الكساندر بوشكن .. الذى اقترح على جوجول مادة تمثيلية بعنوان «المفتش العام» ورواية بعنوان « نفوس ميته » ... وهذه الرواية ، اكثر من غيرها من أعمال جوجول ، تعكس نواحى التناقض فى شخصيته ، كما تعكس مواهبه واهدافه الخلقية وإمكانياته ككاتب ساخر هجاء ، وماله من وحى وإلهام ، كما توضح عدم قدرته على الوصول الى حل منطقى معقول للمشاكل التى شغلت باله واثقلت كاهله .

بعد ان تعرف جوجول على بوشكن ، شاعر روسيا الكبير ، قرا عليه بعض ماكتب من مذكرات فاقترح عليه بوشكن ان يحيلها رواية بعنوان «نفوس ميتة» وهى عبارة كانت شائعة فى روسيا إذ ذاك تشير الى الأرقاء الذين يفلحون أرض السادة ، ويبقى اسم من يموت منهم على قائمة اسماء الأحياء حتى يجرى إحصاء تعداد السكان الدورى الذى يحدد عدد النفوس

فى اكتوبر ١٨٣٥ كتب جوجول الى بوشكن يقول « بدات كتابة (نفوس ميتة) .. وسيكون كتابا مضحكا للغاية ... اطمع ان اصور فيه روسيا باكملها حتى ولو كانت النتيجة صورة لا تعرض إلا جانبا واحدا ».

ونقول هنا ، لأن الشىء بالشىء يذكر ، ان كتابة الجزء الأول من رواية « نفوس ميتة » استغرقت من جوجول ثمان سنوات ١٨٣٤ ـ ١٨٤٢ واستغرق الجزء الثانى عشر سنوات ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢ اما الجزء الثالث الذى اراد ان يرسم فيه صورة البطل شيشيكوف وقد تحول الى حياة الفضيلة ، فلم يكتب ... لأن الموت ادرك جوجول.

وكان لجوجول فى موضوع الضحك مذهب عبر عنه فى احد كتبه بقوله «إذا كان للانسان ان يضحك ، فالخير ان يضحك ملء شدقيه وان يضحك على مايراه الناس مضحكا » ...



جوجول

## نفوس ميتة

ولما صدر الجزء الأول من « نفوس ميتة » احدث ضجة ودويا .. امتعض منه البعض واحس بلذعته البعض ، وفزع بعض اخر لما فيه من صور كاريكاتورية شديدة السخرية .. وقال جوجول :

« لقد حقق الجزء الأول أمرا مهما ... فقد اثار فى الجميع كراهية شديدة لأبطال قصتى ولتفاهتهم واشاع شيئا من الوجوم وكشف عن عدم رضانا عن انفسنا .. وهذا كل ما اطمع فيه فى الوقت الحاضر .. » ، ثم قال « هذا الجزء يحتوى على صور لشخصيات قبيحة ، واخرى وحشية مرعبة ومجموعة من شخصيات ممسوخة ونقد ساخر للحياة المعاصرة » .

ويرى مؤرخو الأدب ، فى ضوء الحقائق المعروفة أن جوجول كان ينوى أن يكتب «نفوس ميته» فى ثلاثة اجزاء على النحو الذى سلكه «دانتى» لما قسم «الكوميديا» الى ثلاثة اجزاء ـ جحيم ، ومطهر ، وفردوس ... فالجزء الأول من «نفوس ميته» لا يصور الأرقاء الذين يسخرون لفلاحة الأرض ويشتريهم البطل شيشيكوف وهم موتى فحسب ، بل يصور بقية الشخصيات وقد ماتت من الناحية الأخلاقية والعاطفية والروحية كذلك ... وبالمثل ، فان الشخصيات متشابهة الى حد ما من حيث انها تتقاسم نفس القوة الدافقة لانها جميعاً صور كاريكاتورية وليست افرادا تنبض قلوبهم بالحياة .

لم يصلنا من الجزء الثانى من «نفوس ميته» إلا القليل .. وكان المقدر له أن يختلف عن الجزء الأول تماما .. فالذى خططه جوجول له ، هو أن يكون المحور الذى يدور حوله الكتاب كله باجزائه الثلاثة ... وشخصياته كانت ستتمكن فجاة من التفكير ، وكانت قدرتها على ممارسة العواطف الانسانية ستتطور ... وكان المؤلف ينوى فى هذا الجزء من الكتاب أن يوضح الصراع الداخلى بين الخير والشر فى ذات الانسان .

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فلم يعد مرحلة التخطيط .. وكان هو الجزء الذى يحقق فيه المؤلف إعادة الخلق الروحى لشخصياته ... شيشيكوف البطل ، يولد من جديد كرجل له ملكة تقدير القيم ، و «بلوشكين المرعب» ومن هم على شاكلته فى الجزء الأول يصبحون من الأشراف المهذبين .

ولم تنجح هذه المحاولة الطريفة لخلق بطل إيجابى ( وهو أمر لم ينجح فيه تولستوى ولا دستيوفسكى) لا بسبب نزوات المؤلف أو أطماعه الزائفة أو اختلال متزايد فى قواه العقلية (وكثيرا ما عرض الكتاب لهذه الناحية من شخصية جوجول) ولكن لأن آراء جوجول نفسه تغيرت بالتدريج .

ولو أننا استعرضنا أهم الأحداث فى حياة جوجول لوجدنا أن التحول فى افكاره وأسلوب كتابته أمر منطقى فهو يتصل اتصالا وثيقا بولعه الشديد بوعظ الناس وإرشادهم ، وميله الموروث الى التصوف .

## بين الأدب والتدريس

بعد محاولات عابثة وهروب من «نفسه» لفترة قصيرة قضاها خارج روسيا ، كتب جوجول الجزء الأول من «امسية على مزرعة» اثناء عمله كمدرس لمادة التاريخ ، ثم ظهر الجزء الثانى وهو مازال يمارس مهنة التدريس ، فكان فى ذلك ما يعبر عن الازدواجية الكامنة فى جوجول بين عقله من ناحية وبين مخططاته من ناحية .. فهو راغب فى التدريس الى حد انه اصبح مؤرخا محترفا كتب مقالا بعنوان « مخطط لتدريس تاريخ العالم » ، كما انه عين محاضرا فى الجامعة ... وهو فى الوقت عينه تواق الى الكتابة القصصية متولع بها . وعلى الرغم من أن كتاباته الأدبية كانت تعبق بعطر الرومانسية ، إلا أنه كان يعالج مواده علاجا هجائيا موشى بدعابات رشيقة .

وكانت الغلبة فى نهاية الأمر للأدب فطلق جوجول التدريس فى عام ١٨٣٥ ، إلا أن ميله الغريزى لتلقين الناس كان يطل برأسه بين الحين والحين ، فيما يكتب من تعليق على واحدة من تمثيلياته أو رواية من رواياته .. كان يشرح اعماله للناس وكانها كتب مدرسية مقررة ... وظهر ذلك واضحا جليا فى تعليقاته على «نفوس ميته» التى وصف الجزء الاول منها بانه سلم او درج يؤدى الى قصر منيف لم يتم بناؤه ... ومن الواجب أن نقول ، حتى إذا قبلنا هذا الوصف المتواضع ، إن هذا المؤلف بالغ الروعة من حيث ما فيه من تناغم وإيقاع ، وقوة ما يحتوى من عاطفة وجمال ما يزينه من شاعرية ... هذه كلها تتالف لتثبت للقارىء أن هذا الكاتب رغم مرارة هجائه وسخريته ، كان يؤمن بقومه وناسه .. ويؤمن بمواهبهم ونشاطهم .. وأن عالم «نفوس ميته» بالنسبة اليه عرض زائل .. فهو إذ ينظر فى طيات المستقبل ودهاليزه ، يرى روسيا وكانها عربة تجرها جياد ثلاثة ، بسرعة فائقة ، لتخرجها من عالم الاشباح .

## محاولة للخلاص

وهذا الوصف لمستقبل البلاد هو همزة الوصل بين الجزئين ، الأول والثانى ، من الرواية ويصل بينهما كذلك إعادة قصة حياة البطل شيشيكوف . فهذا الملعون الذى صوره جوجول فى الجزء الأول شخصية كوميدية ، يتحول فجاة ويكتسب صفات آدمية تشبه صفات من عاصر جوجول من الناس ... ومن هنا تماما تبدأ تراجيديا جوجول ككاتب كان هدفه ، على حد قوله ، تحسين ذاته ... وكانت هذه المهمة الشاقة تقضى بان لا يلجا الى الهجاء اسلوبا ، أو الى الضحك وسيلة ... كان عليه بدلا من ذلك أن يمكن نفسه من تصوير الكيان السيكولوجى لشخصياته وان يشحنهـا بالأفكار والعواطف وان يخلصها من الوهاد التى اوقعهم فيها هجاؤه . ولا عجب أن هذا الكاتب الذى وجد نفسه موزعا مواهبه ورغبته فى الوعظ والارشاد أصيب بحالة شديدة من التوتر العصبى ، دفعه فى عام ١٨٤٥ الى حرق كل ما كتب من الجزء الثانى من «نفوس ميته» ... أحرق حصاد سنوات خمس ، واعتبر ذلك نصرا اخلاقيا وقال « لم أولد لأنال شهرة فى عالم الأدب .. فمهمتى بسيطة قريبة المنال ... وعملى من النوع الذى يجب أن يفكر الجميع فيه ـ لا أنا وحدى ... ومهمتى هى انقاذ روحى والوصول الى الاستقرار فى الحياة ، وعلى ذلك فلابد أن تـصدر أعمالى عن وحى من ضميرى ويجب أن أكتب ما يمليه علي هذا الضمير ... أنا أحرق عندما يلزم حرق ما يجب حرقه وأنا واثق أنى على صواب لأنى لا اقدم على شىء قبل أن اصلى . »

كان الرجل مخلصا فى ذلك وكان يمتحن كل شىء فى هدى من الدين وكان يهدف الى الكمال الذاتى .. ولم يكن وضع جوجول فى مصاف فلاسفة الروس وليد الصدفة فتولستوى ودستيوفسكى يقتسمان بعض افكار جوجول ويتاثران بها وهما بصدد البحث عن الصدق العام والصدق الخاص .

حاول جوجول أن يعيد كتابة الجزء الثانى من «نفوس ميته» ولكنه عدل عن ذلك مؤقتا وبدأ فى كتابة « مختارات من مراسلات الاصدقاء » ، وبدأ يقرأ بعض فصول المختارات على عدد من اخصائه .. وقال الكاتب المشهور اكساكوف فى خطاب لولده .

« لست اعرف غير هوميروس وحده من يستطيع تصوير النفس البشرية وهى فى نطاق طبيعة الانسان الوضيعة ، كما يصورها جوجول ، وعندى الآن قناعة تامة بأن جوجول سيستطيع تنفيذ ما وعد به «فى الجزء الأول» بكل ثقة ، بل وبشىء من التبجح »

## لماذا أحرق الجزء الثانى ؟

ويبدو مما يقول الأصدقاء أن جوجول اتم الجزء الثانى عام ١٨٥١ ولكنه عاد فحرق المخطوط فى ١١ فبراير ١٨٥٢ . ولم يكن الحرق هذه المرة بسبب جنة أو خبل ولكن نتيجة لخطأ غير مقصود ، إذ إنه لم يدرك ساعة حرق احد الملفات أن الملف الذى أحرقه كان يحتوى على المخطوط . وقال لصديقه أ.ب . تولستوى فى اليوم التالى «تصور مدى قوة الارواح الشريرة ! أردت أن احرق بعض الأوراق التى كنت قد اتممت فرزها ولكنى احرقت فصول «نفوس ميته» التى اردت أن اخلقها لأصدقائى بعد موتى »

واجاب تولستوى « هذه علامة طيبة .. كنت من قبل تحرق كل شىء وتعيد كتابته خيرا مما كان ومن الواضح إذن أن موعد موتك لم يحن بعد .. فانت لاشك تذكر ما احرقت » ووضع جوجول يده على جبهته وقال « نعم ، نعم ، استطيع .. كل شىء مازال فى رأسى .» وهدات اعصابه وتوقف عن البكاء ... ومات جوجول بعد هذا الحوار بعشرة ايام فقط ، وعثر بين أوراقه على عدد من فصول وقصاصات عن أن جوجول كان قد غير اسلوبه فى الكتابة من حيث الوصف والقصص . فناحية الهجاء التى تسيطر على الجزء الأول تكاد تكون مطمورة فى الجزء الثانى ، فان ظهرت، ظهرت واهنة باهتة . وهدف المؤلف هنا فيما يبدو هو رسم صور سيكولوجية لابطال قصته . وفى الجزء الثانى تصوير للمواقف وعرض للأفكار والمشاكل التى كانت شائعة فى روسيا قبيل حرب القرم مباشرة ... وكانت روسيا إذ ذاك تواجه إنهيار الأوضاع التقليدية فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية . واصبح من الواضح إذ ذاك أن نظام الرق لم يعد صالحا من الناحية الاقتصادية وأن ما يعرف « بالاقتصاد الطبيعى » الخاص بطبقات الملاك لم يعد جائز التطبيق .

والجزء الثانى من «نفوس ميته» يعبر عن نظريات جوجول وآرائه أكثر مما يعبر عن فنه . وفى ذلك قال احد معاصريه « كانت عبقريته هى التى تتحكم فى كتاباته أول الأمر ، أما الآن فهو يحاول رسم الاتجاه الذى يجب على عبقريته أن تتخذه » .

# بيتر شافر
# ومسرحيته الفائزة بجائز النقاد

فؤاد دوّارة

في الاستفتاء السنوى الذى تجريه مجلة «مسرحيات ومسرحيون» الانجليزية لاختيار افضل المسرحيات التى قدمت خلال العام المنقضى ، بالاضافة الى افضل مخرج ، وافضل ممثل .. الخ ، ويشترك فيه ما يقرب من عشرين ناقدا من اكبر نقاد المسرح المتخصصين . فازت مسرحية «اماديوس» لبيتر شافر باعتبارها افضل مسرحية قدمها المسرح الانجليزى خلال عام ١٩٧٩ .

وبيتر شافر من كتاب الجيل التالى لجيل «الشباب الغاضب» امثال جون اوزبورن ، وارنولد ويسكر ، وشيلا ديلانى ، وجون اردن وغيرهم ..

ولد شافر فى ليفربول سنة ١٩٢٦ ، وتعلم بمدرسة سان بول بلندن ، واثناء الحرب العالمية الثانية ادى الخدمة العامة المساوية لفترة التجنيد ، فاشتغل عاملا بمناجم الفحم ، ثم درس التاريخ بكلية ترينتى بجامعة كامبريدج .

وبعد تخرجه ظل خمس سنوات ينتقل من عمل الى آخر .. من مكتبة «دابولداى» بنيويورك « لم تكن لدى الجراة المطلوبة » الى قسم التزويد بالمكتبة العامة بنيويورك « عالم شديد الاملال من بطاقات الفهارس » ، ثم القسم السيمفونى بدار «بوسى وهوكس» لنشر الموسيقى بلندن .

ظل فترة بلا عمل الف خلالها ثلاث روايات بالاشتراك مع شقيقة التوام انتوني ( مؤلف «بوليش سرى» و «صانع السلال» ) ، كما كتب عددا من التمثيليات للاذاعة والتليفزيون ، ولذلك فقد تحدث عنه الناقد جون راسل تيلور فى كتابه «الغضب وما بعده» فى فصل واحد مع الون اوين وكليف اكستون ، وجون مورتيمر ، باعتبارهم الكتاب الجدد القادمين للمسرح من الاذاعة والتليفزيون .

## تدريب الأصابع الخمسة

وإذا كان شافر قد كتب للمسرح متاخرا نسبيا ، فقد احبه منذ سن مبكرة ، منذ قرات له والدته شكسبير وهو صبى صغير ، ومازال يتذكر بوضوح «ثراء الصور وجمال اللغة» ، وافتتن بالممثل الكبير جون جيلجود وهو يمثل «ريتشارد الثانى » بملعب جولدرر جرين » وظل هذا الاعجاب حيا فى نفسه ، لذلك فقد كاد يصعق حينما اتصل به احد اصدقائه ليساله إذا كان يوافق على ان يقوم جيلجود باخراج نص مسرحى كان شافر قد انتهى منه واسماه «تدريب الاصابع الخمسة » .

وعنوان المسرحية مقتبس من التدريبات الموسيقية التى تؤلف خصيصا لعازفى الكمان والبيانو لكى تكسب اصابعهم مرونة تمكنهم من عزف اصعب النغمات ، ويراعى فى تاليفها أن تتيح لكل اصبع من اصابع اليد ان يتحرك ببراعة مع بقية الاصابع كلا على حده . وهذا بالضبط ما حدث فى مسرحية شافر ، فابطالها خمسة : اب وام وابن وابنة وساكن غريب يقيم معهم نظير اعطائه دروسا للابنة .

وبناء المسرحية يعتمد على العلاقات الثنائية بين ابطالها ، وتتعقد هذه العلاقات وتتشابك ، فتقرر الاسرة طرد الساكن الشاب الذى لا يتصور حياته بدونهم ، ومن ثم يشرع فى الانتحار ، فتضطر الاسرة الى العدول عن قرارها.

وقد عرضت المسرحية سنة ١٩٥٨ ، فحققت نجاحا كبيرا ، واستمر عرضها نحو عامين ، يقول شافر :

«منحنى نجاحها الثقة التى كنت بمسيس الحاجة إليها ، كما حل مشكلاتى المالية . ومنذ ذلك الوقت اصبحت كاتبا مسرحيا .»



بيتر شافر

وفى نفس هذا الجو العائلى قدمت لشافر مسرحيتان قصيرتان فى عرض واحد سنة ١٩٦٢ الأولى بعنوان « اذن خاصة » وتدور حول فنان شاب شديد الخجل يعجب بفتاة جميلة فيدعوها للعشاء ، ويدفعه خجله لاصطحاب احد اصدقائه معه ، فاذا بالفتاة تعجب بالصديق ، حتى إذا انصرف مبكرا حسب الاتفاق ، لم يجد الشاب الفنان مناصا من اعطاء عنوانه للفتاة لكى تتبعه

المسرحية الثانية « عين عامة » تدور حول زوج يشك فى سلوك زوجته فيستاجر مخبرا سريا لمراقبتها ، ويتاكد المخبر من براءة الزوجة ومعاناتها من الوحدة نتيجة لانشغال زوجها ، فيتطوع لمعاونتها فى ابتياع تذاكر السينما والمتاحف ، ويلاحقها من قرب حتى لتظنه معجبا بها . وحين تكتشف حقيقته تثور عليه وعلى زوجها ، ويوفق المخبر فى الاصلاح بين الزوجين واقناع الزوج بان يقوم بنفسه بمتابعة زوجته ليمكنه تفهم مشكلتها الحقيقية .

وفى العام التالى ـ١٩٦٣ـ قدمت «ورشة المسرح» لجون ليتلوود مسرحية شافر الرابعة «حفل المغرورين المرح» وهى تعتمد بدرجة كبيرة على التمثيل الايمائى .

## المطاردة الملكية للشمس

ولا يقنع شافر بهذا النجاح الذى حققه فى مجال المسرحية العائلية النفسية التى لا تتطلب إلا عددا محدودا من الشخصيات ، بل يقتحم عالم المسرحية التاريخية الملحمية فى مسرحيته «المطاردة الملكية للشمس» وهى مسرحيته الوحيدة التى ترجمت الى اللغة العربية ، ونشرت فى سلسلة « من المسرح العالمى » التى تصدرها وزارة الاعلام بالكويت بعنوان «اصطياد الشمس» (العدد ٣٠) .

المسرحية تصور غزو اسبانيا لامبراطورية بيرو القديمة بامريكا الجنوبية سنة ١٥٢٩ ، بحملة بقيادة فرانشيسكو بيتسارو .

وبالرغم من اعتماد المسرحية على وقائع التاريخ الثابتة ، فانها تتخذها منطلقا لعلاج موضوعات انسانية اكثر شمولا ، لعل اهمها المقابلة بين حضارة اهل بيرو الفطرية الاصيلة ، وما تتسم به من صدق وبساطة ، وحضارة الغزاة الاسبان القائمة على الجشع والانانية والخداع .

والمسرحية اقرب للمسرح الشامل من حيث اعتمادها على عدد كبير من الممثلين والمجموعات واستخدامها للطقوس الدينية الجماعية ، بالاضافة الى الرقص والموسيقى والغناء والتمثيل الايمائى ، وقد قدمها المسرح القومى البريطانى فى مهرجان وتشستر سنة ١٩٦٤ واخرجها جون ديكستر .

## تأثره بالمسرح الآسيوى

ومن أهم خصائص مسرح شافر حرصه على استخدام الحركة والتأثيرات المرئية وعدم اعتماده على الحوار وحده ، وقد تأثر فى ذلك بالمسرح الآسيوى . ويقول :

« لقد أثارنى المسرح الشرقى ، فممثلو «النو» اليابانيون يطيلون التأمل فى طبيعة أقنعتهم قبل أن يرتدوها ، ومن ثم يستخدمونها بطاقة نفسية كبيرة ، وقد حاولت تحقيق ذلك فى مسرحياتى . ولقد اتهمت بأنى أكتبه لخشبة المسرح ، ولكن اولئك النقاد لا يدركون مدى الساعات الطويلة التى يتطلبها ذلك . وعلى كل فهذا ما أريد أن أكونه ، فأنا أعمل فى المسرح ، وليس فى هذا الوصف ما يحط من قدرى »

## معركة الاعترافات

وانعكس اعجاب شافر بالمسرح الشرقى فى مسرحيته التالية ايضاً ، وهى « ملهاة سوداء » (١٩٦٥) ، فقد استلهم فيها تقليدا دراميا معروفاً فى «اوبرا بكين» الصينية القديمة ، ويتمثل فى مشهد مبارزة بين فارسين فى الظلام ، ولكنهما يمثلانه تحت ضوء ساطع . فاستخدم شافر نفس الحيلة إذ جعل المسرحية تبدأ والمسرح مظلم تماماً ونسمع الحوار بين البطلين ، وفجأة يضاء النور فتصيح الفتاة : « لقد انقطع التيار الكهربائى » ، وهكذا تدور احداث الهزلية القائمة على اللبس وسوء التفاهم فى الضوء المفترض أنه ظلام حتى يتدهور الموقف الى نوع من الفوضى ، وينتهى بعراك مثير .

قدم المسرح القومى البريطانى المسرحية مع «الآنسة جولي » لاسترندبرج فى عرض واحد سنة ١٩٦٥ ، ثم استبدل بالاخيرة مسرحية قصيرة جديدة كتبها شافر سنة ١٩٦٨ واسماها «الكاذبون كذبات بيضاء » ، وعالج فيها بنفس الأسلوب الهازل اضطرار بعض الناس الى تزييف حقيقة نسبهم وإدعاء مواهب ليست لهم ، وخيبة الأمل التى يصابون بها حينما تنكشف اكاذيبهم .

وفى سنة ١٩٧٠ اخرج بيتر هول للمسرح القومى مسرحية شافر الثامنة «معركة الاعترافات» وهى مسرحية معاصرة طموح ، تعتمد على مواجهة بين فيلسوف يدعو للسلام ـ قيل انه استلهمه من شخصية برتراند راسل ـ وشاعر ملحد داعر ، وتنتهى المسرحية وقد اضطر الفيلسوف الى حمل السلاح دفاعاً عن نفسه ، فى حين يتخلى صديقه الشاعر عن اعتقاده بأن السلاح هو وحده القادر على حل المشكلات .

ويلاحظ الناقد كولين تشيمبرز ان كل مسرحيات شافر الكبيرة تعتمد اساسا على مواجهة بين شخصيتين : القائد بيتسارو وحاكم بيرو والهها « المطاردة الملكية للشمس » الشاعر دافيد والفيلسوف سير جيدون بيترى « معركة الاعترافات » ، مارتين ديستارت الطبيب النفسانى الصارم ومريضه المراهق الآن الذى اغرم بفقا عيون الخيل التى يحبها فى مسرحية «إكوس» التى اخرجها جون ديكستر للمسرح القومى فى «اولد فيك» سنة ١٩٧٣ ، ثم بين الموسيقار موتسارت وزميله سالييرى فى مسرحيته الأخيرة « اماديوس » التى تعرض حالياً بصالة «اوليفييه» بالمسرح القومى باخراج مديره بيتر هول ، وقد آن أن نتوقف عندها قليلا.

## تناقض العبقرية

ولد انطونيو ساليرى سنة ١٧٥٠ فى لومبارديا بايطاليا ، ودرس الموسيقى فى فينيسيا ثم فيينا، حيث عين سنة ١٧٧٤ بالفرقة الموسيقية ببلاط هابسبورج ، ثم أصبح قائدا لها سنة ١٧٨٨ ، وتوفى سنة ١٨٢٥ ، قبل بيتهوفن بعامين ، وقبل شوبير بثلاثة ، وكلاهما يعتبر من تلاميذه .

وقد اختلف المؤرخون حول علاقة ساليرى بموتسارت (١٧٥٦ـ١٧٩١) ، فقد اشار بيرسى شولز الى ما تردد عن كراهيته لموتسارت الذى نافسه فى فيينا . وقال آخر بوضوح أكبر « إنه كان صديقا لهايدن وعدوا لموتسارت » . ولكن ب.هـ لانج هو الذى قدم فى كتابه «الموسيقى والحضارة الغربية » وصف ساليرى الذى اعتمد عليه شافر فى مسرحيته ، وذلك حين قال « إنه كان متامرا ، ولا شك فى اساءاته الى نجاح زملائه من الموسيقيين النمساويين . ودفعته خبرته الموسيقية الكبيرة الى تركيز خبثه على موتسارت الذى يرجع مصيره المحزن بدرجة كبيرة الى مكائد ذلك الايطالي . »

وقد سبق الشاعر الروسى الكبير الكسندر بوشكين الى تاليف مسرحية قصيرة حول هذا الموضوع سنة ١٨٣٢ واسماها «موتسارت وساليرى» . ويلاحظ مارتين إسلين تشابها كبيرا بين تلك المسرحية ومسرحية شافر فى تصويرهما لشخصية ساليرى رجلا متوسط الموهبة ، أمرضه الحقد على عبقرية من أعظم العبقريات الموسيقية التى عرفها العالم ، ولكنه فى مسرحية بوشكين يقدم السم المادى لموتسارت ، فى حين إنه عند شافر يكتفى بالتامر عليه ، واستغلال جوانب الضعف فى شخصيته حتى ينتهى الى تسميم حياته وتدميرها .

وبالرغم من ان المسرحية تحمل اسم موتسارت فانه ليس الشخصية الرئيسية فيها ، بل ان منافسه ساليرى هو موضوعها الرئيسى ، بشخصيته المعقدة ، وصراعه الداخلى بين استاذيته الموسيقية التى تجعله يفطن الى عبقرية موتسارت ويبهر بها ، وبين نظرته اللومباردية التجارية التى ترفض ان يتفوق عليه فى فنه انسان آخر مهما كانت درجة عبقريته .

والمسرحية تعرض من وجهة نظر ساليرى الذى يعترف بجرائمه للأجيال القادمة بعد أن تقدمت به السن وثقلت عليه آثامه فقرر الانتحار . ويعتمد بناء المسرحية على استرجاع احداث الماضى (الفلاش باك ) ، فيتغير ساليرى بسرعة



الامبراطور جوزيف الثانى يقدم موتسارت لساليرى ، ابتسامات مصطنعة وكراهية متبادلة



موتسارت « سيمون كالو » وساليرى « بول سكوفيلد » ثم الراويتان « درمات كرولى و دونالد جى ».

من كهل واهن القوى الى رجل بلاط فى عنفوانه ثم يعود مرة اخرى عجوزا متهالكا .. وهكذا ، كما يستعين المؤلف بروايتين من مروجى الشائعات فى فيينا يحاوران البطل ويناقشانه .

ولم تنج المسرحية من مؤاخذات !!نقاد بالرغم من اعجابهم العام بها ، من ابرز هذه المؤاخذات ما كتبه مارتين اسلين :

« لاشك فى ان تقديم رجل مثل مونسارت على خشبة المسرح يمثل مخاطرة كبيرة إذ كيف يمكن تجسيد مثل تلك العبقرية إذ لم يكن المؤلف على نفس القدر من العبقرية . وتتضاعف هذه الصعوبة بالنسبة لموتسارت مائة مرة لانه كشف فى رسائله عن شخصية ذات طبيعة حسية واضحة وعجز واضح عن التعبير . فاى تناقض : اسمى روحانية تصدر عن رجل بارع فى قول النكات الجنسية الخارجة ! »

« وهنا يتمثل اخبر خطأ ارتكبه شافر حين نقل هذه الفظاظة والركاكة فى التعبير الى لغة موتسارت فى البلاط الامبراطورى ذاته .. لقد سميت المسرحية «اماديوس» ولكنها بفضل رسم شخصية موتسارت على هذا النحو اصبحت اشبه بهاملت بدون امير الدانمرك .. »

من الواضح ان الصدق التاريخى لم يكن شاغل شافر الرئيسى ، بقدر اهتمامه بالتصوير النفسى للشخصيات ، وصراعاتها الداخلية ، وبصفة خاصة شخصية ساليرى التى اداها بنجاح كبير الممثل بول سكوفيلد ، ووفق المخرج بيتر هول فى تقديم عرض ناجح ، كان من اهم عناصره استعانته بالموسيقى الحقيقية لموتسارت وساليرى ، فحقق للمسرحية هذا النجاح الذى كهسه غالبية نقاد لندن باختيارها افضل مسرحية قدمت خلال العام المنقضى .

# كافكا شاعر الرواية

فتحى سعيد

**« انا لست سوى بداية ونهاية .. اعيش غريبا اكثر من الغرباء انفسهم .. انا فى حاجة الى العزلة . وكل مانجحت فى تحقيقه ليس إلا نتاجا للوحدة .. إننى اخاف الارتباط .. واخاف فقدان ذاتى فى كائن آخر .. لأنى لن اصبح وحيداً بعد ذلك !»**
**(يوميات خاصة)**

صدر مؤخرا كتاب جديد بعنوان « رسائل كافكا الى الأصدقاء والاهل » ترجمة ريتشارد ونستون .

وضم الكتاب رسائله العديدة والغريبة لحبيبته « ميلنيان » التى احبته واحبها و«مع ذلك كان لابد ان اهجرها !»

ورسائله المتناقضة لأبية .. ولأصدقائه ولناشريه كاشفا لهم من خلالها .. لأول مرة قصة علته التى داهمت صدره مبكرا وكتم آلامه المبرحة وأوجاعه عن الكثيرين حوله ..

ويروى كذلك ! احوال غربته واحزانه واسرار ولعه بالعزلة والخوف الجاثم على صدره كانه الأثم حتى ليخشى « ان تهجره روحه اثناء النوم وتعجز عن العودة » ولم يكن كافكا .. مشهوراً ذائع الانتشار لدى قرائه ومعاصريه او صاحب شعبية عريضة خلال حياته القصيرة بل والى سنوات بعد رحيله ..

ولكنه اثر وبدون عمد .. فى ادباء وشعراء عصره حيث استطاع ان يصور بحرارة وصدق وإلحاح مستمر ازمة الانسان والعصر رافعا صوته النحيل بجسارة وقوة ضد اعداء الحياة . ولم يكن كافكا شاعرا ..

كان روائيا وقصاصا وكاتب يوميات واعترافات من الطراز الأول ولكنه تميز بروح الشاعر .. وضم قلبه على لؤلؤة الشعر النادرة فاستطاع ان ينفذ الى القلوب كالشعاع .

ولعله فطن الى أن وجه الشاعرفيه هو احب الوجوه واجملها فقال يصفه وكانما يعنى نفسه :

« الشاعر يكون دائما اصغر واضعف من المتوسط السائد فى المجتمع ولهذا فهو يحس إحساسا اكثر كثافة .. وبالتالى فان وجوده فى العالم يكون اقوى من وجود الآخرين .. »

وكما كان شوبان شاعر الموسيقى وفان جوخ شاعر الألوان .. وتشيكوف شاعر القصة القصيرة .. كان كافكا .. شاعر الرواية غير منـازع ..!

## .. ولكنه مفوض

« لا يوجد من يفهمنى فى شمولى الروحى الكامل»

هكذا تكلم كافكا وعبر عن ماساته .. كان يتجول بهدوء كما قال .. وهو مستغرق فى التفكير فاذا به يقع فجاة وتحاصره الاحراش من كل جانب .. وهكذا لخص علاقاته بالعالم والناس حيث وقع فى الاسر ولا فكاك له إلا بمزيد من الاغتراب والرحيل

كائن غريب .. اثقل على معاشريه واصدقائه وتمرد على نفسه وعلى كلما حوله .. واثر الانفراد والصمت فى انتظار ان ياتى العالم له بنفسه حاسراً عنه النقاب متلويا بين يديه..

فتنكروا له وانكروه وتكاثروا عليه ولغطوا بغرابته وإسرافه فى التحليق والجنوح وكانه يتكلم بلسان مجهول ..

ولذ لهم ان ينشبوا الاظافر فى قلبه الرقيق .. ولذ له بدوره الانطواء والهجرة بدلا من تبديد طاقته فى محاربة طواحين الهواء .. وكان غربته كنزه الدفين الذى يغالى به الآخرين .. طارحاً على نفسه السؤال والجواب :

« يالله من وهم سانج .. إن اعدادهم لا تحصى .. اما انت فلاتزال تسهر . !

لماذا انت ساهر ؟

يقال لابد ان يسهر واحد !

لابد من ذلك فعلا ..

واثر كافكا السهر الطويل .. وارق الليل والنهار .. وكل ما فيها من عذابات النفى والانتظار .. واحتراق الروح حتى اطراف الانامل .. تلك الأنامل المحترقة .. التى كانت وحدها تمنحه القوة والجلد والصمود عندما تطبق على القلم وتملأ به بياض الصفحات وزوايا الاوراق لأنه ساعتها يصبح :

« جريئا مغامرا .. قوياً رائعا .. بشكل لا اكونه عادة .. آه .. لو استطعت ان اكون هكذا فى كل شيء ! »

ولكن كافكا لم يستطع ان يكون إلا ما كان .. غريبا اكثر من الغرباء انفسهم .. .

« منتظرا ـ وهو واقف ـ الشمس التى ستغمره بشعاعها فجاة وبلا نهاية ! »

## الريادة والكشف

« ذلك ان احدا لم يكلفه .. ولكنه مفوض » فالساعة تدق فى داخله بسرعة شيطانية .. وكانها على موعد مع انفجار .. والعالم يموج فى راسه ويهدر.

والموهبة فذة .. تغرقه فى فجاج التطلع والارتياد والكشف .. الشاعرية مسرفة عاتية .. تطوحه فى عناقد التجوال والنفاذ والرحيل نحو المطلق .. القلب طفولى .. والوجه خريفى .. والعينان مرهقتان بالوهج .. راعشة الهدب لطول ماركضت خلف الرؤى والمسافات والروح غريبة اكثر من الغربة نفسها .. نزقة .. طموحه .. تواقة .. متعالية مجلوة .. سكوب .. تثقل كاهله وتدفعه كالسيل نحو نبع مجهول .. كان مثل غيمة .. تتدلى من دوالى الغيب وتهمى لتغسل عيون النيام .. ليعرفوا الحقيقة .. باعتبارهم اناسا يمشون وهم نيام لا اوغاد .. »

## عن الآخرين

إن احدا لم يكلفه .. ولكنه مفوض .. ! مفوض من قبل ما لا يحسه ويراه الآخرون .. وإنما هو وحده الذى يكابده ويدريه .. إن مثل «جوزيف له» بطل المحاكمة :

« يتكلم باسم الاعداد الغفيرة .. ومن طراز « المسلح » بطل القلعة . لا يمسح الاراضى والملكيات. وإنما مسلح عالم بلا حدود ولا صفة .

وهو خلف ابحاث كلب :

« يسال بكل غطرسة وباعلى صوت وسط الجلبة ويتقمص وعى حيوان .. »

وباختصار هو «إنسان إستثنائى» متفجر .. متمرد .. مشتعل .. مهموم .. عنيد .. مصر على «ايضاح الغايات النهائية» .. ويقاتل من اجل التقاط الشعلة الاصلية التى ترقد تحت الرماد البارد للمجتمع والقوانين والدين والعقائد لينير بها الحياة ذلك لان : كل شىء مهيا فى اعماقه لابداع عمل عظيم وسيكون هذا النوع من العمل بمثابة خلاص فعلى .. وانطلاقة حقيقية فى الحياة ..

## البوح المضنى

ذئب وقع فى كمين .. وكان البحر مقصده .. كيف يخرج من هذا الكمين ؟

كان لابد ان ينفجر .. وانفجر ! .

فضل الانفجار الف مرة على الكبت .. والبوح على الانحناء اثر الحركة والامتداد على الوقوع فى الاسر وانفجر .. وكان ذلك مبرر وجودى ..

اندفع كافكا .. كالاعمى يطلب السباق وسط النخيل .. ويناطح السحاب .. ويحاور الغيوم .. ويتسلق الاسوار .. ويسابق الريح .. ويركض فى الادغال .. ويغوص فى الكون .. وينقب فى الاعماق .. ويستخرج الكنوز ..

كان ابن الطبيعة المدلل اباحت له احشاءها ليطيل فيها التحديق والاغتراف .. مزودا بجلد هائل .. وشوق عارم ومطارد للمبهم .. واصرار على الاقتحام .. ونبع من الالفاظ والمعانى والصور لا ينفد .. وصراعات داخله وخارجه وعقدة الاب ومكابدات الليل والنهار .. وعناء العزلة والمكوث ..

إنتحار يتاجل لغير نهاية .. عبء كبير ينوء به صدره الرقيق صخرة «سيزيف» تجثم على رئته الذابلة .

فانفجر الصدر بدوره دما ..

## من اجل البقاء

وتتوهج روح «كافكا» دون توقف .. وكانها تعطى كل قطافها فى موسم واحد .. ويتكاتف المرض مع الغربة على فتى العصر المبكر .. وينزف اعماقه على الورق بغزارة واحتراق وصدق .. ويمتزج حبر قلمه بدم صدره ولكنه لا يتوقف « فالكتابة كفاحه من اجل البقاء .. والام الرئة ليست سوى طفح الامى المعنوية

وفى قدرته ان ينعم برضا عابر عن اعماله »

ولكنى لن ابلغ السعادة إلا إذا اثرت فى العالم ليندفع نحو الحق والنقاء والثبات .

لم يكن مثل شيللى يحمل بين جنبيه شهوة لاصلاح العالم .

ولم يصرخ كبايرون انا نابليون الشعر .

ولم يزعم كما زعم رامبو لقد عثرت على المفتاح .

ولم يقع كبودلير فى انية الازهار الشريرة .

## تعددت فيه الأقوال

ولا تنتهى غربة كافكا بموته .. بل يحملها معه



فرانز كافكا

الى قبره .. فيوصى صديقه الاثير « ماكس برود » ان يحرق مخطوطاته ومؤلفاته ..

ويرفض الصديق الوصية وينشر نتاج كافكا كله ..

ويجىء هتلر فيحرق النتاج كله .. وتتحقق وصية كافكا بيد هتلر .. لا بيد برود ! .. وتسدل الستار على فواصل كافكا حينا من القرن .

ويحتدم حوله الجدل .. كثيرا وتتعدد فيه الاقوال:

● ولد عاق لاحد ثراة التجار .. ثار على ابيه لانه يعتبر عماله « الاعداء الذين يتقاضون اجرا » فكتب له اشهر رسالة واعنفها ..

● مواطن ممزق .. « تشيكى المانى » وموظف فاشل يهجر الوظيفة لاصطدامه بعفن اللوائح وبيروقراطية الحكم .. ولأن العمال «يلتمسون حقوقهم باستعطاف بدلا من ان يهدموا المؤسسة » .

● عاشق مخبول .. يحب «ميلفيا» الجميلة وتحبه كما لم يعشق اثنان ومع ذلك « كان لابد ان يهجرها » ويحب اخرى ويهجرها .. وادانوه بقوله :

« الزواج يفترض الثقة بالنفس وإلا فهو اضافة عزلة جديدة الى العزلة القائمة ولا يخلقان وطنا .. بل سجنا » .

● واعتبروه مسيحا ولاهوتيا وواحدا من اتباع «كارل بارت» وسيزيف ونبتا جديدا فى غابات هيدجر وحدائق باسكال وهرتزن ودستويفسكى وجوركى .. بل قالوا .. مسلول متوقد المزاج معتل التفكير .

● واخيرا فهو برجوازى صغير مترد فى التشاؤم واما رجل الثورة .. ان لم يكن رجل الاشتراكية ..

تعددت فيه الاقوال .. بعد ان قال كلمته وعبر .

## شاهد عصره وشهيده ..

وتمر السنون .. وترتفع الستار عن كافكا وتشرق الشمس ثانية ..

ويتلفت العالم باحثا عن فتاه المتمرد المكدود ليضمه الى الصدر من طليعة كتاب العالم ..

ويعاد النظر فى تقييم اعماله .. وتنشر كتبه ويعاد طبعها .. ويفسح الاشتراكيون الذين رفضوه ذات يوم .. مكانا رحبا لكافكا ويرد العالم له اعتباره .. ماسحا بذلك عن جبينه الملتهب عرق الرحلة الشاقة ..

ولكن بعد ان انفجرت الساعة التى كانت تدق فى داخله بسرعة شيطانية واشتعل العالم الذى كان يموج فى راسه ويهدر .

وتناثر معه كافكا العظيم اشلاء فى كل فضاء .. ليكون ابن العالم كله .. وشاهد عصره .. وشهيده معا .

لذلك ان احدا لم يكلفه ولكنه مفوض !

رسالة لندن من عبد القدوس الخاتم

مسرح

# حسن السير والسلوك

تأليف : توماس فاتس

إخراج : ريتشارد مالتبى

فى عشرينات هذا القرن كان الشباب النيويوركى المتطلع يجوب طرقات ومنتديات هارلم خصوصا منتديات موسيقى الجاز . ومن خلال الاضواء الخافتة كانوا يتصيدون الانغام والعواطف والخطر ويعودون ادراجهم الى نيويورك لكى يسهموا فى صنع ما يسمى بعصر الجاز . تلك الحقبة التى افلح فى الامساك بتلابيبها الروائى الموهوب سكوت فتزجرالد فى اعماله الموسومة « هذا الجانب من الفردوس » و «ما أرق الليل» ، و «جاتسبى الكبير» . ذلك الجو الرائع هو مايحاول المسرح الملكى إعادته الى الأذهان . مزيج نادر من السحر والموسيقى وبعض الموسيقيين من شبيبة الثلاثينات تسنموا قمة الشهرة فيما بعد كديوك اللنجتون ، والبعض الاخر عفى عليهم الزمن الغادر فتقهقروا الى اراشيف المختصين واضابير الدارسين . اما صاحبنا توماس فاتس والر فلا يمكن تصنيفه في أى من النمطين السابقين . لقد قام بتاليف هذه المسرحية الموسيقيةوانجزها عام وفاته ١٩٤٣ ولم يكتب له ان يشاهدها . وكان فى زمنه محبوبا للغاية واشتهرت موسيقاه بحيويتها النفاذة مما حدا بارمسترونج العظيم لان يقوم بتسجيل «حسن السير والسلوك» فى اسطوانات . وإن لم يكن فاتس شهيرا اليوم فان اى تقييم موسيقى لهارلم الثلاثينات لا يمكن ان يتم دون الاشارة إليه . وجميع الأغانى فى هذه المسرحية كان فاتس قد قام بادائها على البيانو والف معظمها .

والمسرحية عبارة عن قوس ضخم من الضوء والنغم يشتعل كالبرق فى اللحظات الدرامية المهمة . وعلى الخشبة ادوات قليلة . منضدة واحدة وزوج من المقاعد . ويقوم بتادية الأغنيات خمسة ممثلين رجلان وثلاث نساء : ايفان بيل السمين الماكر العطوف السحنة ، الذى يرتدى بذلة بنية . اندريه دى شيلد ذو السترة الرمادية . انا إدواردز الضخمة العتيقة . الاسكتشات الغنائية لبيسى سميث . وتلعب جوزيلا ريد دور الفتاة الريفية وعندما تشدو بـ «ضمنى اليك بقوة» فانها تقدم اكثر لحظات المسرحية قوة وإثارة . وفى النصف الأول من هذه المسرحية الغنائية يغرد الممثلون بالاغانى التى تقرب جو هارلم الى النظارة ، ويختتم هذا الجزء ونحن فى الحرب الكونية الثانية . ورغم ماساة الحرب وما تستدعيه من تصوير مظلم ولوحات قاتمة فان المؤلف إختار خلفية مرحة تتطاير فيها النكات والسخريات حول المجهود الحربى والدعوة للتجنيد خاصة تجنيد الزنوج للدفاع عن وطنهم « الام » ورغم السخرية الشائكة فان المتفرج لا يشعر بالمرارة او الابتذال . فالفكاهة هنا موظفة ببراعة شمولية بحيث تخفى تحت عباءتها النزعات القومية والعرقية فلا يتبقى من الانسان إلا انسانيته وضعفه الانسانى المحض . وباغنية «مفاصلى تتقافز» يسدل الستار على الفصل الأول . وتتكثف الاغانى فى الفصل الثانى ويزدحم بالموسيقى الشجية ذات الايقاع المتلكأ حينا ـ بحيث يطغى صوت الكلارنيت ـ والساخن حينا آخر بحيث تتبدى الخشبة وكانها غابة من الطبول ، بينما تشكل الاغنيات خلفية مؤثرة « وزع النغم يمينا ويسارا » « منبطحا فى الوالدروف » .

وهاتان الاغنيتان ضمن اخريات تعبران عن التضاد بين السود والبيض الذين يعشقون الجاز ولكن فى «جرعات صغيرة» . وتتوالى الأغنيات «قاس معى» لانا إدواردز . « رجلك غابة فى الضخامة » ، « ده غلط ! » وهذه الاخيرة محاولة خفيفة فى اتجاه البلوز الكلاسيكى . ويبلغ العرض قمته حين تترى على المسرح حزمة من الاغنيات التى تمزج الضحك بالبكاء وتتوج بالاغنية الختامية «ابحث عما يحبونه والطريقة التى يحبونه بها .. وافعل ذلك .» موشاة بـ «اسود وازرق» وهو نشيد حنظلى المذاق يدور حول معالجة الفصل العرقى . ولا يعيب هذا النشيد إلا إفراطه فى الجزالة والفخامة ولعلها كانت تكون اكثر تاثيرا لو توخت البساطة . ويلعلع الكورس «ساجلس واكتب خطابا لنفسى » « ايها النائم .. لا استطيع منحك شيئا سوى الحب .» وتطغو حشرجات مفعمة بالحنان الجريح .. وفجاة يشارك الجمهور الماخوذ فى الغناء والضحك والصراخ .. فالعدوى تصيب الجميع .

وإذا كانت هناك تحفظات على هذا العمل الجميل فاهمها : إن المؤدين يتعاملون مع الاغنيات بطريقة مسرحية مبالغ فيها ويبلغ بهم الانجذاب والوجد حدود الخروج عن الخط الموسيقى ... ومن ناحية اخرى فهنالك ايضا الاحساس بالتاريخ الذى يكتم الانفاس فى بعض المشاهد ـ تاريخ السود وعذاباتهم بحيث تعمى العيون عن انجازات الحاضر . ومهما يكن فان « حسن السير والسلوك » مثل للمسرح الغنائى الرفيع . فهى عامرة بالاغنيات المعبرة والايقاع الذى يبعث الرعشة فى الأوصال . ورغم خلوها من العقدة فهى تتدرج من خلال النغم لتصل الى ذروتها الدرامية الخاصة .



سينما

# أجاثا

إخراج : مايكل آبتد تمثيل : فانيسا رادجريف - داستين هوفمان




أجاثا كريستى الكاتبة البوليسية الذائعة الصيت صاحبة الروايات الشهيرة « جريمة فى قطار الشرق » و «مات على النيل » وغيرهما من الأعمال التى خلبت ألباب الملايين وترجمت الى عشرات اللغات ووزعت ملايين النسخ . المؤلفة التى برعت فى تفصيل الحبكة المجللة بالغموض والتى لا يستطيع القارىء فك مغالقها – مهما كد ذهنه – إلا فى الصفحات الأخيرة . يدور هذا الشريط المظلم عن فترة مظلمة من حياتها المديدة . لقد استطاعت كاتلين تاينان (عقيلة الناقد المعروف كينيث تاينان ) ورفيقها آرثر هوبكر ان يقوما باعداد سيناريو متقن عن تلك الأيام المجهولة فى حياة أجاثا كريستى . ففى عام ١٩٢٦ صدرت روايتها «مقتل روجر أكرويد » وأصبحت حديث المجتمعات اللندنية بعقدتها المحيرة التى كرست بطلها الأثير هيركيول بوارو كواحد من الصفوة المنتمية الى عصبة شرلوك هولمز . بيد ان السيدة كريستى لم تتمتع بثمرة جهدها . كانت امراة بالغة الحساسية وذات طبيعة انطوائية مؤلمة . وكانت والدتها قد قضت نحبها حديثا . وزواجها من الكولونيل آرشيبالد كريستى يمر بفترة عصيبة – بل كان على حافة الانهيار . وكان المسرح معداً باكثر عمليات البحث والمطاردة درامية . ففى الساعة التاسعة والخامسة والاربعين مساء الجمعة الرابع من ديسمبر عام ١٩٢٦ غادرت



داستين هوفمان

اجاثا منزلها فى سننغديل بضواحى لندن ، ادارت محرك سيارتها واختفت . وصباح اليوم التالى وجدت السيارة وبداخلها معطف فراء وكومة من الملابس وحقيبة يدوية تحتوى على أوراق خاصة – وعلى مرمى حجر كان يرقد حذاء مثلوم وايشارب . وفجاة بدأ ان العالم كله يبحث عن اجاثا كريستى . كان هناك حوالى خمسة عشر الف شرطى ومتطوع بما فيهم صبية كشافون ومدربو كلاب بوليسية وطيارين يمشطون منطقة بوركشير المحيطة بمنزلها . ومما زاد النار اشتعالا تصريح رئيس البوليس بان السيدة كريستى «سيعثر عليها فى مكان ما من هذه الأحراج الملتفة » وخصصت صحيفة « الديلى نيوز » جائزة لأول من يدلى بمعلومات مفيدة عن مكان السيدة كريستى إذا كانت على قيد الحياة .

واشارت صحيفة اخرى إلى انها ربما تظهر متخفية فى ثياب احد ابطالها الروائيين . ومر احد عشر يوما . وفجاة بنفس الطريقة الغامضة التى اختفت بها ظهرت اجاثا فى إحدى المصحات بهاروقيت . وكانت مسجلة تحت اسم السيدة نيل عشيقة زوجها . وادلى الكولونيل كريستى بحديث مهم للصحفيين فقال إن زوجته تعانى من مرض فقدان الذاكرة الناتج عن الانهاك فى العمل . ،اكد ألا صحة للشائعات القائلة بتفاقم الخلافات الزوجية وقرب الانفصال . ولكن – بعد سنوات ثلاث – وقع الطلاق . وفيما بعد تزوجت اجاثا عالم الآثار ماكس مالوان وباعت من كتبها ملايين النسخ . وبوفاتها عام ١٩٧٦ انتظر القراء ان ينكشف السر فى مذكراتها التى طبعت عام ١٩٧٨ ولكن دون جدوى . وتفرغت السيدة تاينان لاجلاء الغموض . فالحقائق المعروفة لا تتفق مع التفسير الرسمى للاختفاء . بل تطرح المزيد من الاسئلة ، كيف غادرت سيارتها فى طريق ريفى مجهول ؟ وكيف ظهرت فى مصح فى يوركشير يبعد مئات الأميال ؟ لماذا انتحلت شخصية عشيقة زوجها ؟ ومادلالة الاعلان الذى نشرته فى صحيفة التايمز وفيه تقول « هل يتفضل أقرباء السيدة نيل الجنوب افريقية بالاتصال ؟ » لماذا اختارت مصحا معروفا بحماماته العلاجية وجلسات الدلك الكهربائى ؟ وحتى العثور عليها يثير الشكوك . لماذا كان الكونستابل الحذر وكانه يشير الى جريمة قتل ؟ وإذا كان الكولونيل كريستى قد كذب بخصوص المتاعب الزوجية لماذا نصدق حكاية فقدان الذاكرة ؟ لماذا كان بعض المتفكهين موقنين بان اختفاء السيدة كريستى مجرد دعاية لكتابها المقبل ؟ وقد اقبلت السيدة تاينان على الموضوع بهمة هيركيول بوارو نفسه . قضت الساعات الطوال فى قسم الصحف والدوريات بالمتحف البريطانى منقبة باظافر لا تفتر فى الجرائد التى مضى عليها ما ينيف عن نصف القرن . ووضعت نفسها موضع مؤلفة فرغت



لتوها من تاليف رواية بوليسية وتحدثت عدة مرات عن الانتحار وكانت مرتبطة برجل مصمم على هجرها ، وفى ذات الوقت ، ذات ذهن نشط فى خلق الالغاز المحيرة والعقد المربكة . وتوصلت تاينان الى حل مجرد تفسير قد لا يكون صحيحا . فهو وليد الخيال ولكنه يتسق مع الحقائق المعروفة سلفا . ونفت نفيا قاطعا ما قيل بصدد فقدان الذاكرة . وخرجنا نحن بهذا الشريط الذى لا يقل حبكة عن روايات اجاثا . وكل ما يريد المخرج ميشيل ابتد أن يقول هو : إن مستقبل اجاثا آنذاك كان فى قمة التبشير بالعطاء بينما كانت حياتها الخاصةحطاما او كالحطام . وانه فى الرابع من ديسمبر ١٩٢٦ إنهار الخيط الرفيع بين الفن والحياة . فارادت ان تخلق عقدة بوليسية محكمة تحير رجال الشرطة وتلقى الشكوك حول زوجها الآبق . وتظل بلا حل . ومهما يكن فان السر قد دفن مع صاحبته الى الأبد . وقد ادت فانيسيا رادجريف دورها ببراعة مذهلة . وتقمصت دورها بنجاح . ولم يكن دستين هوفمان اقل إقتناعا فى دور المخبر الصحفى .

## روائية تتحدث

بنيلوب مورتيمر الروائية البريطانية المرموقة صدرت لها من قبل روايات جيدة لاقت نجاحا طيبا فى اوساط الجماهير القارئة ، اهمها اكل القرع و البيت ، وفى الأخيرة تسخر بنيلوب مر السخرية من تقاليد الزواج السائدة فى المجتمع البرجوازى .. تلك التقاليد المموهة بالمبالغات وعشق المظاهر البراقة . وبنيلوب الآن فى حوالى الستين من عمرها . والسبب فى إختفائها الأشهر الأخيرة هو عكوفها على كتابة ذكريات طفولتها التى صدرت اخيراً فى مجلد باسم «عن الزمن» تدور الحوادث فى العشرينات وتصور والديها الغريبى الأطوار : اباها المجدف الملحد وامها التى انصب اعتقادها على الأشباح فالكتاب ليس صورة وردية لعشرينات القرن إذن ـ كما ينظر جل الكتاب الى ماضيهم ويضفون عليه سمة رومانسية رقيقة الشفافية . « لقد دلفت إلى طفولتى الثانية » تقول بنيلوب مشيرة إلى الأعوام الستين التى تنوء بكلكلها . و « عن الزمن » إنجاز مثير ولكنه يتوقف والمؤلفه فى الثامنة عشرة . لماذا ؟ بضحكتها المكتومة من خلال سحابة الدخان التى تظلل وجهها تجيب بانها تظن انها اكملت الباقى فى رواياتها « ربما حتى الموت ، وربما حتى سن الخرف . ذلك ما يذكرنى بالزوجين النيويوركيين اللذين طلبا الطلاق وهما فى التسعين . فقال القاضى بانه سيستجيب لهما ولكن لماذا انتظرا كل هذه المدة؟ ردا بانهما كانا ينتظران ان يقضى الأولاد نحبهم » وابناء بنيلوب الذين تطلق عليهم اسم «الأولاد» ستة تتراوح اعمارهم بين الرابعة والعشرين والاربعين ـ كرست زهرة عمرها لتنشئتهم وعندما كانت فى الأربعين كانت تؤمن بان السعادة الحقة تنبع من البساطة والعزلة المتوحدة . « بالقطع ليس لها صلة بذلك النمط اليائس من الحياة التى يعيشها الجميع هنا .. الحياة اللندنية المتخمة بالنقود والتنافس والنجاح والخوف . لقد صممت ان القى جانبا بالتعقيدات المجنونة » حقا لقد اخذ ذلك من وقتها اكثر مما قدرت . بيد انها الآن قد طرحت جانبا الفخاخ المموهة بالرفاهية والوفرة الزائدة .. او على الاقل تتحملها لانها زوجة لمحام وكاتب مسرحى مشهور هو جون مورتيمر . إنها الآن تقطن عشة كاتب حقيقى . غرفة واسعة مشمسة فى ذلك الجزء من هامبستيد المشيد بالآجر الاحمر . والأثر الوحيد الباقى من مخلفات الماضى المشع بالألق هو لوحة ضخمة لبيكاسو معلقة فوق السرير . « بما اننى كنت زوجة طيلة حياتى ـ او معظمها ـ فاننى اشعر بالحرية لأول مرة منذ ان كنت فى الثانية عشرة . كثيراً ما انكص لتلك السن . كنت طفلة مفعمة الجوانح بالانطلاق ، تشق طريقها دون عون من إحد ، كنت اكتب كثيرا وليس على عاتقى اية مسؤوليات . والآن يعودنى ذلك الاحساس بالانطلاق لاننى انغمست فى الحياة المنزلية مبكراً . ليس لدي هموم بيتية . إذا اخترت الا اذوق طعاما فذلك شانى .» ويمحى التفكه الساخر من صوتها عندما تشرع فى الحديث عن محاولتها للتاقلم مع العزلة .. لقد كلفها ذلك سنوات . والآن فهى لاتتخيل كيف يمكن الا تكون بمفردها . ومظهرها لا ينم عن انها ام لستة اطفال . إنها صبية ببنطالها الجينزوصدريتها . « إننى مرتبكة لذلك» تضحك « لم اكن بحال من الأحوال اما دنيوية .

وكلما وضعت طفلا كان ذلك شيئا مدهشا . ولكن الموقف الذى يتبدى الآن مجرداً من الايجابية يمكن رده جزئيا الى والدتى التى كانت تضاعف عائلتها باطفالي . لم تكن لها ادنى ثقة بى كام ناضجة وكانت دائما ما تردد « إذهبى والعبى بعيداً .. ياعزيزتى .» هل يعنى ذلك انها نمت واشتد عودها جنبا لجنب مع الأطفال؟ آه. لا. لقد ترعرعوا اسرع منى . توقف نموى فى الثلاثين لخمسة عشر عاما . إذا قيض لك ان تكابد نفس الحياة . اطفال اكثر وعمل اكثر ، وعالم إنسان اخر تعيشه اكثر مما تعيش عالمك ـ فانك لا تنمو . بيد إننى لم اكن اطرح اسئلة على حياتى . قد يصيبنى الاحباط واصبح عكرة المزاج مشاكسة .. ولم اكن ادرك السبب آنذاك . » وعندما صافح النور «اكل القرع» عام ١٩٦٢ ، كان للرواية تلك النكهة المشجعة للحركة النسوية التحررية البازغة ـ ظنوها المتحدثة باسمهن الشيء الذى

لم تكن ترمى إليه إطلاقاً . « جاء كل اولئك النسوة المشتعلات حماساً لمقابلتى ولعلى كنت اخيب ظنهن لو قلت لهن « لا .. لا .. ماأعظم الرجال إننى متحررة تماماً الشيء الذى لم اكنه حينئذ .» إن روايتها القادمة ستدور حوادثها وسط رعاة ماقبل المسيحية .. ابعد ما تكون عن الياس الذى يدمغ الطبقة الوسطى فى سنت جونز وود . فهى تظن انها حفرت بما فيه الكفاية فى ذلك المنجم ـ إلى درجة الاستنفاد والنضوب . « لا .. لقد اسقطت من حسابى نباح الياس المميز . إننى اعمل واعزق الحديقة . اعزق واعمل .. وإننى فى غاية السعادة ! » .

كتب جديدة

# تأمـــلات

تأليف هيرمن هيسة

كانما بعث هيرمان هيسة من قبره إبان السبعينات . فهذا الكاتب الألمانى الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٤٦ والمتوفى عام ١٩٦٢ ـ غرق فى بحار النسيان فى العقدين الأخير من عمره المديد الذى جاوز الخامسة والثمانين . ثم اصبح فجاة من أكثر الكتاب «حضوراً» فى اوساط الجماهير الأوربية القارئة ـ وترجمت بعض رواياته الى العربية ( ذئب البوادى ولعبة الكريات الزجاجية ) ـ ومهما يكن السبب الكامن وراء عملية الاحياء التى تتنسمها إبداعات هيرمان هيسه فالذى لا شك فيه انه روائى مجيد تضيء صفحاته شمس الفكر الفلسفى العميق الممزوج بنزعة صوفية انسانية .

ولد هيسه عام ١٨٧٧ لأب يعمل راعياً كنسياً . وتمرد على نظم التعليم التقليدية فاشتغل وراقاً وبائع اناتيك وميكانيك . وبعد ان صدرت روايته الأولى «بيتر كامنزند» قرر ان يكرس نفسه لحرفة الكتابة . وفى عام ١٩١٩ هاجر الى سويسرا احتجاجاً على بعث الروح العسكرية الألمانية وعاش فى منفاه الاختيارى حتى وفاته . ولعل من المنابع التى رفد بها هيسه موهبته الخصبة هوايته الجمة للموسيقى ونظريات يونج النفسية ثم اطلاعه النهم على الفلسفات الشرقية . ومن مؤلفاته المعروفة «إذا استمرت الحرب» ، و «سد هارتا» ، و «صيف كلينجسور الأخير» و«كنلوب» و«روشالده». وقد جمعت سيرته الذاتية فى مجلد بعنوان «كتابات اتوبيوغرافيا» عقب وفاته . وهذا الكتاب سياحة قام بها فولكر مايكل

الكاتب الروائى الألمانى هرمان هيسة



فى حدائق هيرمان هيسه الغناء ـ من كتب ورسائل ـ وخرج لنا بهذه الباقة الرائعة من المقولات العميقة التى تعكس خصائص هيسه الذهنية والوجدانية وهى تغطى العديد من حقول الفكر البشرى بدءاً بالسياسة ومرورا بالاجتماع والتربية والدين والكنيسة والمعرفة والضمير البشرى والخيال والكتب والفن والفكاهة والسعادة والحب والشيخوخة والشباب وانتهاءاً بالموت وما بعد الموت .

ويتميز اسلوب هيسه بالنبض الحار الذى يتقطر حكمه وسخرية ولا ينبع إلا من قلب عامر بحب الانسان والعطف عليه والمعرفة بنقائصه ومثالبه . ومع ان هيسه لم يحترف السياسة ولم يخض بحارها العطنة إلا انه كان أديباً ذا موقف واضح من عصره . وعنده ان المصائب مصدرها الانسان وضعته وهواه للغلبة وتمكن الانانية منه « كل سياسى فى هذا العالم يعمل للعقل ونزع السلاح ـ إنمافقط فى بلدان الأعداء ـ وليس فى وطنه» . ويقول « لم يكن احد يعمل من أجل الحرب وإنما كانوا جميعا يتسلحون تحسباًولان الأغنياء كانوا يحبون ان يروا حيطاناً من الصلب حول اموالهم » . ورغم هذه النغمة المتشائمة فان هيسه لا يتخلى عن الأمل « فسمة المستقبل تكون بقدر تضحيات الحاضر » ويسلط اوهام نقده على اوهام البشر الفانين كما يراها « فحب البطولة مسموح به فقط بالنسبة للذين يعرضون ارواحهم للخطر . وفى الاخرين ليس هو إلا اعتقاد زائف واظن انه إمعان فى القسوة يملؤنى بالعار والغضب ويشير هيسه إلى ان الحرب لا تقع فى السماء وإنما صناعة بشريـــة . « إنها ككل عمل تحتاج الى تحضير ، فتصبح احتمالا ثم حقيقة ، انها تحتاج الى عناية وتعاون الكثيرين . وهى مرغوبة من الرجال والدول الذين يجنون ثمرة من ورائها . فهى إما تجلب لهم الأموال الطائلة ـ كما فى الصناعات الحربية ـ او تجلب لهم الرفعة والمجد والجبروت كما فى حالة الكولونيلات والجنرالات المتعطلين . » لقد كان هيسه يرى فى الحرب خطا انسانياً بالغ الشناعة وهو ينحى باللائمة على بنى قومه . « إن الألمان عاطفيون . وعندما تمتزج هذه العاطفة بالتوحش ـ كما يحدث عادة ـ فانه شيء لا يطاق .» ويكمن الشاعر الرقيق دائما وراء ذهنه الوقاد « الشاعر ليس اعظم او اقل عظمة من الوزير او المهندس او الديماغوغى . ولكنه ايضا مختلف تماما . فالفاس هو الفاس يمكن به ان تشق الجذوع او الرؤوس . والساعة وميزان الضغط يخدمان غرضاً اخر . إذا اردت ان تكسر بهما حطبة او راسا فسيتحطمان . ولا يستفيد احد من وراء ذلك » ولم يكن هيسه فناناً يحلم فى برجه العاجى رغم بغضه للسياسة بمعناها المبتذل ، بل كان لصيقا بالتيارات التى تمور فى احشاء المجتمع ، وكان شديد الاحساس بمثالب الحضارة وكثيرا ما حذر من الوجه الآخر للعملة . « كلما جلس الناس شديدى الالتصاق ببعضهم البعض وكلما صعب عليهم التعارف » وكان فهمه عميقاً للمجتمع وبغضه للمصلحين الشجعان الذين يحاولون ان يقودوه الى النور . «لاشيء يغضب العامة اكثر من الذى يحاول ان يجبرهم على ان يغيروا رايهم فيه. » وهو فى ايمانه بالليبرالية لا ينى يشجب تسلط الفرد باسم الزعامة .

وعنده ان الشعوب هى التى تخلق الطغاة بيد انه ككل الفرديين لايخفى احتقاره للرجل العادى فهو فى راس قاس وشيطانى . وهو فى نقداته الاجتماعية متاثر غاية التاثر بروحانية الشرق .. وخاصة الديانات الهندية «من وجهة النظر الهندوكية ـ اى وجهة نظر الابانيشاد وماقبل البوذية ـ فان جارلى ليس انسانا مثلى إنه انا . نحن متحد ان لأن الانقسام بينى وبينه بين الأنا والأنت انما هو محض اختلاق . والمعنى الاخلاقى الكلى للحب الاخوى يكمن فى هذا التفسير . وبالنسبة للذين فهموا بان العالم واحد فمن العبث ان تؤذى اجزاء الكل بعضها بعضاً والفرد مهامه واهدافه «إن الحياة يكون لها معنى عندما نبتعد بقدر الامكان عن الملذات الانانية . ونكرس انفسنا لهدف ما واذا اخذنا هذا الهدف بجدية فان المعنى يتبلور تلقائيا ..

والفره معرض لتلوث الروح وتلوث بيئته الطبيعية . ومن السهل ان نحول الزمن الى نقود .. كما هو سهل ان نحول التيار الكهربائى الى ضوء وحرارة ولكن الافتراض بان النقود قيمة سامية هو الجنون بعينه» وهذه النظرة النافذة لمادية الحضارة هى التى ينبع منها حكمه العميق على الفرق بين النفعية والجمال «اقول الحق : المخترعات التى لاثقة لى بها هى تلك النافعة . فكل الانجازات المفيدة لها مترتباتها الكريهة وكلها قصيرة النظر . انها بالية وسرعان ما يتضح الدافع وراءها سواء اكان الغرور او الطمع» ولاينسى هيسه ان يبلى بدلوه فى شؤون التربية كمدماك اساسى من مداميك تكوين الشخصية الانسانية ومؤدى رايه ان التعليم لايكون موجها لغرض ما ولكنه يحمل هدفه فى طواياه . «فهو فى هذا يشبه الجمال والقوة البدنية» ونظم التربية التقليدية لافائدة تذكر وراءها «لقد حطمت العرعسة فى الشىء الكثير واعرف القليلين من ذوى الشان لايعترفون بذلك ، فكل ما تعلمته هر اللاتينية والكذب» ولاشك فى ان هذه النظرة الكثير من طوباوية جان جاك روسو . على انها نظرة لاتخلو من سلامة . «معلمونا يطالبوننا بفضائل هم انفسهم لايملكونها وما دروس التاريخ الا اكاذيب اخترعها الراشدون لاشعارنا بالاذلال والصغار» . وقد وسع قلب هيسه الاديان البشرية شانه شان بعض المتصوفة الغارقين . «كل الاديان طيبة» و «ليس هنالك ما هو انبل من معرفة الشيطان ثم مكافحته» ولم يكن هيسه بالروائى الوسط الذى لايعرف اسرار مهنته الا قليلا وانما كان مثقفا عميق الاطلاع على شتى فروع المعرفة خاصة الفلسفة والموسيقى والفن مما اعطى رواياته بعدا فريدا «فى الطبيعة الوف الالوان ولكننا اختصرناها فى رؤوسنا الى عشرين فقط» ويرى ان الفن «يجب ان يحفل با لصورة والايماءات» لانه «تامل فى العالم»

# هوليود وما بعدها

تأليف : جيرزى توبليتز

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب البولندى الجنسية الرومى الاصل جيرزى توبليتز . كان ناقدا سينمائيا معروفا قبل الحرب الكونية واحد قادة الطليعة فى الحركة السينمائية البولندية . وعقب الحرب اشتغل لمدى عشرين عاما عميدا للكلية السينمائية فى وارسو ، وهو الان استاذ زائر بجامعة لاتروب باستراليا ، ومن مؤلفاته المعروفة «تاريخ فن السينما» فى خمسة اجزاء و «السينماوالتلفزيون فى الولايات المتحدة» فالرجل اذن حجة فى موضوعه لاشك فى ذلك ، ويقول الاستاذ جيرزى ان هيولود رمز كما هى حقيقة واقعة وغالبا ما يطلق الاسم على السينما الامريكية ، فعندما يشيع القول بان هيولود قد فقدت مكانها فى عالم السينما فان ذلك لايعنى فقط المقاطعة الصغيرة فى لوس انجليس وانما صناعة السينما فى الولايات المتحدة والتراث يخاطبنا هنا اكثر من الحقيقة المجردة ، فالذى لم يكن احد يستطيع انكاره فى العشرينات والثلاثينات بل فى النصف الاول من هذا القرن ـ ليس له اساس فى دفاتر احصائيات السبعينات .

واليوم فان هوليود والسينما الامريكية يعنيان شيئين مختلفين واذا بدانا بالطبوغرافيا فان السينما فى طفولتها ابان الحرب العالمية الاولى تركزت صناعتها فى هوليود . هناك تسيدت الاستديوهات واقيمت المختبرات وانشات مساكن الممثلين والمنتجين والمخرجين ولكن ـ ابان العشرينات ـ سرعان مابدا النزوح ، وبدات الشركات ابحث عن الاماكن المناسبة ذات الخلفيات الغنية لتقام فيها الاستديوهات الجديدة . وشرع الممثلون الكبار فى الهجرة الى اماكن اكثر عزلة وبراحا كبيفرلى هيلز وبل اير وسانتا مونيكا . وفى عام ١٩٣٧ قام مجلس لوس انجليس بفصل مقاطعة هوليود . وعقب الاربعينات وبتفاقم النزوح والهجرة بقى القليل من هوليود التقليدية . وبدا البعض مقتنعين بان لافائدة من الاحتفاظ باسم فقد مقوماته الجغرافية والعملية . والحق ان التغير ، الطبوغرافية انما تعكس المظاهر الخارجية للمسالة . اما الاهمية الكبرى للتحولات فيمكن ردها الى التطورات الهائلة فى الاستديوهات نفسها : داخل هوليود وخارجها . ومع ان التصوير كان لايزال يجرى فى ردهاتها فان معظمه كان يخص المسلسلات التلفزيونية .. وبينما كان عدد الافلام السينمائية فى الثلاثينات يتراوح بين الثلاثمائة والاربعمائة اصبح الان يتجاوز المائة بالكاد . انتقل التصوير الى روما القديمة والمانيا والقرى الافريقية ولندن وبكين وباريس . وكان الدافع وراء ذلك هو نمو الوعى بين المشاهدين الذين اصبحوا يصرون على ان يشاهدوا باريس الحقيقية لاديكور من الورق المقوى . وهكذا مع اندثار اسطورة هوليود فان مستقبل السينما الامريكية لايعتمد على الاماكن التى يجرى فيها التصوير وانما على نوعية الافلام . وقد لخص الناقد الساخر ارثر بريمنجز الموقف بقوله: ماهى هوليود ؟ انها محرد استديو اليوم هنا وغدا هناك وبعد ان يلم المؤلف باطراف المتغيرات التى طرات على هوليود يتناول سينما السياسة والعنف والجنس بحسبانها الاقانيم التى تلون توجهات الانتاج وكما يقول الناقد الشاب مايكل لوفين فانه فى الايام القديمة حين كانت صناعة الفيلم فى ايدى المهاجرين من اواسط وشرق اوروبا فان صورة امريكا السينمائية تعكس اوهامهم .. كانت تلك امريكا التى ظلوا يحلمون بها سنوات فى مساقط رؤوسهم وفيما بعد حين شقوا طريقهم ليصبحوا اباطرة هوليود صوروا تلك الاوهام فى افلامهم ولم يكن المنتجون وحدهم هم الذين ينظرون الى امريكا بمناظير قوس قزح الملونة .. ولكن كذلك كان ملايين الرواد من الاسكا الى تكساس ومن كاليفورنيا الى المحيط الاطلسى وكان الجميع موقنين بان مايحدث فى القاعات المظلمة لايخلو من عناصر سحرية واسطورية . غير ان اللوحة اهتزت فى الخمسينات والستينات وسقطت الخلفية المبهرة والافلام الموسومة عن النجاح والثروة لم تعد تروق الجماهير كما كانت قديما ، وساخت الجنة الموعودة فى باطن الارض : جنة الفرص المتساوية والمنافسة الحرة ولم يعد نمط الحياة الامريكية الذى تغذيه وترعاه وتتعهده فى المدارس والكنائس والصحف كافيا ان لم يكن مزيفا . ضربت العتمة على «امريكا السعيدة» ولاشك ان جذور التشاؤم معقدة غاية التعقيد ولكن اوضحها يمكن تلخيصه فى ثلاث نقاط . الحرب فى فيتنام والاحتكاكات العنصرية ومستقبل الاجيال الصاعدة التى فقدت الاتصال والتواصل بالجيل القديم . ويمكن اضافة المشاكل الاقتصادية وتدهور الحياة فى الحواضر الكبيرة ومن هذه الينابيع العكرة تدفقت سينما السياسة والعنف والجنس

ولسنوات طويلة كان التلفزيون ينقل الاحداث فى جنوب شرق آسيا رعبا ودمارا وقتلا . ولم يكن الحال كذلك فى السينما الهوليودية .. ففى عرفها ان السينما ليست الامكانا للتسلية والاستمتاع . ولكن هذا الايضاح يبدو مبسطا للغاية فالحرب الكورية كانت حافزا لانتاج ما يزيد عن العشرة افلام . ولم تجلب ما جلبته حرب فيتنام من كراهية ونفور وبغض . والمشكلة ان السينمائيين لم يكونوا يرغبون فى تناول تيمات وموضوعات غير مقنعة للجمهور ، الذى ـ فيما بعد ـ لم يكن مقتنعا بوجود «الاولاد الامريكيين فى فيتنام . على ان جل الافلام التى تناولت القضية الفيتنامية كانت افلاما وثائقية غير تجارية ولم يكن غرض منتجها الربح او الامل فى التوزيع الواسع .. ومن طلائع مخرجى هذه الافلام ذات الصبغة السياسية ايميليودى انتونيو الذى انتج واخرج من قبل «نقطة نظام» عن الفترة القاتمة فى التاريخ الامريكى المعاصر و «الحكم المتعجل» عن مقتل جون كيندى وفى عام ١٩٦٦ اخرج «فى عام الخنزير» واستخدم فيه شرائط حية كانت موجودة فى الارشيف بالولايات المتحدة وفيتنام وامتنع فيه عن التعليق على الاحداث الا فى اضيق نطاق . كانت المشاهد تتحدث عن نفسها ، واستطاع استخدام المواد الدرامية والعاطفية واغناء يتمتع بها بانضباط ووضوح . ومن جانب اخر فيمكن ان نذكر الافلام التى مجدت التدخل الامريكى فى فيتنام «البيريهات الخضراء» الذى قام ببطولته جون واين . كان واين فى جانب الصقور بما عرف عنه من عنجهية عنصرية وايمان ساذج بامريكا العظمى . ولولا رصيد واين الضخم بين عشاق السينما ( بطل الغرب الاسطورى ومجسد الفضائل الرجولية ) لما قيض للفيلم ان يرى النور . وكان موقف جون واين غاية فى التبسيط لصراع المسديم بين الخير والشر . وهذا كل ما فى الامر .

وهو نفس المشروع الذى كان ينفذه فى افلامه التى اشتهر بها : فى الغرب المتوحش حيث يبيد البيض المتحضرون الهنود الحمر المتخلفين . ولم يكتف جون وين بلعب دور الكولونيل الشجاع وانما ساهم فى الاخراج . ولعل اكثر الانتقادات حرارة ومباشرة هى التى ترددت فى فيلم «مطعم اليس» من اخراج ارثرين ، وهو عبارة عن شبه سيرة ذاتية ويلعب دور البطولة فيه المغنى المعروف ارلو جوثرى . ويؤمى الفيلم الى ان المشكلة الفيتنامية فى صميمها مشكلة اخلاقية . وهناك فيلمان يمكن الاشارة اليهما فى هذا المجال .

والجدير فيهما انهما عالجا المشكلة من جانب كوميدى «هاش» لروبرت التمان «وكاتش ٢٢» لمايك نيكولز ، ومهما يكن فان الكوميديا تفق للهروب من التبعات التى خلفتها الحرب . ويتناول المؤلف فى فصل ممتع قضيتى العنف والجنس ونموذج افلام الغرب «الكاوبوى» وهناك مخرجون يمجدون بدون تحفظ اسطورة اخضاع الغرب .

مثهم جون فورد وهوارد هوتش . وهناك آخرون مع عدم تنكرهم للاسطورة لـ يركزون على انها بدات مفعمة بالحنين والحزن بل والندم . واتجاه ثالث يشجب الاسطورة ويحاول ان يقضى عليها بنظرة واقعية الى الغرب وتاريخه . والوسترن الكلاسيكية تنتمى الى التيار الاول ومايسمى بالوسترن الفنائية ينتمى الى التيار الثانى . وافلام العنف ناجحة جماهيريا . ورغم رخص الوسيلة فالمؤلف يعتقد انها تخدم اهدافا اخرى سامية . ففى فيلم العصابة المتوحشة لسام بكينباه تدور الحكاية عن عصبة من شذاذ الآفاق يترصدون لقطار يحمل اسلحة مصدرتها وبيعها للثائر المكسيكى بانشوفيلا والفيلم حافل بالعنف والتقتيل ونسف الجسور والحرائق . ويرى ان العنف المبالغ فيه حافز «للتطهير» تلك الخلة التى زعمها ارسطو للدراما الناضجة . والنموذج الاخر لافلام العنف هو افلام الاجرام التى تدور فى مسارح معاصرة، وفى خلال العقد الماضى تطورت هذه الافلام ليس من المناحى الدرامية والتقنية فقط وانما من الجانب الخلقى والفلسفى ايضا . لم يعد هنالك ذلك الفصل الواضح-الذى تعودناه فى روايات كونان دويل ـ بين المجرم ورجل الشرطة . ففى العديد من الافلام تبدو الجريمة وكانها مبررة والشرطى مدانا او كالمدان فالعالم ملىء ـ اذن ـ بالمجرمين الذين يثيرون الاعجاب والشفقة . فلكى نحكم على مجرم وندينه علينا ان ننظر فى دوافع الجريمة وخير ما يمثل هذا النمط شريط «القاتل» المبنى على قصة واقعية حين قام معتوه بخنق ثمانى ممرضات . ويمكن الاشارة ايضا الى «بونى وكلايد» و «بدم بارد» و «قاتل بوسطن» . والافلام البوليسية لاتخلو من عنف فاقع بالطبع وكثيرا ما نثير السؤال الخالد اين العدالة ؟ سواء اكانت تدور حول المجرمين الرومانتيكيين او رجال الشرطة او الجواسيس . ففى شرائط جيمس بوند تزخر المناظر بالتعذيب والسادية والقتال الوحشى وفى السبعينات استشرت الافلام الجنسية عقب موجة الانحلال الخلقى التى اجتاحت الغرب . ولايمكن تقصى جميع الاسباب التى ادت الى تفشى ذلك النمط فى السينما الامريكية وان كان يمكن الاشارة الى عوامل مساهمة : نجاح الافلام السويدية وتحطيم الرقابة فى الدنمارك والاستيراد القانونى واللاقانونى للافلام الدنماركية الفاضحة . واخيرا كان هناك الاتجاه العام الذى يسود الاجواء . اتجاه يقوم على الليبرالية فى تناول اشياء كانت من قبيل المحرمات ـ غذته المناقشات الواسعة فى الصحف وأروقة المحاكم .. مناقشات تناولت «البورنوغرافيا بجميع جوانبها وبعض هذه الافلام تثير القرف . وصل شاوا بعيدا من التهتك والشذوذ بما يعنيه من مازوكية وسادية ومثلية . ويتناول المؤلف فى فصل مفرد ما يسميه «سينما تحت الأرض» اتجاه نبع فى الستينات . ففى ١٩٦٠ اصدر ثلاثون شخصا من المهتمين بالسينما ما نيفستو جديدا «لانريد افلاما ملمعة مزيفة ، اننا نفضلها خشنة وحشية مفعمة بالحياة .. لانريد افلاما وردية .. يجب أن تكون بلون الدم ! «واصبح الانتاج يتم خلال تعاونيات تموله بعيدا عن سيطرة الشركات العملاقة وانتشرت نوادى السينما وقاعات الفنون كقنوات للتوزيع والعرض . واصبح لسينما تحت الأرض نقادها وصحفها .. بل منظروها . ولايزال المجال مفتوحا لكل ما هو جديد فى عالم الفن السابع كما يقول المؤلف . وان الكتاب حجة فى موضوعه وهو مفيد للقارىء العادى والمتخصص على السواء . وقد وفق الاستاذ توبليتز فى ايفاء موضوعه حقه ببراعة وفهم .



جون كيندى



جون واين



أفلام العنف الاجتماعى أحد مميزات استوديوهات هوليود

أقصوصة

# الحلاق

تأليف : رالى برادبرى



دلف الى المدينة ممتطيا صهوة جواده المنطلق كالريح ، راشا السماء برصاص غدارته المتطاير . ازهق دجاجة فى الغبار وركلها جانبا مستخدما حوافر الفرس كمدقة . اعاد تعبئة بندقيته وهو يصرخ وقد بدت ذقنه المشعثة ـ التى لم تمسسها الموسى لاسابيع ثلاثة ـ مقلقة فى وهج الشمس . ترجل متوجها الى المشرب وفى الداخل تمعن فى المراة التى عكست سحنته الملوحة وغدارته الساخنة . طالبا شرابا ، قدمه له الساقى دون ان ينبس ببنت شفة . تقهقر الرجال وخرست الألسن . « بحق الشيطان ماالذى جرى للجميع ؟ » زعق السيد جيمس مالون وهو يعب الشراب « تكلموا .. اضحكوا .. الآن وإلا اطرت حواجبكم اللعينة من فوق عيونكم » . وبدا الجميع يتحدثون ويضحكون «هكذا !» تمتم جيمس مالون . ركل باب المشرب على مصراعيه وفى غمرة الريح انفلت خارجا كفيل فى الظهيرة حيث كان رجال آخرون قادمين من المناجم والتلال يربطون جيادهم فى العوارض الخشبية المتاكلة . كان دكان الحلاق يقع عبر الشارع وقبل ان يعبر تحسس غدارته ونفخ منخريه الحمراوين وهو يتنفس بعمق وقد اشتاق رائحة البارود الطازج . ووقعت عيناه على علبة صفيح فارغه ملقاة فى التراب فاطلق عليها ثلاث رصاصات . تقافزت الجياد على جانبى الطريق بعصبية ورجفت آذانها . عبا بندقيته مرة اخرى واقتحم باب الحلاق بحذائه .

بالداخل كانت هناك اربعة كراسى شاغرة وزبائن ينتظرون والمجلات فى ايديهم والمرايا خلفهم تعكس الجو المريح والصمت الكسول الذى يتقطر من الحلاقين الاكفاء ، وعلى طول الحائط المقابل جلس ستة رجال منتظرين دورهم لازالة وعثاء الجبال والصحراء . « تفضل بالجلوس » قال احد الحلاقين . « سافعل » رد جيمس مالون واشار بغدارته الى المقعد الأول . « انهض ياسيد وإلا سمرتك فى مكانك .» طفحت الدهشة فى عينى الرجل ، دهمه الغضب ، ثم الخوف ، وبعد تردد نهض بصعوبة ماسحا الرغاوى البيضاء من ذقنه بالفوطة . قذف بالفوطة على الأرض وتعثر ليجلس فى صف المنتظرين . قهقه جيمس مالون ورمى بنفسه فى المقعد الخالى متحسسا غدارته « مثلى لا ينتظر ابدا !» . قال غير موجه حديثه الى احد بعينه وللجميع فى ذات الوقت ، وتنقلت نظراته فوق رؤوسهم واستقرت فى السقف . « إذا كنت تعيش حقا فلا يتوجب عليك الانتظار . يجب ان تعرف هذا الآن .» انكسرت نظرات الرجال الى ارضية الحجرة . تنحنح الحلاق ووضع الفوطة على صدر مالون . و قعقعت غدارته فى حزامها وهو يشير مخاطبا الحلاق دون ان ينظر إليه « اريد حلاقة ذقنى اولا . اشعر بالحكة والقذارة ، وبعد ذلك عليك ان تقص شعر راسى . وانتم هناك ، اغمروا الجو بالنكات . اود التسلى اثناء الحلاقة . لم اتفكه لاشهر خلت . انت . إبدا . » ذاب الجليد ببطء فى عينى الرجل المعنى ، وادارهما فى وجوه رفاقه . وشرع يتحدث كانما صفعه احدهم على فمه . «كنت اعرف رجلا ذات مرة .. » تمتم وقد ابيضت سحنته ، ومضى يحكى « كان ذلك الرجل .. » قال جيمس مالون للحلاق . « إسمع اريد حلاقة نظيفة .. حلاقة جيدة .. إننى املك وجها وسيما خلف هذه الذقن الشعثاء .. لقد قضيت فى التلال زمنا طويلا ولم اصادف حظا حسنا فى التنقيب عن الذهب لذا اشعر باننى على شىء من الوضاعة واحذرك بشان شىء واحد . إذا حدث وخدشت وجهى بموساك .. فعليك السلام .. فاهم ؟ اعنى ذلك تماما .. قطرة دم واحدة ، ستخترق الرصاصة قلبك .. اتسمع ؟ » هز الحلاق راسه مؤمنا .

وغرق المكان فى بحيرة من الصمت . امحت النكات والضحكات . « لا قطرة واحدة من الدماء ولا خدشة . احذرك » اكد السيد جيمس مالون . «وإلا فستكون من الهالكين بعد ثانية » ـ «إننى متزوج » توسل الحلاق . « لا اهتم لذلك إطلاقا . حتى ولو كنت ذا ست زوجات وسبعة وخمسين طفلا» . «لى طفلان» غمغم الحلاق « فتاة صغيرة حلوة وصبى» . «بضاعة مغشوشة» اجاب مالون وهو يريح ظهره فى المقعد ، مغمضا عينيه ، انهمك الحلاق فى إعداد الفوط الساخنة ، وثبتها على وجه مالون ، ومن طياتها كان الاخير يسب ويلعن ويداعب غدارته تحت المريولة البيضاء . وعندما ازاح الحلاق الفوط وغمرت الرغوة ذقنه كان لايزال ينفث تهديداته وقد تسمر الرجال المنتظرون فى مقاعدهم بوجوههم الطباشيرية وكاد الحلاقون الآخرون يتوقفون عن الحركة ويجمدون كالتماثيل قرب زبائنهم . كان الدكان مفعما بالبرودة بالنسبة ليوم صائف . « ماذا جرى .. ايزحكاويكم ونكاتكم ؟ » قال جيمس مالون «حسنا تغنوا .. انتم هناك . ترنموا بشىء (حبيبتى كلمتين !) .. اسرعوا .. اسمعتم ؟ » . كان الحلاق يسن موساه ببطء وبيد مرتعشة . «ياسيد مالون ...» ، «اخرس واشتغل !» امال مالون راسه للخلف محملقا فى اللاشىء . ارهف الحلاق موساه مرة اخرى .. ونظر الى الرجال .. تنحنح وابتدر «ايها السادة هل اصغيتم كلكم لما قاله السيد مالون ؟ » هز الجميع رؤوسهم ـ صامتين ـ بالايجاب . «هل سمعتموه يهدد بقتلى ؟ » تساءل الحلاق « إذا سالت قطرة واحدة من دمه ؟ » هز الرجال رؤوسهم « وهل ستحلفون على ماحدث فى المحكمة ، إذا كان ذلك ضروريا ؟ » استفسر الحلاق . واوما الرجال برؤوسهم للمرة الاخيرة . « اوقف التشكى .. الآن .. واشتغل .» قال السيد مالون . «ذلك ما اردت التاكد منه !» قال الحلاق . رفع موساه بهدوء فتالقت فى الضوء المنهمر . واحنى عنق السيد مالون الى الخلف ووضع الموسى الباردة فى حلقه المشعر : « سنبدا من هنا ! من هنا نبدا !» .

دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون

يسر إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام
أن تقدم لأطفالنا الأحباء
القصص الآتية

٤
قصص جميلة مفيدة مسلية



# الاتفاق

بقلم: عبد القادر عقيل
رسوم: سلطان السليطي

# الخيمة السوداء

تأليف: عبد القادر عقيل
رسوم: سلطان السليطي

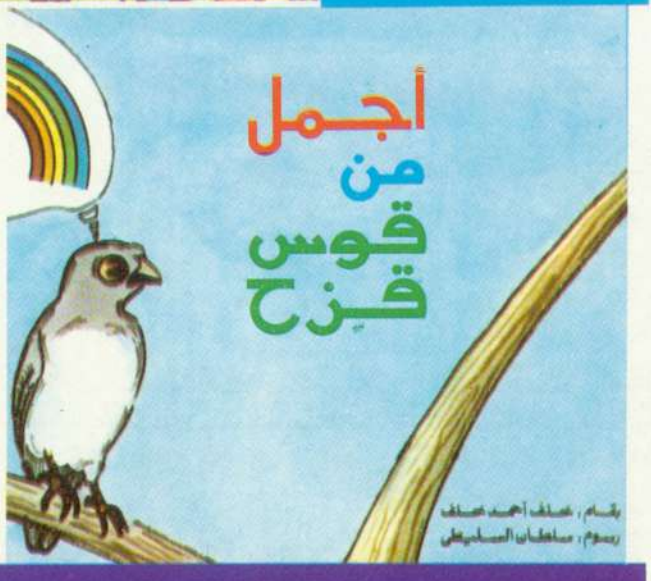




# ثعلوب يتعرف على الأرنب

بقلم: خلف أحمد خلف
رسوم: سلطان السليطي





# أجمل من قوس قزح

بقلم: خلف أحمد خلف
رسوم: سلطان السليطي

## تجدونها في جميع المكتبات...
## بسعر فرزي ٣ ريالات

مع تحيات إدارة الثقافة والفنون

إشراف: خديجة الصّدر

# كم أنت فريد أيها الإنسان!



بفضل التطور العلمى والمعرفة .. تزداد مهاراتنا وقدراتنا
هناك عشرات الخصائص التى تميز كل واحد منا عن الآخرين

مع ازدحام المدن الكبرى بالسكان ، وانفراط العقد الاجتماعى ، وإزدياد محاولات الجهات الرسمية لفرض النظام والقانون والتخطيط وا هيمنة المركزيين ، يستشعر كثير من الناس نوعاً من ضياع تفرد هويتهم ، ويحسون بوطء تغليب الكيانات الكبيرة على حساب الأفراد .

## عصر فقدان الهوية

لقد دخلنا عصر فقدان الهوية . وإذ يستعر بنا الشوق لذواتنا ، ونناضل لتبقى فرديتنا متميزة ، تسلب كلا منا سماته ، وتصنعه كياناً أجوف بلا وجه .. وربما اضحينا بعد حين مجرد وحدات فى معادلة ضخمة .. مجرد رقم أو كسر عشرى أو اصغر ثنائى انتزع من شخص آخر .

هذا الاتجاه المتدرج بنا نحو مسخنا الى مجرد أشباه قد أيقظ كثيراً من الناس على ضرورة البحث عن سبل جديدة لاستعادة وتاكيد فرديتهم .. سواء كان ذلك بالبحث عن جذورهم العرقية أو بصنع واتخاذ هوايات لهم عبر الأزياء الغريبة أو ممارسة الهوايات الشاذة .. أو بالسعى وراء كل ما يرمز الى مكانة اجتماعية متميزة . ويجد آخرون فى اقتناء الأشياء منفذاً الى التفرد ، إذ يستعيرون من قدرتهم على الامتلاك نوعاً من التمييز .. حيث يؤكدون ذواتهم عبر شيء لا يملكه سواهم .

## خلاصنا بيدنا

وقد يبدو هذا الموقف باعثاً للقنوط واليأس .. ولكن خلاصنا أقرب مما نظن وهو فى متناول يدنا .. وكان فى الحقيقة دائماً هنا .. بأيدينا .

فالخالق ـ عز وجل ـ قد اسبغ على كل واحد منا خصائص طبيعية متفردة لا يمكن لهذا العصر الصناعى ، أو ما يعقبه من عصور ، أن يسلبنا اياها . وبفضل التطور العلمى والمعرفة المضطردة تزداد مهارتنا وقدراتنا على قياس هذه الصفات واستجلائها وصقلها .

## نطفة الأصالة فينا

لقد لاحظ العالم الراحل ثيودوسيس دوبزانكسى ، من جامعة روكفلر ، القدر الهائل من الامكانيات المضمرة فى الجينات الانسانية . وكان يرى أننا لو جمعنا كل الخصائص التى يمكن تصورها ، فان العناقيد المتالقة منها والممكنة الوجود فى الجينة الواحدة هى أكثر من عدد الأجزاء تحت الذرية والتى قدر علماء الفيزياء وجودها فى الكون .

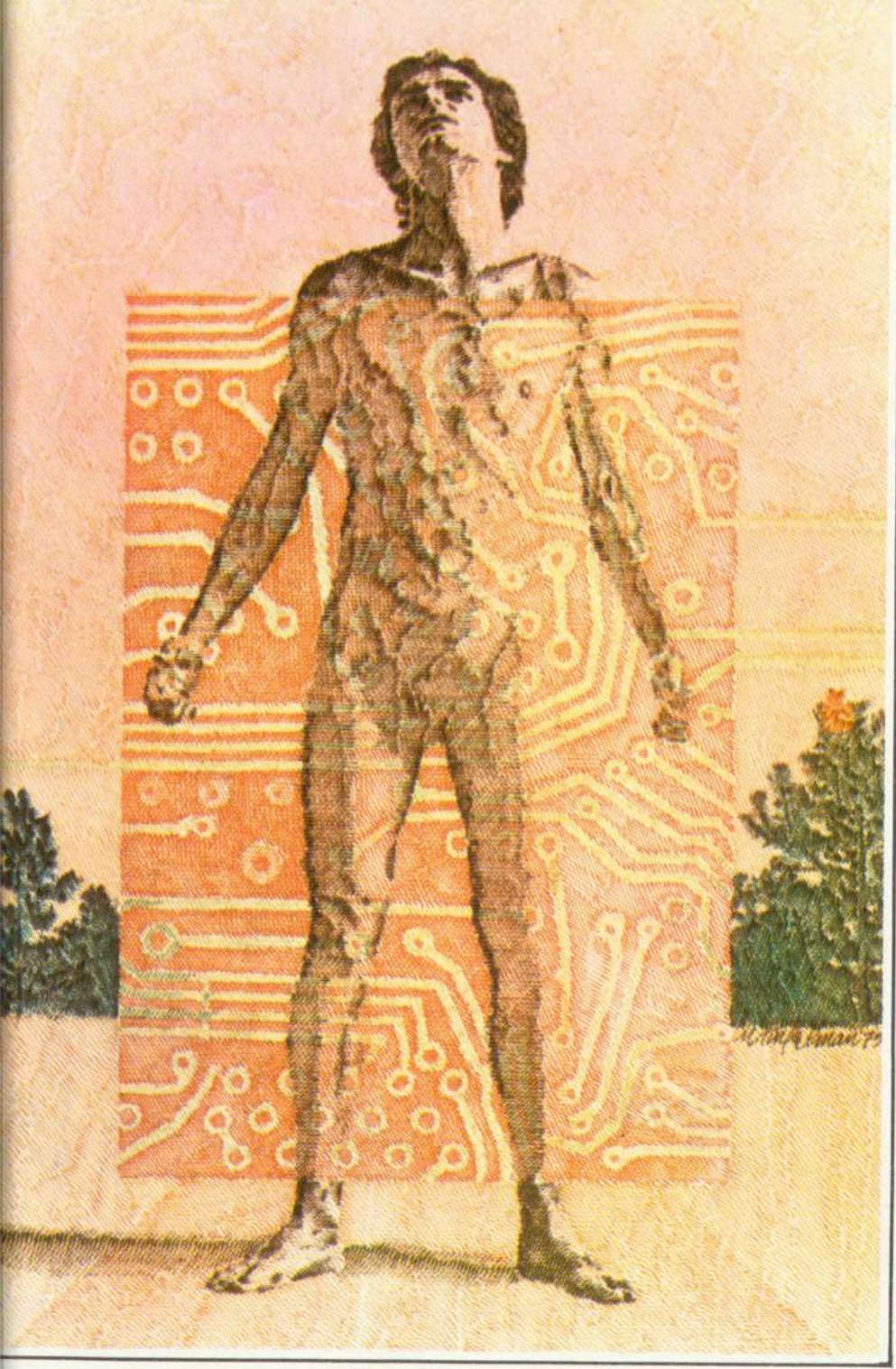
وهكذا نرى أنه فى الوقت الذى يدفعنا المجتمع نحو الاندماج فى الكل ، وفقدان الهوية ، فان خصائصنا الطبيعية تحثنا على التنوع والتغيير ، وبينما تحاول المؤسسات التى اقامها البشر إحالتنا الى وحدات اجتماعية ، فان ما بنا من نطفة الاصالة يبقى لنا تفردنا واصالتنا ، ويحفظ لكل منا حقه فى أن يظل غير مكرر واستثناء فريدا .

وهناك عشرات الخصائص التى تساهم فى التفرد الذى يميز كل واحد منا عن الآخرين ، منها على سبيل المثال ملامح الوجه وشكل اليد ورسم القلب ، وحتى انتظام الدم فى اوعيته فى العين . وربما لم تتضح دلالة خصائص أخرى إلا بعد عشرات السنين .. ولكنها مستخدمة اليوم ، أو هى على الأفق تلوح . وهذه الخصائص هى التى تمكننا من تمييز الأفراد بنفس القدر من السهولة التى نميز بها بين الماء والزيت .

## التباين البروتينى

إن اجسامنا مكونة من مواد عديدة ، أهمها البروتينات التى تشكل الخلايا وتبنى وظائفها . وهى مختلفة فى الاشكال والصور التى توجد بها . وينبىء معظمها عن سلسلة من التباينات التى يمكن تحديدها .

ولأن كثيرا من القبائل والأجناس والجماعات الدينية ، فى مختلف انحاء العالم تميل الى عزل جيناتها بالتوالد فيما بينها ، فان انواع التباين البروتينى



يمكن ان يستخدم فى تحديد هوية أفراد تلك الجماعات .

وعلى سبيل المثال .. نجد أن خلايا الدم الحمراء تحتوى على بروتين وحامض الفوسفاتاز ، وهو خميرة فى انسجة الجسم تحلل المركبات المؤلفة من فحميات وفوسفات ، وهى خلطة من متغيرات بنائية هى ب(أ) و ب(ب) و ب(ج) . وهذه المتغيرات تظهر فى الاغريق الاصليين كمجموعة على النحو التالى :

ب(أ) بنسبة ٢٢٪ ، وب(ب) بنسبة ٧١٪ ، وب(ج)بنسبة ٧٪ . أما الاسكيمو من اهالى الالسكا فان هذه المتغيرات البنائية تظهر فيهم كما يلى :

ب(أ) بنسبة ٥٦٪ ، وب(ب) بنسبة ٤٤٪ ، أما قبائل الأليا توامانا ، وهم هنود من فنزويلا بامريكا الجنوبية ، فلا يوجد فى دمائهم سوى المتغير البنائى ب(ب) وحده .

وربما خطر لنا أن هذه المتغيرات البنائية لا قيمة لها إلا فى تحديد هوية مشرد اسيوى الملامح يوجد هائماً فى شوارع مدينة بالاسكا . ولكن علماء الأجناس قد وظفوا هذه المتغيرات البنائية وغيرها من العلامات البيولوجية فى استقصاء انماط الهجرة والسلالات والتطور عند سكان العالم ، كما أن التصنيف البروتينى قد وظف فى تحديد الأبوة الشرعية فى قضايا كثيرة عرضت امام المحاكم .

## لكل جرثومته

ولأن كل فرد منا جزيرة فريدة تطفو فوق بحر من الأجسام تحت المجهرية ، فان انواع الجراثيم يمكن أيضاً أن توظف للتمييز بيننا . اننا محاطون منذ ميلادنا بالبكتريا والفطريات والفيروسات من كل الأصناف ، بعضها طفيلى يسبب المرض ، واغلبها يعتبرنا سكناً له ، ويتوالد فى سعادة وصفو ودون ضرر لنا فى عدد من المواقع التى يحتلها فى أجسامنا . ولأن صفحات أجسامنا ومنافذها تختلف فى حموضتها وانسجتها وتركيبها وافرازاتها ، فان الرسائل والاشارات التى تبثها الغدد الموجودة فينا التى تحدد اى نوع من هذه الأجسام غير المرئية يمكنه أن يأخذ مكانه ويسكن فى أجسامنا ، والموقع الذى يمكنه أن يخلد فيه بنا ويتوالد .

وقد استرعت الطريقة التى تتوزع بها بعض هذه الأجسام تحت المجهرية انتباه الدكتور ملفين غيرشمان من جامعة ماين ، فاقترح تطوير فرع من علم الاحصاء يعرف بعلم الميكروبات الشرعى يقوم على انواع الجراثيم ، وبما أن هذه الاجسام تحت المجهرية مخلوقات حية ، فان كل نوع منها له متغيراته الخاصة به فى داخله ، ولكل جرثومة خصائصها التى تتميز بها ، ولذا يمكن التعرف علينا كأفراد ليس فقط عن طريق توزيع الجراثيم التى تأهل أجسامنا ، بل عن طريق هذه الأجسام تحت المجهرية ايضاً .

## الرائحة هوية

تشترك الاجسام تحت المجهرية فى شىء واحد به يمكن التعرف على هوياتنا وهو ما تتركه فينا من رائحة ، فالواحد منا لا يحمل رائحة مميزة فحسب ، بل انه يترك وراءه اثراً يدل على تلك الرائحة .. وهى حقيقة يعرفها الكلب بأنفه ، إننا نختلف كأفراد بواسطة عدد لا حد له من الروائح المنبعثة من اجسامنا ، والتى

يتكون كل منها من اكثر من مائة جزء . ولذا داب المهندسون منذ سنوات على الاحتجاج بانه مادام بمقدور الكلب أن يميز بين نمط الرائحة عند شخص وآخر ، فان الآلة يمكن ان تقوم بنفس الشيء .. دون أن تكلفنا تغذية أو رعاية .

اننا نبث روائح عامة واخرى خاصة . فالنساء مثلا يطلقن مواد شفافة تختلف حسب دوراتهن الشهرية . وقد وجد احد المحققين أن الكلب الالماني من فصيلة الشيفر (الراعى) إذا ما شم الرائحة العامة للبروجسترون ، وهو هرمون فى النساء ، فانه يستطيع أن يتعرف على كل مالمسته المراة الحامل أو المراة فى المراحل الأخيرة لدورتها الشهرية .

ويجرى حالياً استكشاف الروائح الخاصة التى تجذب الينا الناموس أو تنفره منا ، وذلك بهدف تصنيع مواد منفره . وربما كانت بعض القبائل فى ادغال افريقيا حيث يكثر الناموس قد اكتشفت بعض تلك الروائح المنفرة فى بول البقر الذى تمسح به ابدانها ضد الناموس ، كما يستخدم بعضها رماد روث الماشية . ويمكن معرفة رائحة شخص ما من ملابسه او مسكنه او مطعمه ، بالرغم أن كلا منها يمكن أن يفرض خصائصه ، أننا لا نستخدم حاسة الشم فينا إلا قليلا ، وفى أمور مثل الحكم على رائحة شخص ما بانها طيبة أو كريهة . ومع ذلك فان الاشخاص ذوى القدرة العالية على الشم موجودون بالفعل ، مثل خبراء العطور وانواع النبيذ .

وقد ذكر فرويد «حالة الفأر» الذى كان يميز بين معارفه من الناس بروائحهم وكان هناك طفل يتمتع بحاسة للشم قوية مكنته من معرفة رائحة الابدان ، ورائحة كل عضو بالجسم ، أو مصدر الرائحة بالجسم .

وقد قادت مثل هذه الملاحظات العلماء الى وضع نظريات تقول بأن البشر ربما كان بمقدورهم الاتصال فيما بينهم بطريقة تحت مستوى الوعى بواسطة مواد غير مرئية . وليس ذلك بمستغرب ، لأن معظم الحيوانات تستخدم الرسائل الكيمائية وهى التى تحدد للحيوان أوان القتال أو الرحيل لمنطقة أخرى ، أو ميقات السلوك المطمئن المسالم نحو الآخرين ، أو ميعاد التناسل

وإذا كنا نستجيب للمواد الكيمائية التى تبثها أجساد الآخرين ، فربما كان استخدامنا للعطور واكثارنا من الاستحمام مضرا بقدرتنا على الاتصال .

وتجرى حالياً محاولات لتطوير أجهزة لقياس وتحليل انماط الابخرة العضوية التى يبثها الناس فى الهواء . وقد تم بالفعل ، بواسطة التحليل ، التعرف على المواد الكيمائية حتى حين يكون تركيزها اقل من جزء من البليون .. وذلك يفوق قدرتنا الطبيعية فى اكتشاف الروائح بقدر كبير للغاية . ومع أن هذه الطريقة مازالت فى مرحلة التجريب والاختبار ، فالواضح اننا سنتمكن قريباً من تحديد هوية الافراد بواسطة ما يمكن أن نسميه امضاءاتهم بواسطة الرائحة .

## رابطة الدم

هناك مثل قديم يقول بأن شخصية الانسان مرقومة فى دمه . وقد تبين العلماء صحة ذلك ، فالدم يختلف من شخص لآخر . وعندما نتحدث عن فصائل دم الانسان ، فاننا فى الغالب نشير الى الفصائل المعروفة طبياً . ولكن علماء الدم يصنفونه تصنيفاً أكثر دقة . فالمجموعات المعروفة من فصائل الدم (أ) (ب) (و) (رهـ) ، مثلا ليست سوى اثنين من أكثر من ٢٤ مجموعة .

إن معرفة فصائل الدم ضرورية بالنسبة لعمليات نقل الدم بنجاح ، ولمنع مرض الدم عند الاطفال حديثى الولادة ، وفى جراحة نقل وزراعة الأعضاء . وقد استخدمت هذه المعرفة فى حسم التنازع حول الأبوة وفى اثبات الابوة ، خاصة بالنسبة لقضايا الاختطاف والوراثة والخلط بين الاطفال فى مستشفيات الولادة .

## فوائد تطبيقية

ومن اهم الفوائد التطبيقية لمعرفة فصائل الدم مسألتا الانجاب والولاده . فقد وضحت الدراسات أن الزوجين اللذين لا تتفق دماؤها يغلب عندهما احتمال عدم الانجاب ، إذ أن النساء من فصيلة معينة من الدم يفرز ن مضادات عضوية ضد خلايا الحيوانات المنوية التى من دم لا يتفق مع دمهن . وقد اجريت دراسات على بنات هوى يستقبلن بحكم حالهن انواعاً مختلفة من فصائل الدم ، فتبين أنهن يفرزن مضادات عضوية كابحة للحيوانات المنوية ، وهذه الطريقة البيولوجية لمنع الحمل قد نبهت الباحثين الى التفكير بأن الوسيلة المثلى لمنع الحمل ربما كانت بالتفاعلات التى تتم بواسطة مولدات الأجسام العضوية المضادة . وفى ظنهم أن الحيوانات المنوية تعتبر فى هذه الحالة بمثابة اجسام غريبة غازية للجسم ، وأن الحمل نوع من المرض يمكن تلافيه . فاذا اعتبرت الحيوانات المنوية للرجل كنوع من الجراثيم ، فان التطعيم هو العلاج الواضح ضد التلقيح .

## مولدات المضادات العضوية

إن كل خلية آدمية تحمل فى سطحها مؤثرات بيولوجية للتعرف على الفردية . وتنقسم هذه المؤشرات ، التى تعرف بمولدات المضادات فى عملية نقل الأعضاء وزراعتها ، وذلك للدور الذى تقوم به فى مقاومة نقل وزراعة الأعضاء جراحياً ، الى أربع مجموعات اساسية . مع احتمال ما يقرب من ٢٢ ذرة فى كل مجموعة . وبما أن الانسان يرث ثمان من هذه المولدات المضادة ـ اربع من كل والد ، وواحدة من كل من المجموعات الأربع ، فان عدد المجموعات الممكنة هو بالتقريب عشرون مليوناً .

وتقوم مولدات المضادات هذه بمثابة كلمات السر للمرور . ولذا فان عمليات نقل الأعضاء جراحياً لا تنجح إلا إذا كانت مولدات المضادات عند المتبرع هى نفس مولدات المضادات عند المستقبل . فالجسم حين يتعرف على الانسجة التى نقلت اليه كجسم غريب يقوم برفضها . وتقوم بعض الانسجة فى الجسم بعملية رفض حاد للأنسجة الدخيلة ، كالطحال مثلا .

ومن سخرية الاقدار أن الأنسجة التى لا تستدعى رد فعل رافض حاد من الجسم المنقولة اليه ، وبالتالى يمكن استيعابها .. هى بالضبط تلك الانسجة التى لا يرغب المرء فى نقلها اليه كالشحم مثلا ، أو تلك التى لا يمكن نقلها من ناحية عملية .. كخلايا المخ !

## قضايا الأبوة والميراث

وقد اصبح لمولدات المضادات مؤخراً دور جديد فى المجتمع ، وذلك فى المحاكم . إن احتمال وجود مولدات للمضادات الشبيهة فى أى شخصين أمر بعيد ، ولذا فان فصائل الأنسجة مثالية فى الفصل فى قضايا الأبوة . وكل ما على المحامى أن يفعله هو أن يثبت أن الطفل لا يتمتع بتركيب به أربع مولدات للمضادات (انتيجينات) ، هى تلك التى يرثها عن الأب المدعى عليه .

وفى قضية تم الفصل فيها مؤخرا فى النمسا تقدم استخدام هذه الانتيجينات خطوة جديدة ، فقد ادعت احدى السيدات أن ابنها وريث لضيعة رجل مات . ولكن المحامين قاموا بجمع ابناء الرجل ، ودققوا فى انتيجيناتهم .. ومن ثم تمكنوا من معرفة نوع تركيب أنسجتهم ، واثبتوا بذلك أن ابن المدعية لا يمكن أن يكون من صلب الرجل المتوفى .

## فى مجال السرطان

اننا نجهل تماماً السبب فى أن نولد وبنا انتيجينات النقل هذه فى المقام الاول .. وهناك نظرية طرحها عالم حاز على جائزة نوبل ، هو السير ماكفالرين بيرنت ، الذى يرى أن مولدات المضادات قد طورت فى الجسم لتمكنه من التعرف على الخلايا التى تشوهت وصارت خلايا سرطانية . ووفقا لهذه النظرية فان السرطان يحدث عندما تصبح كل أجهزة الرقابة فى الجسم عاجزة تماماً عن أكتشاف الخليه غير الطبيعية ، وبالتالى ابادتها .

ويجرى العلماء حالياً ابحاثاً على هدى نظرية السير بيرنت .. وذلك فى محاولة للكشف عن الاسباب الاساسية للسرطان وطبيعته .

## التمييز بين الذكر والأنثى

وربما كان النوع الفاصل من انواع تحديد الهوية هو ذلك المعروف بأسم «الكاريوتايب» ، ويعتمد على صورة الكروموزومات التى تحمل الجينات الآدمية .

ويظهر الكاريوتايب عادة كصورة فوتوغرافية بها ٤٦ كروموزوما آدمياً ، وقد صبغت من أجل الفحص المجهرى ، وهى مصفوفة فى خطين ، بكل منها ٢٣ كروموزوما تبعاً لحجمها وشكلها . ويشار الى اطوالها برقم (واحد) ، واقصرها برقم (٢٣) . وتكون هذه الكروموزومات ازواجاً متناسقة فى النساء .. عادة .. ولكن الزوجين رقم (٢٣) فى الرجال ، وبهما كروموزوما الجنس ، غير متناسقين ، ويظهر ذلك بشكل واضح . ولذا فان الكاريوتايب يفرق بشكل حاسم بين الذكر والانثى .

وهذه الطريقة قد اثبتت فائدة قصوى فى الالعاب الأوليمبية للتأكد والتثبت من انوثة النساء المشتركات فى الأوليمبياد وفى الافراد العاديين . ليس هناك كبير اختلاف فى الحجم بين الكروموزومات الزوجية إلا فى حالة كروموزوم نوع الجنس ، ويختلف طول هذه الكروموزوم بشكل خاص بين المجموعات المختلفة من الذكور . فهو أطول ما يمكن عند اليابانيين ، واقل ما يكون عند القوقازيين . ولا ندرى بعد ان كانت هناك ثمة أهمية خاصة لطوله أو قصره .

وقد تمكنت دراسات الكاريوتايب حتى الآن من تحديد السمات العامة والانسجة الشاذة . ولكن المهم هو أنها دقيقة فى تحديد الاختلافات الكروموزومية فى ٢٪ من السكان . وسيتم بفضل الاساليب المتطورة فى الصبغ والوسائل المحسنة فى تحديد الانماط المصبوغة المسماة فرق الكروموزومات رفع كفاءة اكتشاف الاختلافات الدقيقة فى تركيب الجينة . وسيأتى يوم نستطيع فيه تحليل الكروموزومات الجينة الواحدة ، وذلك منتهى الطلب فى تحديد هوية الجينات .

ورغم الانتفاع المحدود من كل هذه الاساليب فان العلماء قد اصبحوا يستخدمونها فى تحديد الهوية ، بعد أن كان ذلك فى الماضى وقفاً على البصمات وحدها .

## الاسنان .. لمعرفة الهوية

فى ٢٤ سبتمبر من عام ١٩٧٤ حوكم رجل بكاليفورنيا بتهمة القتل بعد أن ثبت أن نظام اسنانه مطابق لآثار عضة فى انف المرأة القتيلة . وقد قدر ممثل الاتهام أن الآثار الخمسة الأكثر وضوحاً فى الأنف التى عضت يمكن أن تبرز ٥٩.٤٩ شكلا محتملا من اشكال انتظام ودوران الأسنان . وعندما أخذ عن طريق الصدفة ٧١٠ نموذجاً لأسنان البالغين ، وقورنت بالآثار التى كانت على الأنف ، كانت اسنان المتهم وحدها هى التى طابقتها تماماً .

إن نظام الاسنان فى الانسان له نفس التفرد الذى تختص به بصمات اصابع اليدين . ولما كانت كل سنة بفم الانسان ذات سطوح خارجية خمس .. فانه يمكن تصنيف ١٦٠ مساحة مختلفة للأسنان . وفقاً للتكوين الوراثى والتغيير التطورى والتغييرات الطبيعية أو حسب الاصابات وما تحدثه اساليب علاج الاسنان أو استبدالها . وهناك أكثر من ٢ر٥ مليون احتمالا لهذه الخصائص والسمات فى بصمة الاسنان .. وذلك وفقاً لنماذج احصاها العقل الاليكترونى . كما أن التحليل بالأشعة السينية للفك يضيف بعداً آخر لعملية تحديد الهوية عن طريق الاسنان .

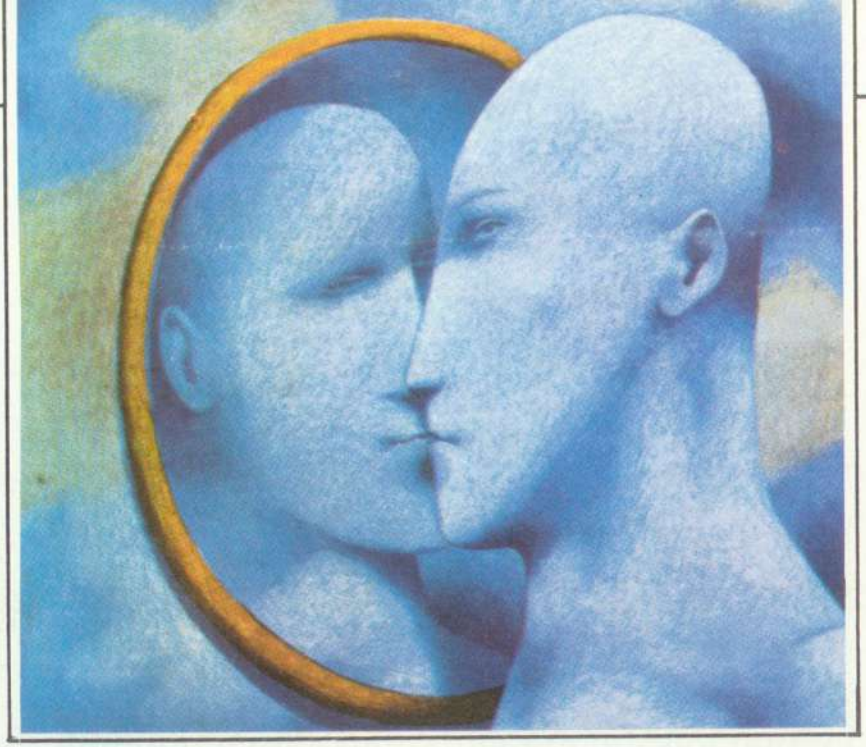
وليس تحليل نظام وانماط الاسنان بالعلم الجديد فقد اعتمد السيد بول ريفيرى على نظام الاسنان ليتعرف على جوزيف وارن ، وهو أمريكى قتل فى بنكر هيل . كما أن هوية جون ويلكر بوث الذى اغتال الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن قد تم التثبت منها عن طريق اسنانه بعد أن أحرق جسمه .

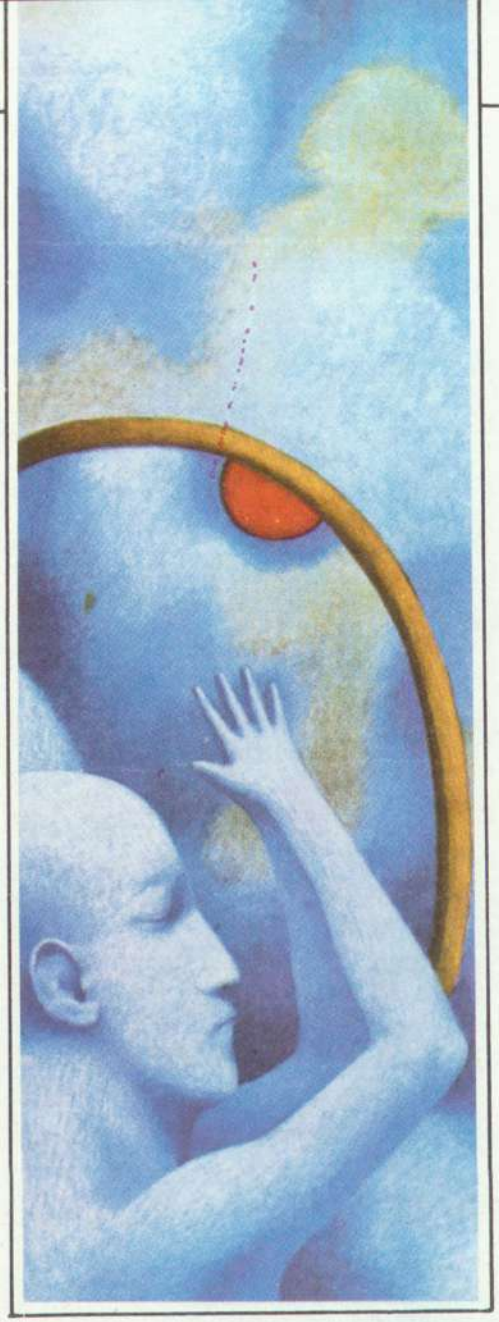
## طب الاسنان الشرعى

وقد ادى التحليل المتطور فى ايامنا هذه الى تخصص جديد هو طب الاسنان الشرعى ، الذى يقوم بوظيفته خير قيام فى حالة اصابة بقية الجسم بشكل يجعل انواع التعرف الأخرى على الهوية غير ميسورة .

ولأن مينا الاسنان من أشد المعادن المعروفة صلابة ، فان اسنان الانسان هى أكثر جزء فى جسمه قدرة على البقاء . وهى وحدها التى يمكن ان تبقى بعد الحرائق والكوارث .

وقد استخدم طب الأسنان الشرعى مؤخراً فى تحديد هوية بقايا ركاب طائرة تهشمت فى مطار شيكاغو . كما استخدم





## اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون في أعداد كبيرة مختلطة

في التحقيق في مقتل عدد من الشبان ، وفي اعقاب مذبحة جماعة جونز تاون الشهيرة .

وفي حادثة الطائرة بسانتياجو قبل ٢١ شهرا ، حيث توفي ١٤٤ شخصاً ، تم التعرف على ٥٠ منهم عن طريق بصمات الاسنان فقط .

### التوقيع أيضاً

إن كل توقيع متفرد ، لا يشبه أي توقيع آخر . وقد اقيم حديثاً نظام يعتبر التوقيع أكثر دقة في تحديد الهوية من صفحة كاملة بخط اليد ، وأنه محصن من العبث به أكثر من بصمات اليد .

لقد ظل تحديد الخطوط عملا مضنياً ودقيقاً ، فالعوامل الطارئة كتغيير المزاج أو اختلاف أداة الكتابة ، يمكن أن تموه أية كتابة باليد . ويمكن لمزوري الخطوط أن ينقلوا أي اسلوب خطي بشكل دقيق حتى ليصعب تحديد النسخة الصحيحة الحقيقية من عشر وصايا منسوبة لأي مليونير .

أما الآن فقد استحدث الاستاذ الجامعي جاكوب استيرنبيرج نظاماً في تحليل الخطوط يتغلب على عوامل الصدفة ، ويفوق ذكاء أمهر المزورين . ونظامه الاليكتروني لا يقيس شكل أو مظهر الخط ، وإنما (نظام الضغط) والتغييرات التي تطرأ على الصفحة اثناء الكتابة . وقد وجد أن الخط والتوقيع ، وإن كانا عمليتين ونظامين معقدين من السلوك المكتسب ، فان التوقيع بحكم تكراره يصبح مجرد فعل منعكس أو لا إرادي ، ويصبح نظامه ونمطه منغرساً في ذاكرة العضلات .

وقد طبقت الجوات الامريكية طريقة استيرنبيرج هذه في الرقابة على المناطق المحددة للغاية والتي لا يراد لاحد الوصول اليها ، ووجد أن نسبة الخطأ ضئيلة جداً ، مما جعلها مبشرة بفوائد جمة عسكريا وتجاريا .

والسبب وراء نجاحها عو أنها لا تحكم على خاصية يمكن تكرارها ، كبصمات اليد التي يمكن أن تطبع على قفاز من المطاط ، وإنما تقوم بتحليل الافعال الباطنة لانسان يقوم بعمل معقد . وبذا فهي تحدد عدداً من خصائص الفرد الجلية ، كشخصيته ، وطبيعته الجسمانية ، ونظام افعاله .

### الأسماء فقدت قيمتها

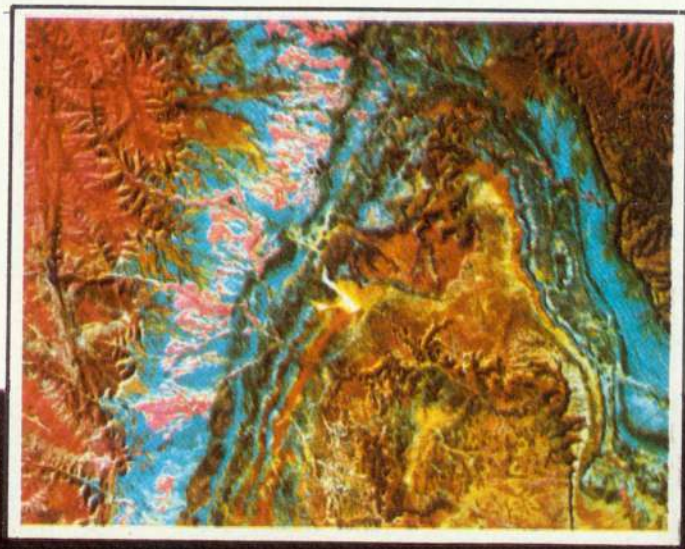
لقد اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون في اعداد كبيرة مختلطة . وكانت أول المحاولات هي اطلاق الاسماء على الناس والاشياء. وظلت تلك التوقيعات اللفظية خاصة به في المجتمع .

أما هذه الايام التي تسرقنا شخصياتنا فان الاسماء قد فقدت قيمتها .. ومعناها . وإن أي شخص شاء حظه له أن يسمى محمداً أو جورج أو هانز هو بالضرورة ضائع وفاقد الشأن بين جيش جرار ممن يحملون نفس الأسم .

إن الحكومات مثل معظم العقول الاليكترونية تفضل ان تتعامل مع شعوبها كارقام . ولها في ذلك دوافعها وضروراتها . ولكننا نشعر بالأسى وبعض الخوف إذ نجد هذا النظام يبنى لنا هويات على اساس تعسفي من الأرقام .

ولكن علم الأحياء سيوفر لنا الأدوات التي نبذل بها كل هذا . إن ما تذخر به طبيعة الانسان من اسباب تحديد الهوية لهو أكثر دقة من الارقام ، وأكثر شخصانية للفرد من الاسماء . وهي بدلا من أن تقذف بنا في جب اللاهوية ، فانها تحتفل وبشكل فعال بتفردنا المطلق .

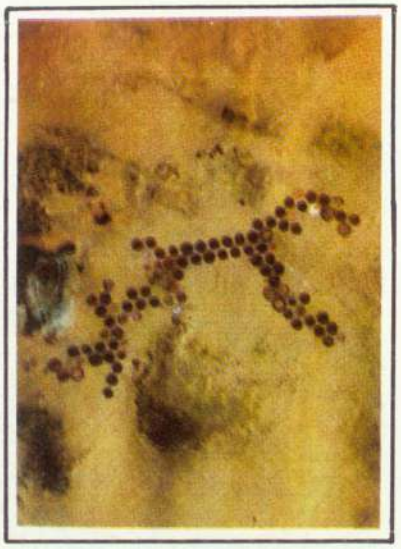
# الأرض فى عدسات الفضاء

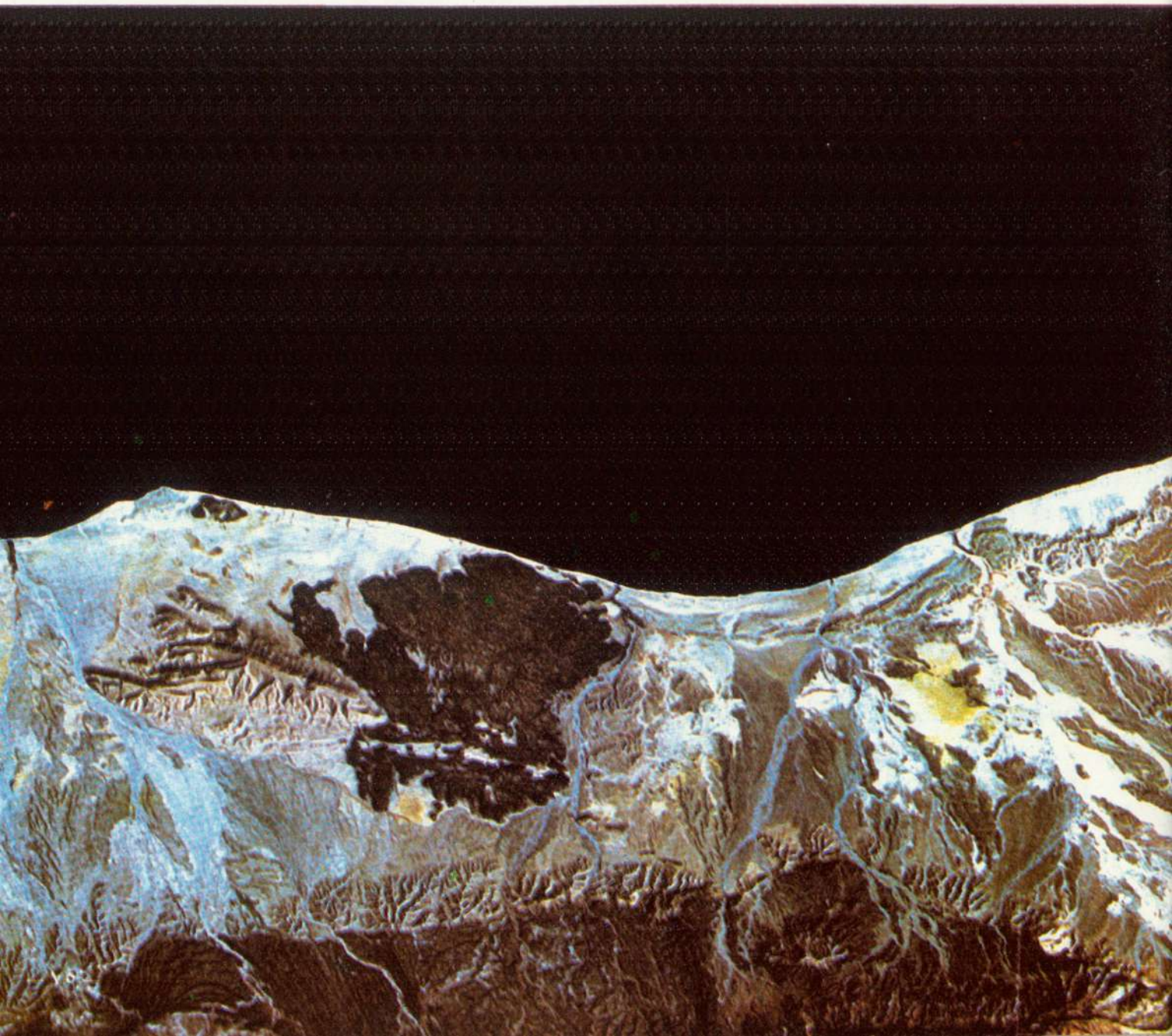


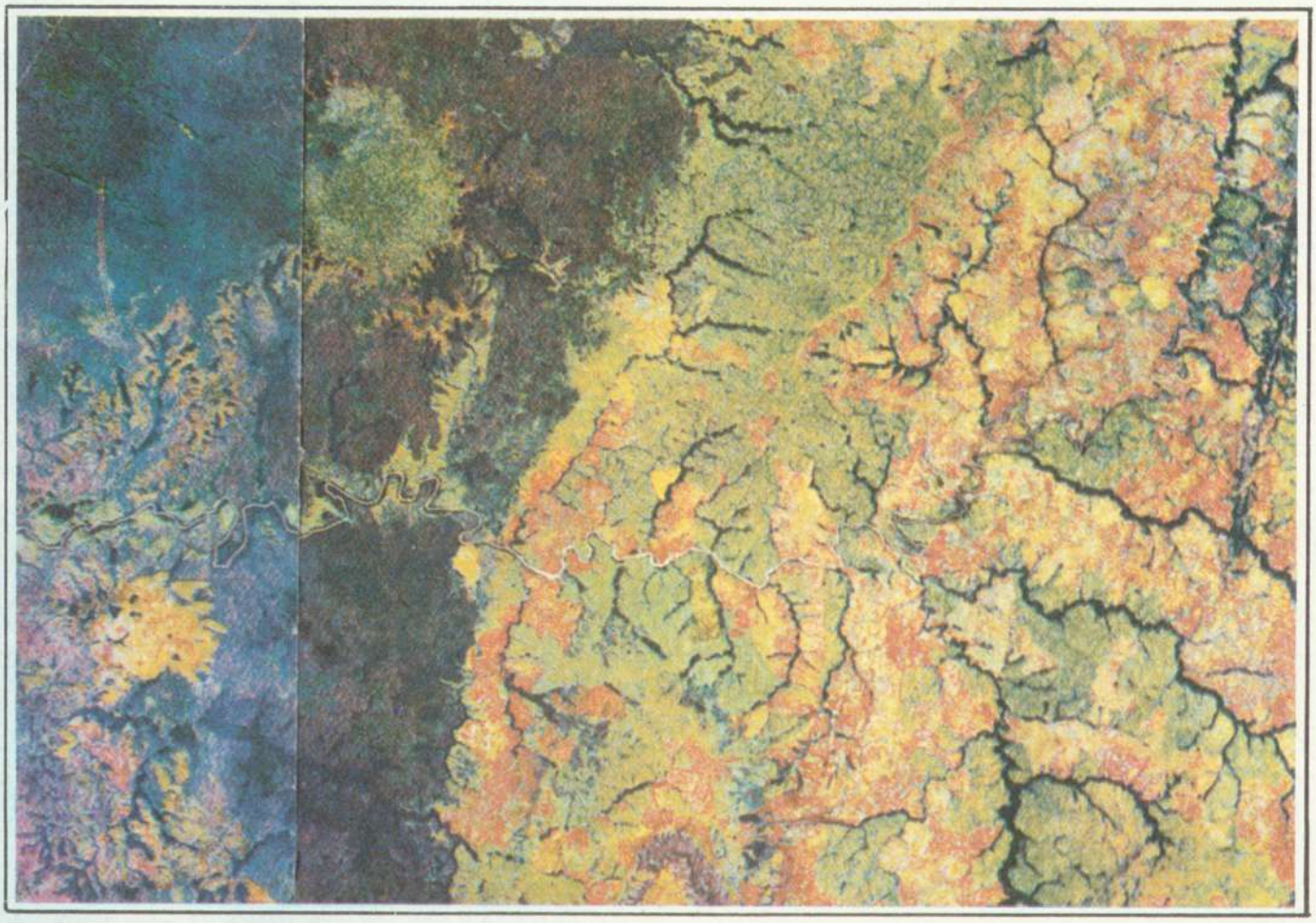
من نقطة بعيدة فى الفضاء الأسود كالحبر ، تقوم آلات التصوير بالتقاط صور عن كوكبنا الأزرق الخضرة ، وتختزنها وبشكل أوتوماتيكى تتحول تلك الصور المختزنة إلى جزيئات ثنائية يتم بثها إلى العقول الالكترونية الأرضية حيث يعاد تركيبها وإبرازها صوراً مركزة ، وذلك بواسطة مؤسسة المحطات الأرضية فى واشنطون «دى . سى» .

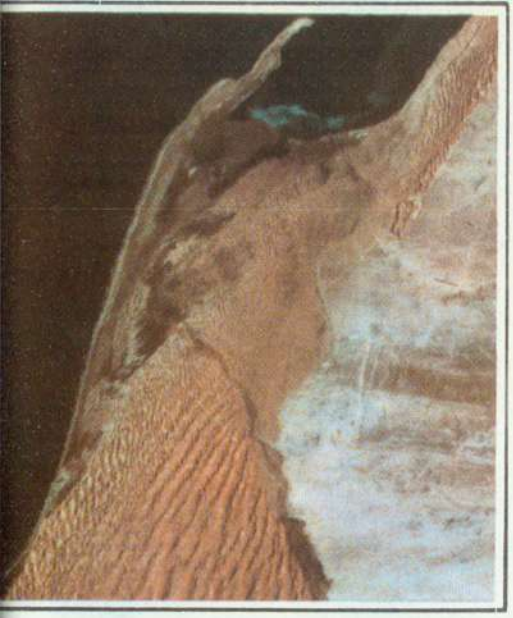
ويقوم بتصوير الأرض من ذلك الفضاء العريض القمر الصناعى لاندسات ، الذى دحض بروعة انجازه كل معارضة استهدفت برامج الفضاء باعتبارها ترفا فى زمن ترزح فيه

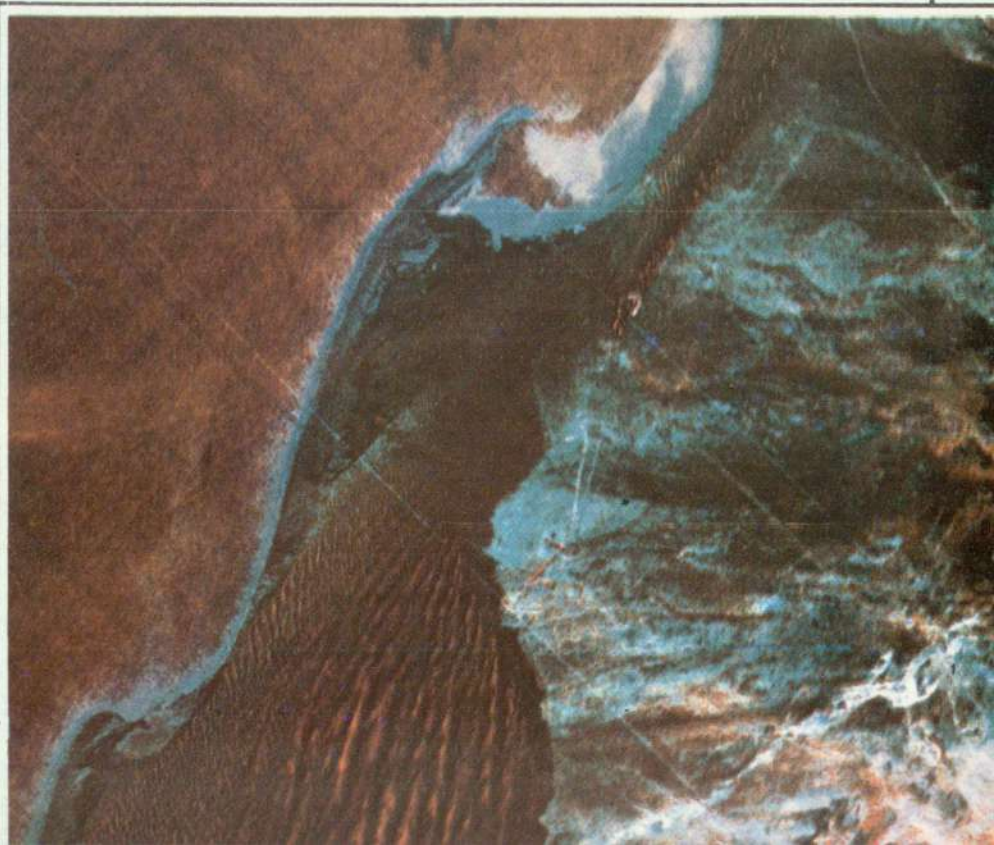


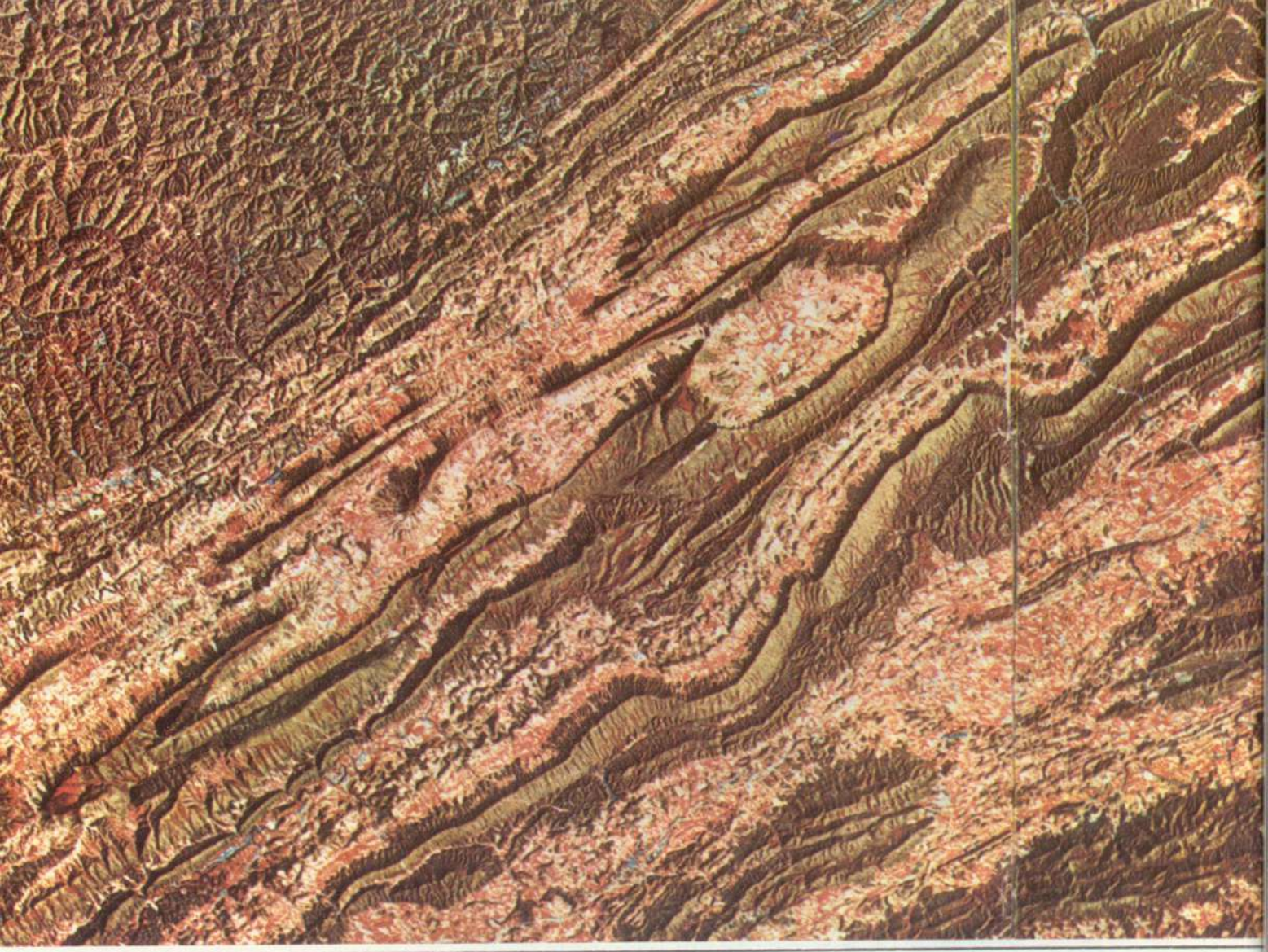












الأرض تحت المشاكل والأهوال .

وقد استطاع فنيو العقول الالكترونية ، أن يبرزوا لنا بفضل مهارتهم وتقدم قدراتهم وفى تحديد جازم مواطن المعادن الثمينة ومصادر الغابات والأراضى الصالحة لزراعة المحاصيل .

وباستخدام الصور الملونة بالأشعة تحت الحمراء ، مثلاً اظهروا الملامح الجيولوجية الخبيئة فى هضبة ، سان رافائيل فى ولاية اووثا ، كما فى الصورة رقم (١) بينما وضحت الصورة رقم (٢) أن الساحل الصومالى ومصارف المياه به مازال تحت التكوين .

إن آثار المدينة تظهر نتائج مذهلة وخلابة عندما تراها العين من الفضاء . فما هذا الشكل شبه البهلوانى الذى نراه فى الصورة (٤) سوى شبكة الرى الزراعى فى واحة الكفرة فى ليبيا.

أما الصورة رقم (٣) فهى تظهر الخطوط الأساسية لسطح ما تحت مياه المحيط والترسبات المذوبة فيه على الساحل الاندونيسى . أما حوض نهر الامازون الأوسط فقد أظهرته طريقة النسبة الرقمية التى تركب ثلاثا من موجات الطيف اللونى التى تستطيع آلات التصويربالقمر الصناعي (لاندسات) رؤيتها ، وعندما تم تكبيرها ومعالجتها وتنسيقها مع نتائج المسح الأرضى ، اصبح من الممكن بواسطة النسبة الرقمية تحديد الاماكن المحتملة للتنقيب عن المعادن فى غابات الامازون .

وتبدو الأحوال الجوية كما فى الصورة (٥) حيث تطغى الأعاصير فى حوض قداميس فى الصحراء ، وتكون بذلك كثبانا رملية تشبه النجوم ، كما نرى ذلك فى الصورة (٦) .

ولم تعجز عدسات القمر الصناعى عن قبض لحظات الجمال الطبيعى فى تغييرات الفصول ، فاظهر لوحة كلها جمال وروعة لفصل الخريف فى وادى شيفاندوا فى فرجينيا الغربية بامريكا .

والصورتان الثامنة والتاسعة لصحراء ناميبيا بجنوب غرب أفريقيا .. وقد عولجتا كل على حدة ، فالتاسعة تظهر عملية اللون بالأشعة تحت الحمراء بطريقة خاطئة ، أما الثامنة فقد استخدمت فيها طريقة دمج أربع موجات مختلفة من موجات الطيف لتعطينا صورة واقعية ذات الوان ثلاثة .

وكلما توغلنا فى تقدمنا فى الثمانينات فان المعلومات اللازمة والضرورية التى يجب أن نعرفها عن محيطنا الحيوى ستبلغنا فى نقطة تمثل الموقع الاكثر إمتيازا للنظر الى أرضنا .. وهى الفضاء .

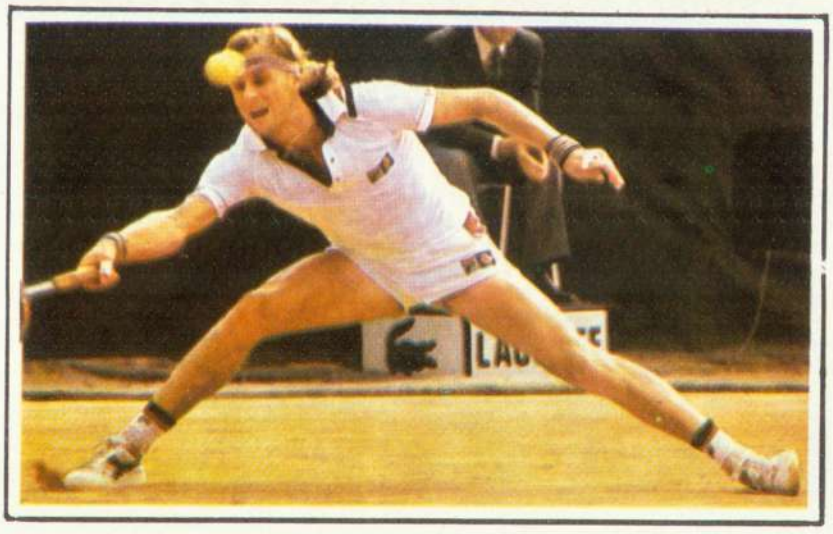
# تساؤلات حول اللياقة

مع ازدياد مطالب الحياة العصرية ، يجد معظم الناس انفسهم وقد اندفعوا لاهثين وراء تكاليف الحفاظ على مستوى معيشي معينٍ أو تحقيق ما تدفعهم إليه وسائل الدعاية والاعلان فى المجتمعات التى يغلب عليها طابع الاستهلاك . وفى غمرة كل ذلك ينسون أنهم يستهلكون انفسهم دون انتباه الى ضرورة تجديدها ، والترويح عنها بشكل طبيعى ، والمحافظة على لياقتها وإيقاعها السليم .

ولكن بعد أن بينت الابحاث خطورة الركون الى الحركة الفاقدة للايقاع ، وتزايد حالات أمراض القلب وضغط الدم ، أخذ الناس يفطنون الى مخاطر السمنة وعدم التريض .

وازدحمت فى اذهانهم الاسئلة حول الاستفادة المثلى من اللحظات القليلة التى تتيحها حياتنا المعاصرة لفعل أى شيء ليس له عائده المادى المباشر .

وقد اخترنا بعضاً من هذه الاسئلة ، مساهمة منا فى طرح كل ما من شأنه بث الوعى بلياقة البدن وتجديده .



● الا تساعد التمارين الرياضية على زيادة تفتح الشهية للاكل ، وبالتالى تعوق محاولة انقاص الوزن ؟

هذا مجرد سوء فهم ، وإن كان شائعاً مع الاسف . فالتريض المتزن لا يزيد من آثار تفتح شهية المرء بشكل ملحوظ . وقد اوضحت البحوث أن زيادة النشاط البدنى خاصة بالنسبة لمن لا يقومون فى العادة بمجهود كبير يكبت الرغبة فى الاكل .

● الا يمكن تخفيض وزن الجسم باتباع نظام فى الاكل ودون الحاجة الى التريض ؟

ـ ذاك شيء ممكن . ولكن الجسم يفقد الانسجة العضلية فى نفس الوقت الذى يفقد فيه الشحم ، أما إذا قام المرء بتمارين رياضية فان معظم الوزن الذى يفقده الجسم سيكون من الشحم المختزن فى الجسم . ولذا فأن التريض المقترن باتباع نظام فى الاكل هو السبيل المساعد على حفظ اللياقة الكلية للجسم . كما أن التريض واتباع نظام فى الاكل حين يجتمعان معاً يحققان تخفيضاً دائماً فى الوزن لأنهما يحدان من الشعور بالجوع ويضعان نهاية لأنواع أخرى من الاجهاد النفسى .

● هل توجد انواع معينة من التمارين الرياضية لازالة الشحم من مواضع معينة من الجسم ؟

ـ لا .. ولكن لان التريض يزيل الشحم من الجسم كله بشكل متوازن ، فان الجذع يفقد شحمه قبل الاطراف ، أى أن شحم البطن يزال قبل شحم الفخذين .

● هل يمكن نقص عدد خلايا الشحم فى الجسم ؟

ـ من سوء طالعنا اننا متى تجاوزنا سن البلوغ يتعذر علينا أن نقلل من عدد خلايا الشحم والدهن فى أجسامنا . ولكن يمكن تخفيض حجمها ، وبذا تقل كمية الشحم فى الجسم .

وتشير الأبحاث العلمية إلى أن التغذية المعتدلة حين تقترن بالتريض فى سن مبكرة تساعد على عدم انتشار خلايا الشحم فى الجسم . ولذا يجدر بالوالدين أن يهتما بشكل خاص وباستمرار بنوعية الطعام الذى يتناوله الاطفال ، وبتربيتهم البدنية ، فالرياضة التى يمارسها الطفل ، خاصة فى فترة الدراسة ليست مضيعة للوقت كما يتوهم بعض الآباء والأمهات .

● هل يمكن تحويل الشحم الى عضلات ؟

ـ الشحم لا يتحول الى عضل ، كما أن العضل لا يصبح شحماً . فاذا أكل المرء كثيرا وقل تريضه فان اية وحدات حرارية تزيد عن حاجة الجسم سيختزنها الجسم فى شكل شحم بغض النظر عن كونها دهون أو بروتينات أو كاربوهايدرات

وإذا ظلت هذه العضلات دون أن تستدعى لعمل تقوم به ، فانها تضمر ، ولكنها لاتتحول الى شحم . وعندما نمارس رياضة فان انسجة العضلات تتفتح وتكبر ، بينما تتقلص انسجة الشحم .

● هل نفقد وزنا اكبر عندما نتصبب

عرقاً كثيفاً اثناء التريض ؟

ـ إننا نفقد وزناً بعد التمرين مباشرة ، ولكن ذلك يعود الى أننا نفقد السوائل وليس لأن انسجة الشحم قد ضمرت . ويتم تعويض هذه السوائل بعد زمن قصير عن طريق العطش العادى . فلا يخدعنك ذلك . ويجب أن نحرص على شرب الماء قبل واثناء وبعد أى تمرين ضعيف حتى نتجنب فقد سوائل الجسم.

● اليس من الافضل لنا أن نتريض فى الأيام الحارة الرطبة التى تجعلنا نعرق بكثافة أكبر ؟

ـ إن العكس تماماً هو الصحيح . فعندما يكون الهواء عالى الرطوبة لدرجة لا تساعد على تبخر العرق فان حرارة الجسم قد ترتفع فوق معدلها الطبيعى ولذا يستحسن أن نعتدل فى التريض عندما يكون الجو رطباً .

● هل لحبوب الملح فائدة ؟

ـ يجب علينا ان نبتعد عن تناول حبوب الملح بانتظام تحت كل الظروف . فقد نفق الخبراء أن اسهل و أفضل طريقة لتعويض الملح فى الجسم ، والذى نفقده بسبب العرق اثناء التريض ، هو أن نتناول ملحاً اضافياً فى طعامنا . فالاكثار من الملح يزيد من حدة ارتفاع ضغط الدم ، ويهيج المعدة ، ويخلق نوعاً من الخلل والاضطراب فى توزيع الماء فى الجسم .

● ما هى افضل سبيل لاستعادة النشاط بعد التمارين الرياضية ؟

ـ لا تركن الى عدم النشاط ، ولا تجلس فور الانتهاء من التمارين تمش قليلا .. لمدة خمس أو عشر دقائق فان ذلك يساعد فى تقصير المدة التى تستعيد فيها حيويتك .. وتتيح للقلب والدورة الدموية العودة تدريجياً الى حالتهما الطبيعية .

● هل للفيتامينات اهمية لكسب شحنات مفاجئة من الطاقة ؟

ـ نعم .. وهي ايضاً مهمة بالنسبة لطاقة الاحتمال اذ أنها تساعد فى عملية تحويل الطعام الى طاقة .

ولكن الفيتامينات فى حد ذاتها لا تحتوى على أية طاقة . وإذا تناول المرء غذاء متكاملا ومتوازنا فان ذلك يوفر لجسمه الفيتامينات التى يحتاجها .

إن تناول الحبوب وحدها لا يمنحك بطاقة اضافية ، كما أن الاكثار من تناول فيتامين (أ) و فيتامين (د) قد يسبب ضررا .

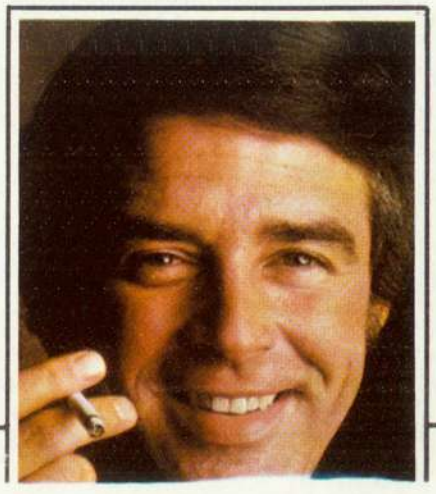
● ما هو مدى اهمية البروتينات بالنسبة للتريض ؟

درج الرياضيون على تناول شريحة من اللحم بالبيض ، وربما كانت كافية لتزويدهم بالبروتين ، ولكن فائدتها بالنسبة للأداء أمر مفتوح للنقاش . وفى الواقع يمكن لمثل هذه الوجبة الصغيرة أن تكون ضارة بالنسبة للأداء الأمثل ، إذ أن البروتين هو أقل المواد الغذائية التى يحولها الجسم الى طاقة .. والأفضل لتوليد الطاقة فى الجسم هو الكاربوهايدرات والدهون ، ولكن يجب أن تكون نسبة ٥٠٪ من تلك الدهون من أصل نباتى .

● ما دور الكاربوهايدرات فى التمارين الجسدية ؟

ـ إنها تمدنا بالطاقة بسرعة ودون زيادة فى استهلاك الاوكسجين ، مما يساعدنا فى الانخراط فى تمارين مكثفة . وهى ايضا ذات أهمية كبيرة بالنسبة للتمارين المعتدلة ولمدى طويل

إن الانهيار الذى يصيب عدائى المسافات الطويلة ليس بسبب نقص فى الدهون ، وإنما لأن احتياطى الكاربوهايدرات فى أكبادهم وعضلاتهم يكون قد شارف نهايته . وبالمثل فان الغذاء الذى يحوى نسبة ضئيلة من الكاربوهايدرات يؤدى فى الغالب الى فتور مزمن . ولذا يجب أن نتأكد من أن ٥٠٪ الى ٦٠٪ من الوحدات الحرارية التى نتناولها مكـون من كاربوهايدرات ، وخاصة النشويات المركبة كالخضراوات





والغلال والمكرونة .

● هل تسبب الكاربوهايدرات الزائدة السمنة ؟

ـ قطعاً لا ، ولكن فقط اذا تناول المرء وحدات حرارية أكثر من استهلاكه .. لأن الجسم فى تلك الحالة يحول الكاربوهايدرات الاضافية الى شحم .

● ما آثار التدخين على التريض؟

ـ إن المدخن المنتظم فى هذه العادة الضارة يظهر انخفاضاً فى حجم الرئتين ولذلك أثره فى التريض خفيف ، ويعوق التمرين العنيف لأن كمية الاوكسجين المتاحة للنشاط العضلى تكون منخفضة

● هل ينصح بلبس زى رياضى ثقيل للتمرن فى الجو البارد ؟

ـ ربمافى الدقائق الأولى القليلة فقط ، وحتى ينشط التحول الكيمى فى الجسم . ويفضل عداءو المسافات الطويلة ارتداء طبقات من الملابس الخفيفة بدلا من ارتداء قطعة واحدة ثقيلة ، ويخلعون تلك الطبقات قطعة تلو قطعة عندما يصبح الجسم دافئاً .

● الا يضر الهواء البارد الثلجى بالرئتين ؟

ـ يحدث التريض فى الجو البارد نوعاً من الجفاف فى الحلق ، وهو أمر غير مريح ، وذلك لأن الهواء الذى يدخل الرئة بارد وجاف ويمتص الرطوبة من شعب التنفس . ولكن ابرد هواء يصبح دافئاً فى الأنف والحلق قبل أن يصل الى الرئتين . ولذا فهو لا يشكل مشكلة صحية .

● ما أثر التمارين الجسدية على القلب والدورة الدموية ؟

ـ إن التريض يؤدى الى خفض ضغط الدم فى قمة لحظات الاجهاد ، والى مستوى أقل فى نسبة الدهن فى الدم .. كالكلسترول والترايغليسرايد .. مثلا ، والتى تؤدى الى أمراض الشرايين ..

والتريض يطيل المدة التى يتخثر فيها الدم ، ويزيد قدرة عضلة القلب على التحمل ، كما انه يقلل الوزن الزائد والشحم ، وكلاهما يعتبر من العوامل الخطرة بالنسبة لضغط الدم العالى وبعض أنواع أمراض القلب .

● هل يمكن للتريض ان يعكس او يعوق عملية الشيخوخة الطبيعية ؟

ـ إن شخصاً يتريض بانتظام هو فى الغالب افضل صحة فى الأربعين من عمره من ابن العشرين الذى لا يمارس التمارين الجسدية . ومع أن التريض ليس ينبوعاً للشباب ، فان الناس من كل الأعمار الذين يتريضون بانتظام يستطيعون تحسين قدراتهم على الأداء

# الإجهاد وأضراره

تقرر الدراسات التقليدية ان مراقبى الحركة الجوية فى المطارات يتابعون الطائرات بضغط دمهم ، وكلما ازدحمت سماء المطار ، ارتفع ضغط دمهم باكثر من خمسين نقطة فوق معدله العادى ، كما ان شرايينهم تضيق ، وتفرز غددهم كميات اكبر من الكيمائيات المثيرة للاعصاب ، مثل الابينفرين ... وبعبارة اخرى ، يقدمون صورة نموذجية عن الاجهاد النفسى .

ومن الطبيعى أن ذلك كله يسبب امراضا ذات صلة وثيقة بالاجهاد ، وقد ينتهى الأمر كله الى الاصابة بالسكتة القلبية قبل بلوغ الخمسين

ولكن المذهل فى الأمر ان هذا التقدير ليس صحيحا كما تتوقع الدراسات التقليدية ، بل بالعكس : فقد اظهرت دراسة حديثة ان مراقبى حركة المرور الجوى اكثر صحة من غيرهم من المواطنين بمقايس اخرى . ولكن هذه الدراسة لاتقدم اجوبة مبسطة ولاتقف عند حد انكار ما توصلت اليه الدراسات التقليدية .

## الاجهاد والاضطرابات

كان الاجهاد فى نظر المختص عن الصحة فى امريكا هو السبب وراء عدد كبير من الاضطرابات .. ابتداء من الأرق وانتهاء بامراض القلب ولذا فالمطلوب من الشعب ان يخلد الى تهدئة النفس وان يتجنب الناس الوظائف والاعمال ذات الصلة بالضغط وان يختاروا اساليب جديدة للحياة .

ولكن الخبراء قد بداوا يشكون باستمرار فى الافتراضات التى طال قيونها والخاصة بالاجهاد النفسى وما يسببه من امراض .. لان تلك الافتراضات «لم تتم اقامة البراهين عليها» كما يقول د. روبرت روز ، رئيس شعبة الطب النفسى بجامعة تكساس .

## آثار خفية

كانت الفكرة الشائعة هى ان الاجهاد قوة تنخر الجسم حتى ينهار احد الأنسجة مثل منديل من الورق المبتل . وقد اتضح الآن ان المسالة اكثر تعقيدا من ذلك . فالاجهاد ذو آثار خفية ومعقدة على الاندوكرين بالجسم ، وعلى الجهاز العصبى وجهاز المناعة الطبيعية بالجسم . ولذا لم يعد كافيا ان نقول ان الاجهاد يسبب المرض ، وكانما هو نوع من البكتيريا .

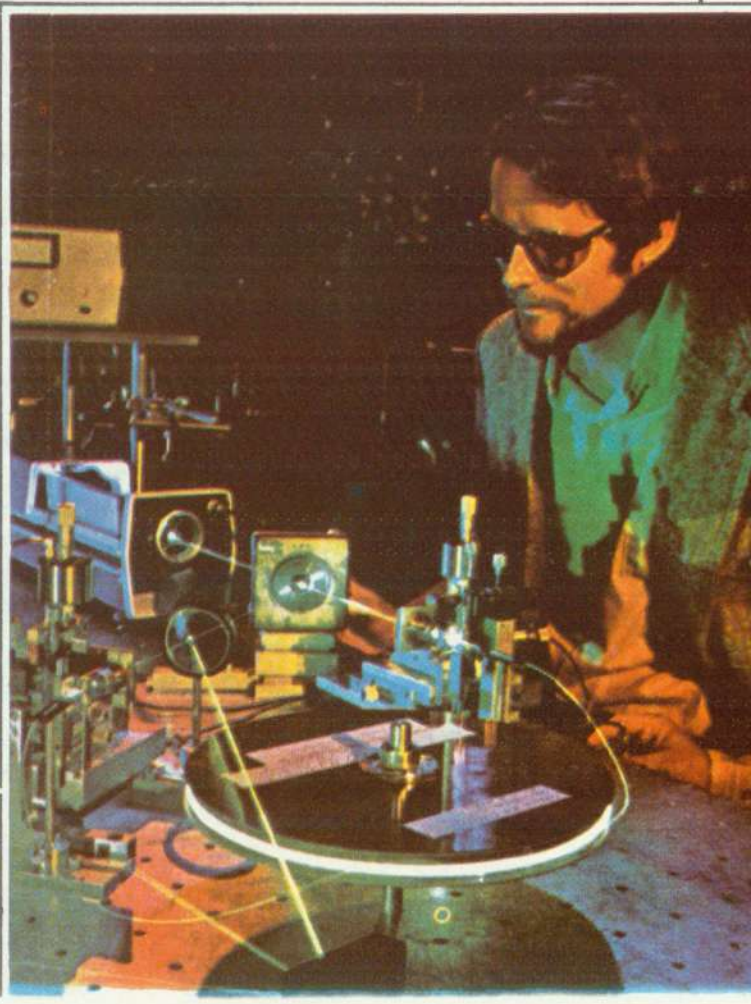
وقد اخذت الابحاث على ايامنا هذه تركز على معرفة الكيفية التى يسهم فيها الاجهاد بجانب عدد من العوامل الاخرى فى خلق الظروف التى تمكن للمرض قبضة على الجسم .

## خصوصية الاجهاد

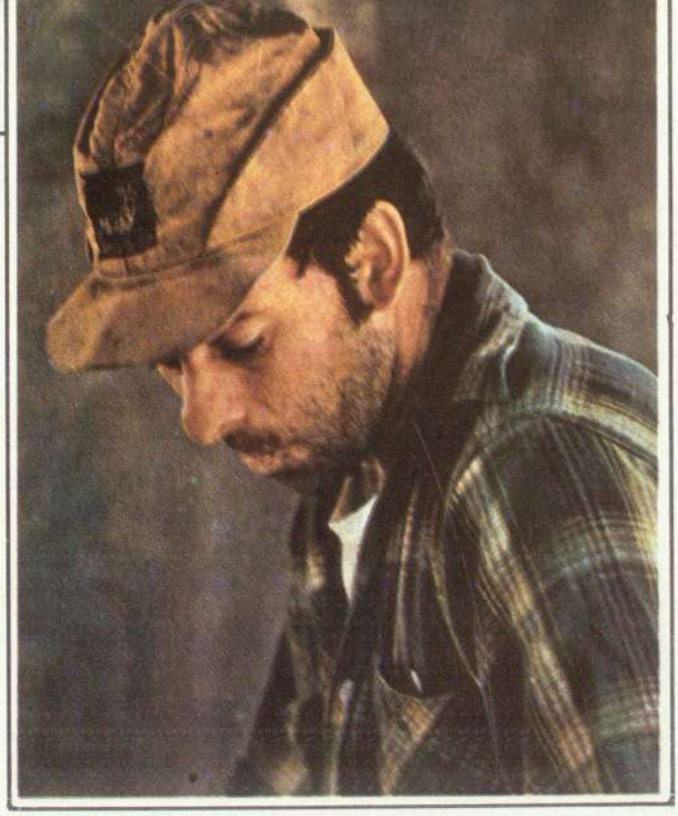
ان الاجهاد مسالة خصوصية فى البنية والمزاج وما زالت معرفتنا شحيحة فيما يختص بالاجهزة التى تبث بها حادثة ذهنية موجات كالمد والجزر من الهرمونات فى مجرى الدم ، وتغير عمليات نفسية اخرى . ولكن الواضح انها تتباين كثيرا عند الافراد . وقد اخضع بعض من الذين نجوا من معسكرات الاعتقال النازى ـ وهو اقصى حالات الاجهاد ـ للدراسة من قبل احد الباحثين ، فاتضح ان «ربع الذين اخضعوا للدراسة لم يظهروا اية اعراض جسدية لها علاقة بالاجهاد .

## القرحة

كانت التجارب الباكرة التى اجريت على الحيوان فى الثلاثينات ، واشتملت على تعريضه للعذاب الجسدى القاسى ، والانهاك ، قد







## الإجهاد لن يزول من وجه الحياة ولا ينبغي له أن يزول

اظهرت ردود افعال مهمة .. منها القرحة المعوية . كما ان ابحاثا جديدة يجريها الدكتور روبرث آور من جامعة روكستر قد بينت ان انواعا معينة من الاجهاد اقل حدة من تلك التى ذكرنا مثل معاملة الناس للفئران ، تؤثر على قابلية الفئران للاصابة بالمرض فى ظروف معينة وقد كانت النتائج غير متوقعة . فالفئران التى تقع تحت يد الانسان قبل فطامها تقل لديها حالات الاصابة بالقرحة عندما تكبر .. ولايتم ذلك الا اذا حبست فى اقفاص مع غيرها من الفئران .. اما الفئران التى تولد لامهات كن فى يد الانسان فانها اكثر قابلية للتعرض للاصابة بالقرحة ، ولكن فقط اذا حبست فى اقفاص منفردة بعد مولدها .

وكما يوضح ادر فان التجربة المبكرة والبيئة الاجتماعية يؤثران فيما يبدو على قابليتها للاصابة بالمرض وهو يربط ايضا بين نوعية التجربة والامراض . فقد وجد ان الحيوانات التى تحفظ فى مجموعات هى اكثر قابلية لمرض السكر والتهاب المفاصل وداء الشعرية (الترخينة) ، اما تلك التى تحبس منفردة فهى اسرع الى التعرض للاصابة بالملاريا والاورام الخبيثة .

### الاجهاد والمناعة

وكانت ابحاث اخرى على الحيوان قد ركزت على دراسة علاقة الاجهاد بنظام المناعة فى الجسم ، فاوضحت تجارب الدكتور مارفين شتاين من مركز الابحاث الطبية بنيويورك ان الاجهاد فى الفئران يمكن ان يسبب انخفاضا فى انتاج الليمفوسايت ، وهو احد انواع خلايا الدم البيضاء ، المناط به مكافحة الاصابة بالعدوى .

واوضحت دراسة اخرى ان انتاج الليمفوسايت يقل عند النساء اللائى فقدن أزواجهن حديثا ، ويعتبر علماء النفس اكثر انواع الاجهاد التى يمكن ان يمر بها المرء حدة ، وحالات موت الزوج الآخر هى ضعف حالات موت من هم فى اعمارهم . ويمكن ان يكون لكبت جهاز المناعة فى الجسم ، والذى يغير قابلية الشخص ليس فقط للاصابة بالعدوى وانما للاضطرابات مثل داء روماتزم المفاصل ، هو احد التفسيرات .

### الأجهاد وفرط الضغط

اما البحث حول العلاقة بين الاجهاد وفرط ضغط الدم الشريانى خاصة ، فقد قاد العلماء الى النظر فى الخلايا المعروفة بمنظمات الضغط ، والى حين تكتشف ان الضغط قد ارتفع ، ترسل اشارة الى القلب لكى يبطىء .

وقد اكتشف بارى دووركين من جامعة روكسفلر ان لهذه المنظمات اثر اخر وهو انها تميل الى تخدير الدماغ عن الاستجابة للمثيرات غير السارة وفى حالة الاجهاد ، فان الجسد ربما بحث عن هذا المخدر الطبيعى ، وذلك بان يزيد ضغط الدم وبذلك يثير منظمات الضغط . ومن هنا يمكن لفرط ضغط الدم ان يكون اثرا جانبيا للاجهاد ، وليس نتيجة مباشرة له .

من التجارب التى اجراها الدكتور روبرت روز وزميلان له ودامت ثلاثة اعوام ، اتضح ان فرط ضغط الدم عال بين الـ ٤١٦ ضابطا للحركة الجوية الذين درسهم فهو يتراوح بين ضعفين وثلاثة اضعاف ما هو عليه بالنسبة لمن هم فى عمرهم من الرجال ، ومع ذلك فان حالات المرض عندهم ليست اكثر مما هى عند غيرهم ، وهو الامر الذى لم يكن متوقعا ، وفى الحقيقة ، فان نسبة الامراض الخفيفة كنزلات البرد مثلا هى اقل بينهم مما هى عليه عند غيرهم . اما السبب الذى يؤدى الى زيادة حالات المرض النفسى والجسمانى بينهم فهو موقفهم من عملهم . اذ ان من اظهروا عدم رضا بعملهم كانوا اكثر اصابة بالمرض ، كما يقول الدكتور روز .

### وسائل مهدئة

ان حدة الاجهاد ، فيما يبدو ، هى اقل اهمية من الطريقة التى تعالج بها . فقد اتضح ان الفئران تتاثر بشكل اقل بالصدمة الكهربائية اذا ما تركت لتتحكم فى توقيت الصدمة . واهمية التحكم فى مصير الواحد منا هى ايضا واضحة فى سباقنا مع الحياة .. فقد اظهرت احدى الدراسات ان المديرين التنفيذيين فى المستويات العليا يصابون بنوبات قلبية مميتة بنسبة ٤٠ ٪ اقل من المديرين على المستويات الوسطى فى نفس الاعمال . اما الذين لاقدرة لهم على التحكم فى المواقف التى يجدون انفسهم فيها فان الوسائل المتاحة امامهم هى خداع النفس ، والابتعاد عن الآخرين ، واللجوء الى حمى العقيدة الدينية او تناول العقاقير المهدئة .

وقد اشتهرت هذه الوسائل بسمعة سيئة لدى كثير من الاطباء النفسانيين .. ولكن فوائدها ينبغى الاتبخس حقها كما يرى الدكتور رتشارد لازارس الذى يعتقد ان لب مشكلة الاجهاد هو القدرة على المواكبة . وكما يقول فان «قليلا من خداع النفس يمكن ان يكون ذا فائدة للمرء» ويورد ان دراسة حول من اصيبوا بنوبات بنوبات قلبية اوضحت ان من مارسوا قدرا من الانكار لما وقع لهم كانوا اسرع الى البرء من اولئك الذين حرصوا على تاكيد مرضهم .

وليس المراد من هذا ان نخلد الى الحلم دائما وانما لانه ثبت ان لتلطيف الأمر على النفس قيمته .

### الاغتراب

ويرى بعض الباحثين ان المفتاح لعلاج الاجهاد هو تقوية الاواصر العائلية والاجتماعية فاذا ما فصمت تلك الروابط ، كما فى حالة الطلاق مثلا ، فان حالات امراض القلب والامراض المعدية ، كالسل مثلا تميل الى الزيادة .

ويمكن للوحدة ان تكون قاتلة كما يرى جيمس لينس من جامعة ماريلاند ، وهو يرى ان ارتفاع معدل حوادث فرط ضغط الدم بين الرجال السود فى امريكا ، والذى يعزى عادة الى اسباب وراثيه ، ربما كان بسبب الاغتراب الاجتماعى .

ومع عدم وجود دليل يثبت ان الاجهاد يودى الى المرض ، فان هناك من الامور ما هو كفيل بالحد منه . فاطباء العلاج الطبيعى يجربون الآن استخدام التامل والاسترخاء المتنامى او اسلوب تطوير التحكم الواعى فى عمليات حركة الجسم .. كضغط الدم مثلا .

### ضرورة الاجهاد

ان الاجهاد لن يزول من وجه الحياة ، ولاينبغى له ان يزول ، فالتجارب والمواقف الحادة جزء لايتجزأ من الحياة .. فاذا ما نشا الاطفال محرومين من تلك التجارب ، فانهم لامحالة يفقدون فرصة تطوير اساليب القدرة على التعامل مع الحياة .

ان التحدى الذى يواجهنا هو ان نفهم كيف يتفاعل الاجهاد وعوامل اخرى ليؤثر على صحتنا . وقد بدا العلماء يشقون دربا الى بعض الحلول لتلك المشكلة .

د. حسين مؤنس

# صلاة المغرب حاضرا..



المؤذن يرفع الأذان لصـــلاة الظهـــر . الساعة الآن الثانية عشرة إلا قليلا . الشيخ حسن سالم عبد الواحد جالس على هذا الكرسى الخشبى المتهالك فى غرفة الانتظار من الثامنة والنصف صباحا ينتظر سعادة المدير . قال له الفراش عم رجب ان المدير ياتى مبكرا فاتى مبكرا جدا . ثلاث ساعات ونصف وهو فى جلسته تلك حتى تعب منه الكرسى وتعب هو منه . هل يصلى الظهر ام ينتظر المدير ؟ استقر رايه على أن ينتظر المدير فان موعد الصلاة ممتد الى قرابة الثالثة بعد الظهر اما المدير فمن الممكن ان ياتى فى اية لحظة . لم يسترح لهذا القرار فان داعى السماء مقدم على ماعداه ، ولكن هذا حال الدنيا . والله سبحانه وتعالى غفور رحيم اما سيادة المدير العام فلا يعرف الرحمة او الغفران

ولكن عم رجب الفراش يستاذن ليصلى الظهر . ورجب هذا هو الخيط الممدود بينه وبين الامل . انه هو الذى سيقدمه للسيد المدير . وما دام رجب ذاهبا للصلاة فلا مقابلة مع المدير . اذن فليذهب للصلاة ليكون قريبا من خيط الامل . من الصباح وهو يعطى رجب سيجارة بعد اخرى حتى بلغ مااعطاه تسع سجائر . هذا استثمار محترم لاينبغى ان يضيع هباء .. ليذهب للصلاة اذن فالصلاة هى الباقية .

حمل سفطه ومضى خلف رجب . السفط ملىء بالطعام : هنا دجاجتان وبيض وجبن وخبز ومخلل . كان فى نيته ان يتركه بما فيه للمدير فهو بلدياته وهو يحب هذه الطرائف .

* * *

وصلى الظهر فى المسجد القريب من الادارة . صلى بغير وضوء حتى لاتفوته الصلاة مع رجب . زعم لرجب انه لايخرج من بيته الا على وضوء ليرتفع مكانه فى عينيه . سيغفر الله سبحانه وتعالى ذلك له ايضا ، فهو سبحانه ادرى بالحال ، والولد ابنه مقدم للتحقيق لانه متهم بالاختلاس من صندوق الادخار فى الادارة التى يعمل فيها فى المحلة الكبرى . الاولاد هذه الايام كوارث وهموم ومتاعب ومصاريف . وقد اتى الى هنا لكى يرجو المدير بان يكتفى بطلب رد المبلغ وانذار الولد فهذه هى خطيئته الاولى . الحقيقة انها لم تكن الاولى ولا الثانية ولا الثالثة فان هذا الولد لم يفعل فى حياته الا خطايا . وملفه فى الادارة المركزية فى لون الهباب : كله انذارات وخصومات ولكن مدير عام ادارة العاملين وهو الذى سيقابله الآن رجل هائل يستطيع التاشير بما يريد والملفات بين يديه وتحت رحمته . ينظر فيها اذا شاء ويغمض عما فيها اذا شاء ، وما دام الولد سيرد ما اختلسه فماذا تستفيد الدولة من حبس المتهم او فصله لكى يتحول الى لص علنى بعد ذلك .

كان رجب قد اكد له ذلك ، وكان هو قد وعد رجب «بحلاوة» محترمة اذا تم الامر على هذه الصورة . كان قد سمع ان رجب يفعل المعجزات والكرامات كل يوم . ولكن معجزاته وكراماته تتوقف على احجام حافظات نقود المؤمنين به ، وهو الشيخ حسن سالم عبدالواحد ـ قد احسن حشو حافظته ، واخرجها مرة بعد اخرى وهو يقدم السجائر للسيد رجب العظيم . ولمح رجب المحفظة ورق قلبه ومضى يستعمله حتى ياتى سعادة البيه المدير .

* * *

بعد الصلاة عرف ان البيه المدير ذهب للحج ولن ياتى لااليوم ولابعد شهر . هكذا قالها رجب على بلاطة بعد الصلاة وهما جالسين ظهريهما الى جدار المسجد والى جوارهما سفط الزاد والزواد .

وقال رجب :

ـ بينى وبينك ، المدير لايصنع شيئا . محسوبك يفعل كل شىء .. لقد خففت على قلبى منذ رايتك ورافت بحالك وقررت ان اقضى لك حاجتك وما دام اخونا فى الحجاز فان كل شىء ممكن . والادارة تتكون فى النهاية من السيد المدير والسيد الفراش . وما عدا ذلك «كمالة عدد» .

وقال الرجل :

ـ الله يعمر بيتك ياحاج رجب ويزيدك من نعائمه .. انا فى عرضك ، واطلب ما تريد ..

ـ ذلك يتوقف على الملف . اذا كان هباباً مليئا بالمصائب فربما لن استطيع شيئا ، ولايقدر على القدرة الاالله سبحانه وتعالى . على اى حال ثق اننى لن ادخر وسعا واطمئن .. سندبرها

ـ ولكن السيد المدير ..

ـ ياارجل قلت لك اطمئن . ما دمت معى فلا تخف ونظر الى السفط وقال :

ـ وبماذا اتيت للمدير ..

ـ اشياء بسيطة جدا .. انه بلدياتى كما تعرف ..

فقال له رجب

ـ هات السفط وتعال .. سننتظر فى غرفة الانتظار حتى ينصرف الناس ، ثم نتغذى بهذا السفط ثم نرى.

* * *

وانصرف الناس وخلا المكتب وقال رجب لمساعده او زميله محمود سعفان الفراش مثله

ـ اذهب انت يامحمود فساخذ انا نوبة الظهر والمساء .. لااريد ان ارى وجه «الحرمة» اليوم . ضربتها وشتمتنى فاقسمت الا اعود الى البيت اليوم ..

وقال الفراش :

ـ اعانك الله على هذه العقرب ..

فرد رجب :

ـ واعانك انت على الحيتين فى بيتك

وكان هذا الفراش الثانى محمود سعفان متزوجا من اثنتين وضعهما فى مسكن واحد ، فهو لاينجب . وكان امله عريضا فى الثانية ، ولكن الامل خاب وظل عاقرا . اتحدت المراتان عليه .

واقفل الحاج رجب الفراش الباب وفتح السفط واقبل يلتهم يلتهم كل شىء كانه لم ياكل من اسبوع .. اكل دجاجة كاملة وثلاث بيضات وجبنا ونصف الخبز ، واكل معه صاحبنا اكل المقتصد . ثم غطى رجب السفط وحمله بما بقى فيه . اصبح ملكه وقال للشيخ حسن سالم عبد الواحد

ـ ورائى ..

ـ الى اين ؟

ـ لاتسال : ورائى ولاتتكلم

* * *

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما انحدر الى الدور الأرضى فى الادارة العتيقة الواقعة خلف المبنى الرئيسى للوزارة . هذا المبنى العتيق خال الآن من الناس تماما .

لقد اخذ رجب نوبة بعد الظهر من زميله ولم يعد هناك خوف من ان يمر احدٌ . هنالك شاويش الحراسة ولكنه دائما هناك عند مبنى الوزارة .. إنه نادرا ما ينظر الى هذا المبنى العتيق وإذا حدث واتى فان سيجارة تعيده الى مكانه . وانه يعرف عم رجب . كل الناس يعرفون عم رجب . هبطنا سلالم كثيرة وافضينا الى باب . اخرج رجب حلقة مفاتيح وفتح الباب . بيده مفاتيح الادارة كلها .. هذا باب الارشيف . هنا الملفات كلها .. بعد انصراف الموظفين يبدو مخزن الارشيف وكانه قبر فرعونى عقب زيارة لصوص..

كانت النوافذ مغلقة والظلام دامسا . ادار عم رجب مفتاح النور وانتشر فى القاعة الواسعة ضوء باهت ينبعث من مصباح عجوز .. على الضوء الباهت الكابى راى الرجل منظراً رهيبا . دواليب تغص بالملفات . كل شىء مغطى بالتراب كان هذه الغرفة اقفلت من ايام تحتمس الثالث . واثناء السكون الشامل ترامى فى إذنيهما اذان العصر فقال رجب :

ـ صلاة العصر قبل كل شىء .. الا زلت على وضوئك ياحاج ..؟

ـ ايوه ياحاج رجب .

ـ اما انا فمتوضىء دائما .. لا اخرج من بيتى إلا طاهرا .. وإذا نقض الوضوء اسرعت فجددته . هذه سنة .

وبعد لحظة صمت قال لصاحبه :

ـ نصلى العصر .

ـ على بركة الله .. وفى خشوع صليا العصر .. قام رجب بدور الامام ..

بعد الصلاة اشعل رجب سيجارة وقال :

ـ هذه هى ملفات الوزارة ثم ضحك وقال :

ـ تصور يا سيد ان هنا ملفات العاملين جميعاً من الوزير الى الخفير .. كل ملف هنا بانسان .. كلنا هنا ملفات . كل موظفى الوزارة ملفات .. اليس هذا شيئا مضحكا ان تكون فى هذه المقبرة اسرار الوزارة كلها .. هنا لابد ان يكون ملف ابنك .. الشيطان نفسه لا يعرف كيف يستخرجه . مدير الارشيف لا يستطيع ان يستخرج ملفا إلا بعد ايام .

ـ إذن من يستطيع ؟

ـ رجب .. محسوبك رجب .. إيدك على ثلاثين جنيها ..

وتردد الرجل . فظل رجب ثابتا كالجبل واثقا من ان الجنيهات التى طلبها ستصير إليه . واخرج الرجل الحافظة وناوله الثلاثين جنيها وهو مبهور وسال رجب :

ـ تقول إن ابنك كان هنا فى الوزارة قبل ان ينقل

الى الأرياف كاتبا فى حسابات الادخار فى المديرية ؟

ـ اجل .. نقل من هنا فى شعبان ونحن الآن فى ذى الحجة ..

ـ وفى هذه المدة القليلة استطاع ان يختلس .. لابد انه مجرم اصيل ..

واضاف رجب :

ـ فى اية ادارة كان .. ؟

ومد الرجل فى جيبه واخرج ورقة ناولها لرجب وقال :

ـ خذ هذه الورقة .. فيها وظيفته وعمله ..

ونظر رجب فى الورقة فلم يـر شيئا .. فسار حتى اصبح تحت المصباح الكابى واخرج النظارة ومسحها باصابعه ثم بمنديله القذر ثم قال :

ـ محمود حسن عبد الواحد .. هذا اسمه ؟

ونظر رجب فى الورقة وقال :

ـ الوظيفة مساعد فى قسم النقليات ..

ـ هذا كان عمله هنا قبل ان ينقل الى المحلة .

ونظر رجب الى تلال الملفات ، ثم اتجه نحوها وقلب هنا وهناك .. انطلقت اسراب الصراصير تجرى هنا وهناك .. رجب لا يخشى الصراصير .. إنه يزيحها فى رفق . كان يبحث كانه «حاوى» من الرفاعية يستخرج ثعبانا من بيت . بعد نصف ساعة اتجه الى ركن وتناول ملفا وقال :

ـ هنا ملفات النقليات .. بسم الله الرحمن الرحيم .. يامعين .. بعد نصف ساعة اخرى اخذ ملفا وقرأ ..

ـ محمود حسن عبد الواحد .. هذا ملف ابنك ..

ـ الحمد لله .. ما اكرمك يارب ..

ـ ووضع رجب الملف تحت ابطه واشعل سيجارة وقال :

ـ إيدك على ثلاثين جنيها اخرى ..

ـ ليس معى إلا عشرون ..

فقال فى وقاحة :

ـ ارنى المحفظة ..

وناوله المحفظة بكل ما فيها ..

ـ دع لي عشرة جنيهات ابيت بها حتى اعود الى البلد .

فاعطاه رجب عشرة جنيهات والمحفظة الخاوية ودس الباقى فى جيبه وهو يقول :

ـ تصدق بالله .. هذه النقود اجمعها للعمرة .. إنه تقليد فى اسرتنا : نحج مرتين ونعمل ثلاث عمرات .. إلى الآن اتممت الحجتين وعمرتين .. بقيت العمرة الثالثة .. انت عملت الآن عملا يحسب لك حسنه .. وانا ايضا ساعمل لك خدمة إنسانية والناس بعضهم لبعض .. تعال ياحسن انت رجل طيب وربنا يحبك .

وجلس رجب على الأرض تحت النور ، واخذ يتصفح الملف ، ثم نظر الى الرجل وقال :

ـ هذا ملف قاطع طريق .. هذا لا امل فى اصلاحه

ـ فى عرضك ياعم رجب ..

ـ ثلاثة انذارات غياب متكرر بدون إذن وخصم من المرتب ثم هذا الاختلاس المهيب .

ـ فى عرضك ياعم رجب .

ـ امرنا لله .. تعال معى ..

سار رجب والرجل وراءه بالسفط فى يده كانه خادم يسير خلف كاهن عظيم .. اخرج الكاهن حلقة المفاتيح وانتقى منها واحدا وفتح بابا .. هذه غرفة مدير الارشيف ..

جلس رجب على مكتب المدير واضاء مصباح المكتب وفتح الادراج واخرج اختاما واوراقا وقال

ـ ما رايك فى ان نعمل لابنك ملفا جديدا . الترقيع هنا لا ينفع .. سنحتفظ بالغلاف وشهادة الميلاد وامر التوظيف ثم نغير باقى الملف .. علمتنى التجربة أن الترقيع لا ينفع .

وقال الرجل :

ـ ما رايك فى ان نخفى الملف تماما ..؟

ـ يا عبيط .. فى هذه الحالة تدخل ادارة الأرشيف كلها فى سين وجيم ، وتعلق مسالة إبنك حتى يعثروا على الملف الضائع ..

وجعل عم رجب يعمل كانه كيميائى يحضر ادوية .. يطيل النظر فى كل ورقة ثم يمزقها او يعدل فيها .. قد يضع اخرى مكانها .. كان يعمل فى تؤدة وصبر وخبرة ..

مسح كل السيئات . لم يبق فى الملف إنذار واحد ولا لفت نظر ولا جزاء .. مكان كل ورقة وضع رجب ورقة اخرى اخرجها من الادراج وملاها وختمها ومسحها بالتراب لتبدو قديمة . استغرقت العملية اكثر من ساعة حتى نعس الرجل وهو جالس .. ثم اعاد رجب تركيب الملف ورقة ورقة ثم نظر الى الرجل الناعس على الأرض وقال :

ـ اصح يا اخينا ..

وبلهجة فلاحية وصوت اجش من النوم قال الرجل .. :

ـ هاانا صاح ..

وقال الساحر العظيم :

ـ إنت رجل طيب .. اريد ان اكافئك ..

ـ امرك يا عم رجب ..

ـ إيه رايك نعمل مذكرة بطلب مكافاة تشجيعية لابنـــك ؟

وصاح الرجل :

ـ فى عرضك يا عم رجب دع الولد فى حاله .. كفاية كده .. الولد سيرته كالهباب ولو طلبنا له مكافاة سينكشف الموضوع .. ماذا فعلت فى اوراق التحقيق معه ؟

ـ هاهى وجدتها على مكتب مدير الأرشيف واشرت عليها بالحفظ والاكتفاء برد المبلغ وتوجيه لفت نظر ووضعتها فى الملف . وبذلك يكون الموضوع قد نام .

وقال الرجل :

ـ ولكن الناس ينتظرون قرار الوزارة...

ـ اية وزارة يا سيد ؟ .. هذه بوابة بدون بواب .. ها انت ترى : مدير الادارة ذهب للحج ولن يعود قبل شهر ، ووكيل الادارة مريض فى بيته وقد اعطوه اجازة طويلة ، ووكيل الوزارة المساعد ذهب فى مهمة الى الخارج ، للتوقيع على عقود وتجهيز المحروسة ابنته التى ستتزوج إبن الوكيل ، ومدير الأرشيف سيحال الى المعاش بعد شهرين ووكيله ذهب الى الحج مع مديرنا .. هذه دنيا لا يعلم بها إلا خالقها ، فهل فى هذا كله سيفكر احد فى امر ابنك الذى سرق ثلاثة تعريفة .. إذهب انت وقل لهم ان الوزارة تدرس الموضوع وسترسل إليهم القرار ..

ـ ولكن هذا القرار لن يصل ؟

ـ طبعا لن يصل ، وبعد شوية ينسى الناس الموضوع كله ويواصل ابنك العمل كان شيئا لم يحدث .. هذه طريقتى فى معالجة هذه المسائل..

ثم سكت قليلا وذهب الى المكتب وجلس إليه وكتب شيئا فى ورقة وناولها للرجل وقال :

ـ خذ . قل لهم هذه هى تاشيرة الوكيل نقلها لك واحد كبير هنالك من واقع الملف . إنها تقول حرفيا (يقرأ) بعد الاطلاع على التحقيق تقرر أن يكتفى برد المبلغ وتوجيه لفت نظر للمذكور ) الامضاء : وكيل الوزارة .

وناول الورقة للرجل وقال :

ـ تصدق بالله ياشيخ حسن .. ما فى هذه الوزارة إلا العبد لله . كل شيء اعمله بدقة واحكام ولو كان معك مائة جنيه لعملت قرار ترقية .

ثم اعاد النظر الى الملف وجمع كل ما نزع منه من اوراق وناولها للرجل وقال :

ـ هذه تحرقها .

ثم اخذ الملف ومسحه بالأرض ليبدو وكانه يدا لم تلمسه من شهور ، ووضعه حيث كان وقال :

ـ يالله يا صراصير الأرشيف .. شوفو شغلكم ..

ومضى والسفط فى يده والرجل خلفه . قبل ان يخرج تاكد من انه لم ينس ورقة او ترك اثرا واطفا الأنوار كلها ثم اغلق الباب بالمفتاح وصعدا الى ظاهر الأرض وخرجا الى الشارع .

وقال الرجل :

ـ يعنى .. اطمئن ياعم رجب .. ؟

عيب يا رجل .. معك كل ما يمحو اى اثر لما فعل إبنك وعندك تاشيرة وكيل وزارة تساوى الف جنيه ...

واشعل سيجارة ثم مضى يقول :

ـ اسمع ياشيخ حسن بعد ان نفترق الآن لا انا اعرفك ولا انت تعرفنى . إياك ان تقول لأحد انك رايتنى أو عرفتنى . إذا سالوك هناك فقل ان رجلا من مكتب الوكيل هو الذى اطلعك على قرار الوكيل ونقله لك على هذه الورقة ليطمئن قلبك حتى يصل القرار رسميا الى المحلة.

انت لا تعرف اسم هذا الرجل . وإذا سالونى عنك فانا لم ارك فى حياتى ولا عرفتك .. بهذا وحده تنجح المسالة .. حذار ان تفتح فمك الكبير هذا وتقول شيئا .. فهمت ؟

ـ نعم فهمت ..

ـ ماذا فهمت ؟

ـ إنك صاحب فضل وربنا يعمر بيتك ..

ـ وانت ربنا يخرب بيتك .. الم اقل انك حمار ؟ حمار ..! يابنى آدم قلت لك إننى لا اعرفك ولا تعرفنى انت لم ترنى وانا لم ارك .. فهمت ..؟

ـ ايوه .. الآن فهمت .

ـ ذنبك على جانبك .. لقد حذرتك

ـ ربنا يستر ..

ـ خليها على الله ..

وسلم الرجل واراد ان ينصرف . ولكن رجب ناداه وقال :

ـ الا نصلى المغرب يا رجل ؟ لقد وجبت من دقائق . ان المغرب جوهرة يلتقطها من يصليها فى وقتها ، تعال نلتقطها قبل ان تفوت .. وسار الاثنان على مهل نحو الجامع ..

رجب يحمل السفط فى جيبه والرجل منكسر ذليل يسير خلفه خالي اليدين والجيب ودخلا المسجد ووقفا فى الصف خلف الامام .

مواقف ثقافية



# الوفاء لذاكرتنا

يقول شيخي المجذوب ، متعه الله براحة البال ويسر الحال والعافية .. يقول ما يفيد بأن القديم وحده لايجدى ، والمحدث وحده لاخير منه ، وجماع ما يختزنه المفكر من اصالة ، وما يحققه لنفسه من معرفة تتصل بعصره هو ما ينجز إضافة ثقافية جديرة باعتبارنا .

إن رؤوس الفكر لايمكن تكرارها ، ولكن استدعاءها ممكن ، والتشبع بالثابت والمتحول من رؤاها ميسر ، وتجاوزها ضرورة ، حتى يتم تمكين جدوى اتصالنا بها . ومعرفتنا لها ، ونمونا بدءا منها نحو شمس اقدار بكر .

إن الحساسية الثقافية المعبرة عن زماننا هى تلك المشبعة بعلم هذا العصر دون اغفال لقضايا هذا الزمان ومشاغل ومتاعب وافراح ونضال انسان هذا العصر ، وزمانها فى أوطاننا زمان تحول كبير فى الاخلاق والعلاقات ، وتبدل فى نوعية المشاعر والافكار والقيم . لايفيدها كثيرا أن تكرر الماضى ، ولايحسن بها أن تتابط عصا التقليد الأعمى المنقول عن آخرين . يومها هو يوم كريهة الابداع ووحشة منفى الايمان بضرورة تغيير وجه الحياة لتنبيه الغافلين عن قيم الانسان والحياة .

إن الموقف الأصيل تجاه الموروث الانسانى يؤكد أن الشجرة الحصيفة لاتنحنى لالتقاط ما سقط عنها من أوراق بل تعتمد الجذور المخصبة الحية لتنبت فى وفاق مع الشمس والموسم والرياح المخصبة ما يجلوها مثمرة .. معطاءه .

لقد فتح علم الوراثة والابحاث الجارية فيه الآن بابا علينا أن نتدبر انطلاقا منه موقفنا من مسالة التراث والتقليد الفكريين العربيين .

فالموقف الفكرى العربى فى بداياته المشرقة قد اتسم بتفهمه العميق للحوار والأخذ والعطاء وفق منطلقاته السمحة . وكان سريع التعرف على ما يغذى قناعاته ـ جذوره فافاد من علوم نشات فى غير تربته ، ولقح علوما ومعارف زكت فى وعى غير اهله ، وأثمر علوما تغذت بها جذور القدرات الفكرية والعلمية عند غيره .

ولذا فان البحث عن الهوية الفكرية والثقافية لابداعنا لم يعد مجديا فى منطلق الحفاظ على ما تم انجازه ، أو من اندفاع نحو هجره ونبذه ، والانحياز لشكل أو آخر من ذلك الكم الهائل مما يغتر بعضنا بابرازه كنتاج انسانى رائع لانكتم فرحنا به لاتصاله بعصر الطاقة الكبرى وثورة المواصلات والسيبرنتيك والانطلاقة غير المحدودة عبر الأكوان لمعرفة أصل الوجود الفلزى والجينى للعالم .

طويل مدخلي الى ما أريد الاشارة العابرة اليه : أزمة التوزع بين الاصالة والتجديد .. والبحث عن مهارة ابداعية تفضي بنا الى تجويد ما يلتزمه المثقف العربى فى الخمس الأخير من القرن العشرين ميلاديا .

لقد استبد بنا هوس احياء التراث دون أن نجتهد قليلا فى الاشارة الى استحالة ذلك .لايمكن لفعل خارجي أرادي ان يسترد ما لم يفقد !

ان وجودنا الآنى هو ثمرة ذلك التراث الذى نبغى احياءه .. هو تلك الشجرة : التراث .

ربما لم يرضنا ما صافح أعيننا حين نظرنا ملامحنا ودواخلنا فى مرآة العصر .. أى عصر التكنولوچية كما يقول المتكسبون من وراء نقلها الى العالم الثالث ، ربما نسينا أن هذه النعمة ـ الآفة الحديثة هى نتاج دهور من الصراع والاستغلال والاستلاب مارسها جزء معين من العالم ضد بقية شعوب وحضارات العالم .

وهذه الحقيقة نفسها تنطوى على كوننا شاركنا ـ ايجابا وسلبا ـ فى صنع العالم الحديث بكل ما يفاخر به غيرنا من انجاز فى مختلف المجالات . وان كنا ننكر بعض قواعد ومظاهر ما انتهى اليه ذلك الانجاز فذلك لأننا ـ دون وعى بصير ـ نحس بأن البناء الفوقى والأثر النهائى لمردود ذلك الانجاز لايمتان الينا بصلة ، وأن عصارته فى التحليل الأخير لاتحمل لشعيرات جذورنا الرحيق الذى يغذى شوقها الى الشمس والمُح الطيب .

وان كنا نبرمج لتحديث عوالمنا للتكيف مع طفرة التقدم فى هذا المجال لكى لانوصم بأننا غير متمدينين ، فذلك لن يعفينا من الانتباه الى ذاكرتنا وذاكرة خصائصنا ، وذاكرة الأشياء فينا .

ان احياء الذاكرة والانجذاب نحو بؤرة حقيقة تكويننا هو ما ينبغى أن نستهلك أوقاتنا فيه للوفاء لأنفسنا بحقها فى فسحة من النقاء فى زمن التلوث الحضارى المعاصر وضروب استهلاكه الفارغة .

نعمان عاشور

# لقاء مع
# محمد مندور
# القلم المناضل

## زَهِدَ مندور في الحياة الأكاديمية الجامعية بعد أن جذبته الحياة العامة والكتابة الصحفية

بعد حصولى على شهادة البكالوريا وهى مايعادل حاليا فى شهادات التعليم عندنا ما يسمونه بالثانوية العامة .. صمم والدى رجمه الله أن يدخلنى كلية الحقوق .. وبالفعل صحبنى للقاهرة وقدمت اوراقى لالتحق بها وادرس القانون وأمضيت بضعة اسابيع فى الحقوق كانت من اتعس أيام حياتى التعليمية .. ولانى كنت اقيم بالقاهرة وحدى واقطن حى الجيزة مع بعض التلاميذ من أبناء بلدنا .. أتيح لى أن احتك بالعديد من العاملين بالجامعة .. جامعة فؤاد .. وكانت هى الجامعة الوحيدة فى القطر كله .. وذات مساء جلست احتسى الشاى على الرصيف الواسع لقهوة عبدالله الشهيرة .. وكان يجاورنى مسجل كلية الاداب الذى يقطن فى نفس الشارع الذى يقع فيه مسكننا .. وكنت قد لقيته أكثر من مرة وأنا أشترى حاجياتى من البقال وكان يعرف انني من طلبة الجامعة الجدد ولكنه لايدرى اننى فى كلية الحقوق .. أيامها كان عددنا قليل جدا .. لايتجاوز مائة طالب جديد فى كل كلية .. ويبدو أن الرجل لاحظ على الوجوم والحزن وانني افرط فى التدخين .. واقترب منى ولكنه لم يحاول أن يسألنى عن كليتى وانما عن البلد الذى أتيت منه فقد كان من الواضح انني لست من ابناء القاهرة .. واتضح انني جئت من بلد قريب لقريته وانه يعرف عمى وبعض أقاربى وفى الحال ربطتنا صداقة مفاجئة .. كان من نتيجتها أنه راح يستشف سبب حزنى ووجومى وسر تعاستى .

### الظل الوارف لطه حسين

كانت المفاجأة الاولى حين عرفت أنه مسجل كلية الاداب .. والمفاجأة الثانية أنه من اقرب المقربين للعميد الدكتور طه حسين وفى الحال صارحته بما اعانيه فقد أجبرنى والدى على دخول كلية الحقوق ودفع لى المصاريف وسجلت واصبحت طالبا فيها . ولكنى لاأطيق الجلوس الى مقاعدها والاستماع لمحاضرات الاستاذة فيها .. فأنا لست صاحب عقلية قانونية وحياتى وكل امالى معلقة بدخول كلية الاداب .. واخذ الرجل اسمى بالكامل والصف الدراسى الذى ألحقت به فى كلية الحقوق وطلب أن القاه غدا مباشرة فى كلية الآداب .. هرولت فى صباح اليوم التالى مسرعا الى مكتبه فوجدته فى انتظارى .. وكان قد اجرى اتصالا هاتفيا مع زميله مسجل كلية الحقوق وحدثه عنى وعن حالتى . وحصل منه على الدرجات التى نلتها فى العلوم المختلفة فى شهادة البكالوريا .. واخبرنى أنها تتناسب مع وجودى أو على الاصح الحاقى مباشرة بكلية الاداب خاصة بالنسبة الى درجات اللغات والفلسفة والتاريخ .. واذن فليس هناك عقبة وأن فى امكانه تحويلى للآداب لكنه لايستطيع الا اذا حصلنا على موافقة والدى .. واسقط فى يدى فخاب أملى من جديد ولكنى لم أيأس فأفهمته بأننى ساقدم على تحويل أوراقى ثم اخطر والدى فأنا لست صغيرا وهذا هو مستقبلى .. واذكر اننى بكيت .. كان الرجل فى غاية الطيبة والسماحة فربت على كتفى فى حنان وقال انه سيتحمل المسئولية امام والدى مستعينا بعمى الذى يعرفه والذى كان زميلا وصديقا له فى الدراسة الابتدائية بمدرسة بلدنا .. ثم تركنى الى الغرفة المجاورة ولكنه لم يغب طويلا وسرعان ما عاد وأخذنى من يدى فاذا أنا وجها لوجه داخل الغرفة التى يتصدرها مكتب العميد .. الدكتور طه حسين يسألنى لماذا أريد أن التحق بكلية الاداب وماهى الكتب التى قرأتها من كتب الادب كانت مباغتة مذهلة .. ولكنى لم اتلعثم فلما انهيت إجابتى قال طه حسين كلمته الحاسمة التى قالها والتى لم أنسها طوال عمرى .. يقبل فورا بين طلبة الكلية .

### نصيحة مندور

على ضوء هذا الاستطراد أدخل بكم الى لقائى بمندور . ففى العام الثانى مباشرة من التحاقى بالآداب كان المرحوم الدكتور مندور أو الاستاذ محمد مندور لأنه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. كان يدرس لنا الترجمة من الانجليزية الى العربية وقد اختار لذلك المرتبة الشهيرة للشاعر جراى وكنت انا كثير الكلام وكثير الشغب .. فلما انتهت الحصة استبقاني أمام المنصة لينصحنى لا بأن أكون اكثر هدوءا ولا بأن اكون اكثر طوعا .. ولكن بأن اسارع الى ترك كلية الآداب والالتحاق بكلية الحقوق لأنني اصلح أن أكون محاميا ولايمكن أن أصبح مفكرا أو أديبا . ذكرته بذلك بعدها بسنوات فضحك ساخرا وكشف لى سبب نصيحته فقد كان هو نفسه طالبا بالحقوق وقد ارسل فى بعثة لدراسة القانون وحصل على شهادة تبيح له امتهان المحاماة .. ولكنه وبفضل طه حسين أيضا مدت له البعثة فى باريس بعد لندن لدراسة الاداب .. غير أن وقوع الحرب العالمية الثانية اضطره للعودة الى مصروقطع البعثة هو وعدد لابأس به من المبعوثين كان بينهم .. الدكتور على حافظ والدكتور محمد القصاص وغيرهما .. وكانوا مجموعة من الشبان الجدد أحدث الحاقهم كمعيدين بكلية الآداب بضغط من طه حسين وفى مقابل أجر بالحصة اذ لم تكن خصصت لهم درجات فى ميزانية الجامعة .. أحدث دوياكبيرافى الدوائر الادارية بالجامعة .. فعاشوا فى



محمد مندور

سنواتهم الاولى اقرب الى الطلبة منهم الى الاساتذة واندمجوا بالفعل فى الحياة الطلابية سيما وانهم كانوا يعيشون معنا فى نفس المساكن والحجرات بحى الدقى والجيزة .

## صديق واستاذ

وهكذا عرفت مندور صديقا اكثر منه استاذا .. وكان مندور هو الوحيد بينهم الذى لم تسعفه الاقامة فى باريس للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب .. ذات مساء فوجئت به يجلس بيننا فى مقهى عبدالله بالجيزة وتناول معنا عشاءه من سندويتش الفول والطعمية .. ثم يدعونا انا والصديق الراحل انور المعداوى لزيارته فى منزله . وكان قد وقع على شقة فى الدور الأول بعمارة جديدة على الشارع الرئيسى الذى يسير فيه الترام بجوار حديقة الحيوان .. كان ايجارها ثلاثة جنيهات ولكنها تقع فى المنطقة الارستقراطية من الحى .. ولم يكن مندور يكبرنا الا بسنوات قليلة أو هكذا كان يبدو لنا بشخصيته وبساطته وكأنه زميل وليس استاذا يدرس لنا فى الجامعة بل اكثر من ذلك اننى كنت دائما وفى هذه السنوات الباكرة التى عرفته فيها استغرب أن يكون قد عاش فى لندن وباريس .. وهو على ما هو عليه ريفى كأنه لم يخرج من القرية التى ولد فيها بالشرقية وكنت استغرب حين اسمعه يتحدث بالانجليزية أو الفرنسية لأنه كان ينطقها بلهجة فلاح أصيل .. وكأنه تعلمها فى كتاب القرية ولم يدرسها فى أكسفورد أو السوربون .

## الشعر المهموس

شىء آخر عن مندور فى تلك الفترة .. انه كان يحب المناقشة وكثرة الحوار كما لو كان يريد أن يعرف ما فاته معرفتة من خبايا حياتنا الثقافية والاجتماعية اثناء غيابه فى

**بدأ نشاطه الأدبى فى مجلتى الرسالة والثقافة. ثم شغف بدراسة الشعر المهجرى.. وله فى ذلك كتاب "الشعر المهموس" الذى أحدث دويًا فى حينه**

الخارج بوصفنا أكثر منه احتكاكا بالبيئة .. وفى تلك الفترة ما بين أعوام ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ ورغم الاحكام العرفية واستمرار الحرب العالمية .. بدأت تظهر فى مصر دعوات عصرية جديدة وجريئة تتبلور فى جماعات مختلفة تنادي جميعها بالاشتراكية وكان مندور منصرفا أيامها لدراساته الأدبية واستقراره العائلى فتزوج وانتقل ليقطن فى حى الروضة .. لكنه لم يبتعد أبدا عن الكلف والاهتمام بكل ماتفيض به حياتنا الفكرية والثقافية من تيارات .. بدأ أولا بنشاطه الادبى فى مجلتى (الرسالة) و(الثقافة) يكتب العديد من المقالات ثم شغف بدراسة الشعر المهجرى فكانت النتيجة أن نشر عنه كتابة الشهير (الشعر المهموس) الذى أحدث دويا غير منكور فى الاوساط الادبية حينذاك فلفت اليه الانظار كناقد مجدد خلاق .

## الكتابة الصحفية

زهد مندور فى الحياة الأكاديمية الجامعية بعد سنوات قليلة وشجعه نجاحه فى الكتابة بالصحف والمجلات ونشره لاكثر من مؤلف وكتاب ان يحاول الانفصال عن الجامعة والاشتغال بالحياة العامة والكتابة الصحفية . ولكن عقدته أنه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. ولذلك ظل ملتصقا بالجامعة حتى اجيزت رسالته فى الدكتوراه عن ( الجرجانى ) باشراف استاذه طه حسين ... بعدها كان من السهل على مندور أن يترك الجامعة غير نادم وغير آسف وجاء ذلك نتيجة لانغماره فى الحياة العامة وتأثره بالتيار الاشتراكى القوى الذى غير الحياة الثقافية على نهاية الحرب العالمية الثانية .

## عن الاصلاح الاجتماعى

ولذلك لم يكن غريبا ان يحل عام ١٩٤٥ ومندور يرأس تحرير جريدة (صوت الأمة) المعبرة عن حزب الوفد ... ويصبح فى نفس الوقت على رأس الجناح السياسى التقدمى الذى برز داخل الوفد . انشغل مندور تماما بالنشاط السياسى والعمل الصحفى وهجر الكتابة الادبية والنقدية ... ونجح فى الكتابة السياسية نجاحا غير مسبوق . كان الوفد بعيدا عن الحكم وقد اشتد الصراع بينه وبين السراى والانجليز ... وبدأ النشاط الثقافى الذى يغمر الحياة العامة فى القاهرة وكانت تضم أيامها عشرات الروابط والاندية الثقافية بدأ يتحول الى نشاط سياسى يطالب بجلاء الانجليز بعد اقرار السلام وانتهاء الحرب ويدعو الى الاصلاح الاجتماعى وهى دعوة كانت تلتف كلها حول الأخذ بمبادىء الاشتراكية ... واحتضن حزب الوفد هذه الدعوة وكان مندور يبلورها فى كتاباته السياسية الواضحة وبأسلوب متطور يعتبر ابسط وأرشق الاساليب فى الكتابة السياسية على حد ما وصفه يوما يحيى حقى . وهكذا أتسعت دائرة شهرته ومكانته حتى أن باعة الصحف انفسهم كانوا ينادون عليها فى كل مكان بهذا النداء المثير ... (الدكتور مندور) اقرأ مقال الدكتور مندور بدون ذكر اسم الجريدة التى يكتب فيها المقال ومن المؤسف ان هذه المقالات الرائعة التى طرق فيها مندور معظم القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تجمع حتى الآن رغم أهميتها وقيمتها ورغم أن معظم هذه القضايا لاتزال تكون الاساس الفعلى لكثير من المشاكل التى لاتزال معلقة فى حياتنا العامة الى اليوم وأخصها قضية الحرية والديمقراطية والاصلاح الاجتماعى فضلا عن القضية العربية الكبرى ... قضية فلسطين ... اصبح مندور من هذه الفترة يعرف بأنه وفدى ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك وكان دائما يشكو من أن تلصق به هذه الحزبية لانه كان يؤكد دائما ( أنا اشتراكى ومع الاغلبية ولان الاغلبية مع الوفد ... فأنا وفدى بهذه الصفة فقط ) ... وبتلك العبارات دافع مندور عن نفسه حين حاولوا استبعاده عن الكتابة بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ واعتبروه مع رجالات الاحزاب البائدة المحرمة

## السياسى الأديب

زاد التصاقى بمندور فى تلك الفترة لأننى كنت قد انغمست فى الكفاح السياسى

شأن كل المثقفين واقف مع الجبهة التى تنادى بالاشتراكية وذات ليلة وكان ذلك عام ١٩٤٥ اشتاق مندور الى جلسة أدبية فاذا به يهل علينا ونحن جلوس فى المقهى العتيد (قهوة عبد الله) وكانت جلسة استمرت حتى الصباح تقريبا ... أيامها كنت أكتب فى مجلة (الفجر الجديد) سلسلة مقالات محاولا تفسير أدبنا الحديث على ضوء جديد يكشف عما فيه من مضمون تقدمى . وهذه المقالات استرعت نظر مندور فما كان منه الا أن دعانى للكتابة فى (صوت الأمة) ... ولما صودرت مجلة ( الفجر الجديد ) احتضن مندور كتابها وأنا منهم ...كانت جريدة ( صوت الأمة ) تصدر فى ورقتين من ثمان صفحات فبدأت انشر فى صفحاتها الاخيرة المخصصة للكتابة الأدبية والثقافية بعض قصصى القصيرة ثم تلوتها بتلخيصات لعديد من الروايات العالمية

## فى غياهب السجن

فى عام ١٩٤٦ كان الصراع السياسى فى مصر بلغ اشده فانفجرت الهبات السياسية داخل الجامعة وتكونت لأول مرة مايسمى بالجبهة الوطنية للعمال والطلبة وقامت الاضرابات فى المصانع واعقبتها المظاهرات فى الجامعة ... وكلها كانت تطالب بما جاءت تطالب به بعد ذلك وتحاول تحقيقه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إنهاء الاحتلال الانجليزى وتحقيق العدالة الاجتماعية وهكذا وقعت مذبحة كوبرى عباس الشهيرة وتولى صدقى باشا الوزارة وبضربة واحدة اغلق كافة الصحف المعارضة وأولها (صوت الأمة) وقضى على جميع الهيئات والروابط والجمعيات الثقافية ثم القى القبض على أكثر من مائتى كاتب ومفكر وصحفى منهم بالطبع مندور وسلامه موسى وزكى عبد القادر ... وكنت من بين المقبوض عليهم، اودع أغلبنا فى سجن (قرميدان) فى ساحة القلعة .. كانت حملة غريبة ومريبة للقضاء على الحركة الوطنية والحركة الثقافية التى تساندها وتدعمها فكريا ... وكان المقصود بها لامجرد تكميم الافواه وانما الغاء الدستور والتفاهم مع الانجليز وتشتيت الوحدة التى اخذت تتكون بين الطلبة والعمال ولكننا سرعان ما خرجنا من السجون بعد اسابيع قليلة بفضل رجال


احمد حسن الزيات


ارثر اميللر


نجيب محفوظ

العدالة وتمسك القضاء نفسه بما تتيحه القوانين من ضمانات للحرية .

## مندور محاميا

خرج مندور مرفوع الرأس ليتولى رئاسة تحرير جريدة (الوفد المصرى) التى حلت محل صوت الأمة الملغاة .. وعدنا لنكتب فيها ولنوسع من دائرة العناية بالثقافة لدرجة إصدار مجلة تابعة للجريدة،للقصة القصيرة والشعر .. لكنها جميعا لم تستمر لاكثر من عام ثم اغلقت بأمر عسكرى نتيجة لاعادة فرض الاحكام العرفية على البلاد بعد الهبة الجارفة التى قامت فى الجامعة وقتل فيها الكثيرون فيما عرف بمعركة (كوبرى عباس) بعدها دب الخلاف فى داخل حزب الوفد وانقسم الى جناحين تزعم مندور الجانب اليسارى هو والشاعر المحامى المرحوم عزيز فهمى وخرج على القيادة الوفدية التى اخذت تسعى الى التفاهم مع السراى وأحزاب الأقلية ... وبدأت محاربة مندور فى رزقه فحرموا عليه العودة الى الجامعة ومنعوه من الاشتغال بالصحافة .. وكان مندور كما قلت قد عاد من الخارج وهو يحمل شهادة فى القانون تؤهله لأن يكون محاميا . ولذلك سرعان ما فتح مكتبا واشتغل محاميا ... لكنه لم يوفق فى هذه المهنة الجديدة فعاد الى الكتابة الأدبية والنقد وأيامها أخرج العديد من الدراسات عن شعر شوقى والبارودى ومسرحيات عزيز اباظة وغيرها ... كانت سنوات قاسية انحصر خلالها نشاط مندور على ما كان يستطيع نشره من بحوث ومقالات نقدية وأدبية ... وطال به الحال على هذا الوضع حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وأخذت منه فى البداية موقفا برغم أنه من رجالات عهد الأحزاب ومن أشياع النظام البائد .

## النقد المسرحى

كانت لطمة قوية ولكنها لم تقعد الرجل عن الكتابة ... إذ أن مندور يتميز الى جانب الصلابة والعناد برحابة الأفق .. وفى هذه الفترة راحت تتفتح طاقاته النقدية المستمدة من ماضيه الثقافى وسعة إطلاعه وكثرة قراءاته .. وسمح له بالكتابة فى المجلات الأدبية ، وشيئا فشيئا أخذت مقالاته تتفتح عن اتجاهات جديدة فى تفسير الأدب وملاحقة الانتاج الأدبى الذى واكب ثورة ١٩٥٢ من بدايتها فلما قامت الحركة المسرحية الجديدة التى ازدهرت فى أواخر الخمسينات ظهر مندور على رأس الحركة النقدية المساندة للنهوض المسرحى .. وكان من نتيجتها انه قام بالتدريس فى معهد الفنون المسرحية .. واصبح من الأعضاء الدائمين فى اللجان المسرحية واحتضنت وزارة الثقافة جهود مندور فى الكثير من نشاطها الثقافى لكن النظرة اليه كواحد من رجالات الاحزاب السياسية القديمة المنحلة ظلت عالقة به حتى عام ١٩٦٠ حين انضم الى هيئة تحرير جريدة الجمهورية ليصبح واحدا من كتابها الأدباء ... لأنه كان قد هجر الكتابة السياسية نهائيا

## النقد « فن خالص »

وطبيعى أن التحمت بمندور فى هذه الفترة كما لم التحم به من قبل إذ كنت بدأت الكتابة للمسرح وكان هو أول المشجعين لي

والمدافعين عنى ... كنا نلتقى دائما وقد تعودنا فى أغلب الأمسيات أن نتعشى معا فى مطاعم الكباب المشوى . وذات ليلة وبعد أكلة دسمة صعدنا بسيارته الى ربوة الهرم . وجلسنا على حافة مرتفع من نتوءاتها تطل على القاهرة وراح يبدى عجبه من القدر الذى جعلنى أكتب للمسرح .. وكيف فكرت فى ذلك ؟ لم يكن ينكر علي موهبتى فى الكتابة وقدرتى على الترجمة واجادتى للقصة .. لكن ماالذى جعلنى استبق التيار الأدبى والكتب المسرحية .. ثم انفرد بالكتابة وحدى لعدة سنوات .. ولم استغرب الاسئلة المتلاحقة . ولكنى ذكرته بتمثيلياتى الاذاعية التى كان كثيرا ما يعجب بالاستماع اليها . غير انه لم يقتنع إلا بعد أن أخبرته أن الكتابة للمسرح جاءتنى بغته بعد اقتناعى بأن الكتابة الاذاعية مجهود ضائع فى الهواء . وشجعنى عليها ايمانى بالكلمة المكتوبة الثابتة وما اكتشفته فى نفسى من موهبة درامية كامنة ... وذات مرة كان يناقشنى فى حلقة من حلقات البرنامج الثانى فى الاذاعة عن مسرحيتى (الناس اللى فوق) وحاولت أن أرد على بعض ملاحظاته .. فأسكتنى (اسمع .. ارجوك .. أنت أخيب واحد فى الدفاع عن اعمالك لأنك لاتدرى قيمتها .. اتركنى افسر لك ما أمدتك به موهبتك ) .. ولم اغضب لهذا الردع لأنى كنت اثق دائما فى سلامة تقديره وحسن نواياه .. فالرجل كان دائما موضوعى النظرة ويرعى الانتاج الأدبى الذى يتصدى لنقده بحرص كبير وكان دائما ما يردد ( أن النقد الحقيقى فن خالص ولذلك فلابد للناقد ان يكون صادقا لأن النقد خلق مكمل للانتاج الفنى .. )

## وفاء مندور

كان من المحال أن أحاول الوقوف فى وجه هذا العنف فلم اسع للبحث عن عمل وقبعت فى البيت .. كانت الفترة عصيبة وهناك صراع حاد بين قيادات الثورة .. وكنت انا وغيرى من ضحاياه .. وانفض عنى الكثير من الصق الأصدقاء بل ومن اقرب الأقارب خوفا من أن ينالهم الأضطهاد .. ماعدا رجلين اثنين الصديق الصادق الكبير نجيب محفوظ و محمد مندور .اتصل بى نجيب محفوظ تليفونيا بالمنزل من مكتبه فى الوزارة وكنت ازامله فى الوظيفة وراح .. يشجعنى على التماسك ويطلب الي برقته المعهودة أن اسمح له بزيارتى ليرى كيف يمكن مساعدتى وطمأننى على أنها زوبعة فى فنجان وأنها صادرة عن وشاية حقيرة ضدى . وبعد يوم واحد فتحت الباب لسائق سيارة مندور وكنا نطلق عليه لقب (السنى) واعطانى خطاب مرسل من الدكتور مندور وطلب الي أن افتحه فاذا بداخله شيك موقع من مندور وقال السنى ان الدكتور يرجونى أن اقبله واسحب به المبلغ الذى احتاجه من حسابه .. فلما سألته عن الدكتور قال انه ينتظر فى الشارع تحت داخل السيارة .. وهرولت مسرعا ووراءى السنى لأجد الدكتور مندور يعتذر عن استحالة الصعود الى سكنى لأنى اقطن فى الدور الخامس .. ولكنه خرج من السيارة واقبل علي يحتضننى ويقبلنى فى حب ولهفة وعيونه تغمرها الدموع . وعبثا حاولت أن افهمه اننى والحمد لله لا أحتاج لمال .. ورحت اشكره وأنا أرجوه أن يأخذ الشيك .. وبعد مشادة طويلة أخذه ومزقه وهو يرجونى أن أواجه المحنة فى صلابة لأنى أكبر كثيرا منهم جميعا .

## الرعايـــة الأدبية

أما أنا شخصيا فلم آخذ المسألة على هذه الصورة المأساوية التى طافت بخيال نجيب محفوظ وسيطرت على وهم مندور فلم أكن وحدى الذى تعرضت أيامها لهذا الموقف . وإنما الذى اثار سخط مندور وشغل فكر نجيب محفوظ الخوف من أن اصاب بصدمة وان امتنع عن الكتابة للمسرح ...إذ كان مندور يعتبر نفسه دائما حارسا للمسار الأدبى . وبعد شهور التقيت بمسئول كبير اعتذر لى عما وقع وطلب الي أن اقبل العمل فى جريدة الجمهورية بمرتب يفوق مرتبى فى الوزارة أكثر من ضعفه .. ولكن بشرط ألا أوقع بامضائى على ما أكتب إلا بعد فترة حددها بستة شهور واستمرت أكثر من عام ... وذهبت الى مندور استشيره فنصحنى بالقبول . وأنهم لابد سيضطروا فى النهاية الى الافادة من اسمى الأدبى وشهرتى الكتابية ...

## محاولة كسب مندور

الشىء الغريب بعدها مباشرة أن تطلب الي هيئة الاشراف على جريدة الجمهورية أن احاول اقناع مندور بحكم ما عرف عن صلتى به وصداقتى له بأن ينضم الى هيئة تحرير الجريدة ... ولم يكن فى ذلك أدنى تناقض لأن ما حدث كان نتيجة لما أسفر عنه صراع القيادة الحاكمة على السلطة .. وتغلب الجناح الذى يقوده عبد الناصر من أجل تحويل الثورة الى مسار جديد للأخذ بمبادىء الاشتراكية واصبح مندور استاذى وصديقى وزميلى فى العمل . وتقبل مندور وضعه الجديد بصدر رحب برغم انهم حددوا له مساحة صغيرة ليكتب فيها لا تتناسب مع مكانته واستاذيته ... وكان مندور أيامها يعانى من قلة الدخل والاعتماد على العمل بالقطعة أو بالمكافأة سواء فى معهد التمثيل أو فى الاذاعة أو فيما يكتب فى المجلات من مقالات نقد ... وباع سيارته واندفع فى محاولة الحصول على دخل يكفل له متابعة نشاطه ورعاية اسرته .

## صريع العنت والأرهاق

وقد اخذ عليه الكثيرون ايامها ان كان يقبل كافة ما يعرض عليه من أعمال ويكتب فى كل مجال ... ولكن الحقيقة انهم كانوا لا يعرفون من دخائله ما كنت اعرفه . فالرجل وفى مثل هذا العمر المتقدم كان يعيش من قلمه ورغم ما قرر له مرتب ثابت فى جريدة الجمهورية إلا انه كان مرتبا ضئيلا لا يكفيه وهو قد خرج من الجامعة منذ سنوات بعيدة دون أدنى معاش . ولعل هذا كان السبب فيما اصابه من ارهاق مبكر أدى الى وفاته وهو لا يتجاوز الثامنة والخمسين ... تاركا الى جانب ما صدر له من كتب العديد من البحوث والدراسات والمقالات التى لا يدركها الحصر وتحتاج الى من يجمع شتاتها كرصيد من أقوم وأدق وأعمق ما صدر فى حياتنا من كتابات على مدى أكثر من ربع قرن .. لقد عاش مندور الى نهاية عمره ورغم ما أثاره حوله من عداوات من جانب اعدائه السياسيين وغير السياسيين من أثبت من حملوا القلم فى عصرنا دفاعا عن الحرية والسياسية والعدالة الاجتماعية والقيم الأدبية والفنية الجادة القائمة على الالتزام برسالة الأدب والفن والفكر كأعظم المقومات لبناء الانسان العربى .

نعمان عاشور

كمال عمّار

# مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الوجودية



طوي الجريدة وقال لى تصور ؟ مات سارتر ! .. فقلت وما بالك مبهوت ، كلنا سنموت ، فقال .. كان فيلسوفا من النوع الثقيل ، فقلت لايستعصى على عزرائيل ، فقال رحمة الله عليه ، فقلت اذا كان يؤمن به ، فقال لقد لعب دورا خطيرا فى حياتى ، وجعلنى أحقق ذاتى ، وأوقعنى ذلك فى حكايات عجيبة ، ومواقف غريبة ، فهل تريد أن تسمع ، أولديك ما يمنع ، فقلت له كلا ، وعلى الاقل نتسلى ، فقال : عرفت سارتر ربع قرن ، وكنت وقتها ملطوشا بداء الفن ، وقد ملكت الوجودية على أمرى ، سنينا من عمرى ، خاصمت فيها الحلاق ، ولبست بنطلونا متلصقا بالساق و صار خميس مدكور معبودى ، باعتباره أشهر وجودى ، بل هو الداعية الأول ، لهذا المذهب المبجل ، حببنى فيه ، وشدنى الى خوافيه ، ووجدتنى فى العام الخامس والخمسين ، من جملة الوجوديين ، منخرطا فى زمرتهم ومرتبطا بعقيدتهم ، بل كنت ملكيا اكثر من الملك ، وفلسفيا من النوع المنهمك وأهملت دراستى ، واصطدمت بأسرتى ، ولكنى وقفت كالطود ، وقلت لامفر ولاعود ، فقد من الله علينا بالوجودية ، وأكرمنا بالانتساب للسارتريه ، ولما منع أبى عنى المصروف ، تصرفت كما ينبغى لفيلسوف ، وأعلنته أنه ابى التقليدى وقيدى الحديدى ، وأنخلعت عن أبوة الاجبار وانصرفت الى سارتر أبى بالاختيار ، وصرت لاأجد نفسى ، إلا فى المركز الثقافى الفرنسى ، اذهب اليه كل يوم ، محاولا الالتصاق بالقوم وأشم فيهم ريح سارتر ، ناشدا فيهم لين المعشر ، ولكن القوم ازوروا عنى بلباقة ، ولم يمدوا جسور الصداقة ، ومعهم حق وألف آه ، فأنا لاأعرف من لغتهم إلا بوركواه ، .معناها ماذا أوشىء قريب من هذا ، فلما رأيت انصرافهم ، أردت إيلافهم ، فلأعش كما يعيشون ، وأصنع ما يصنعون ، فأدمنت الكونياك ، حتى أشرفت على الهلاك ، ودخنت الجلواز باعتبارها نوعا من الامتياز ، بل واحضرت بعض الضفادع من الترعة ، وسلخت واحدة بسرعة ، تمهيدا لأكلها محمرة ، كما يفعل الباريسيون العباقرة و ولكنى لم افعل الى الآن ، فقد غلبنى الغثيان ، وغسلت الأيدى انقذرة ، وعدلت عن الفكرة ، وإن ظللت على الطريقة الوجودية ، وأكل الضفادع لايفسد للود قضية !

وكنت اسير فى الطريق ، فأسمع التعليق ، وهو حينا برىء ، وأحيانا بذىء ، من نوع أنظروا لمن تسرتروا، وتشبهوا بالنساء فى الهيئة والكساء وأطالوا الشعور ، وليسوا القلادة من النحور ، وخنصروا البنطلونات ، كأنها جونلات - اخص ألف اخص عليك ايها الشخص ، وكنت أقابل هذه الاهانات بالابتسامات ، فقد أذوا من قبلى (سقراط) وأرغموه على شرب السم ، حتى لايفتح آذان الصم ، واتهموا (جاليليو) بالكفر وهددوه بخلع الظفر ، واضطروه الى انكار ما قاله ، من أن الأرض كالبرتقاله ، ومهما كان الجديد فهو يتيم وعرضة لسهام القديم ، حرصا على سلطانه واستبقاء لهيلمانه ولكن الجديد هو المنتصر ، وإن ! سدوا فمه بنحاس منصهر ، والقديم لن يسود ، كما يؤكد كتاب (العدم والوجود) ! وهكذا وقفت كأبى الهول ، فى وجه هذا الفحشن من القول ، بل واعتبرت هذه التعليقات المهينة ، دليلا على شهرتى المكينه ، وأنى صرت ممن يشار اليهم بالبنان ، وتدار عليهم الكئوس والألحان ، واستثارنى احساس بالشهوة ، فقفزت كالمهرة ، متخليا عما يربطنى بجدودى ، لانى (وجودى) .

وكنت أعتبر قهوة إيزفتش ، المأوى والعش ، ففيها الشاى والفول ، ويثمن معقول ، وهكذا آكل وأحبس وأجادل اخوان (ماركس) فقد كانت هذه القهوة وتضم الحثالة والصفوة ، وزبائنها دائمون ، لايغيبون عنها ولايتأخرون وكانوا ( زبائن ) غرباء فى الافكار والأزياء ، فهذا وفدى ، وذلك لاحزبى ، والثالث البدين ، من أتباع لينين ، والرابع يكتب القصة ويبحث عن فرصة ، أما الخامس ، فشاعر بائس انساق لدعاة التجديد ، فكتب كلاما غير مفيد ، معدوم الوزن والعافية ومحروفا من الايقاع والقافية ، زاعما أنهم هكذا يكتبون فى أوروبا ، .. مسكين .. أعطوه (بومبة) .. والسادس رسام ممرور ، يلبس قميصا من قماش الدمور ، صيحا ومساء ، صيفا وشتاء ، لأنه لايملك غيره ، كما أكد هو أكثر من مرة ، وهو مع ذلك رسام مجيد ، وإن بالغ فى اظهار التجاعيد ، والسابع ريفى يزعم انه ناقد وما هو بذلك فمنطقه متهالك . وحجته واهية ، وكراهته للممتازين بادية ، والثامن يهوى الموسيقى ، وقد اتخذها لنفسه طريقا ، ولايعزف بل يتكلم فقط واضعا الحروف تحت النقط ، والتاسع من على شاكلتى ، من عشيرتى وعائلتى ، والعاشر مخبر سرى ، وبوليس عقائدى ، يسجل ما يقال ويخمن ما لايقال ، وكلنا نعرف انه مخبر ، إلا هو ظنا منه انه يجيد التنكر والفهلوة ، وكنا لانعبأ به ، بل ونتعمد الجلوس بجانبه ، استهانة بشأنه حينا ، واستجابة لدم ساخن يجرى فينا ، وأخذنا عليه بعد مدة ، واعتبرناه من لوازم القعدة ، بل وصرنا نطلب له الشاى والينسون ، فيشرب



وهو ممنون ، ثم ينصرف ليكتب فينا التقارير ، ويحشوها بالشر والخطير .

قهوة مريبة ، وزبائن غريبة ، ولكن الأغرب من كل هذا الوش ، هو الخواجة إيزافتش ، يوغسلافى الجنسية ، ومعدته لاتهضم الاشتراكية ، غادر بلده ، لما رآها تخالف معتقده ، وجاء الى القاهرة ، وانشأ فيها هذه القهوة العامرة . وظن أنه اطمأن ، ولكن الدهر خيب الظن ، فرغم مغادرته البلاد والعباد ، فان تيتو كان له بالمرصاد ، وذلك انه كلما زار مصر ، عرف إيزافتش لوعة الأسر ذلك أنه كان يعتقل ، حتى يسافر البطل ، من باب الاحتياط إياه ، ومنعا لحدوث ما لاتحمد عقباه ، فايزافتش ريبرالى ، وتيتو اشتراكى نضالى ، وكلما حدثت زيارة تاريخية يعتقل (ايزافتش) بالتبعية !

وهكذا جعلنا القهوة ندوة ، للأعداء والأخوة ، وما أعداؤنا إلا أصحاب المنجل والمطرقة ، والذين يريدون للعالم الطريقة ، وصحيح أن التمارض يجمعنا ، لكن الهدف يقطعنا ، فتمردنا إنسانى ، وتمردهم طبقى ، يريدون تغيير العالم بالقوة ، ونحن نسعى لتغييره من جوه ، وكان النقاش يطول وكأنه قرع الطبول ، ونروح نتبادل الشتائم ، فنحن فى نظرهم بهائم ، وهم فى نظرنا عبدة اوثان ، ناهيك بتهم باختلال الوجدان ، فأنت عميل لموسكو ، مادمت لا تؤمن بسارتر ويوفسكو ، وعميل للمخابرات الأمريكية إذا لم تأخذ جانب الطبقات التحتية !

ويحدث هذا كل يوم ، دون أى تغيير فى اسلوب العوم ! ، حتى اصابنى الملال ، ورغبت فى تغيير الحال ، وفكرت فى حامل شعلة النور ، الاستاذ خميس مدكور معبودى الأوحد ومثلى المفرد ، إننى لم أره على الاطلاق ، رغم ما بيننا من التصاق ، وفكرت أن يلتقى التلميذ والاستاذ ، وكان تفكيرى مشمولا بالنفاذ ، ولبست أردأ ما عندى من ثياب ، قميص كالجلباب ، وبنطلون ضيق من أعلى ، متسع فى السفلى ، وحذاء بكعب طويل ، كأنه خرطوم فيل ، بالاضافة الى شعر منكوش ، وعينين بلا رتوش .. وبالجملة حرصت قدر الطاقة ، أن أكون غاية فى الأناقة ، مثبتا وجوديتى ، وإخلاصى لعقيدتى ، وهكذا مضيت إليه ، أفكر فى لحظة دخولى عليه .. ماذا أقول وماذا أدع ؟ .. وماذا سيقول منشىء البدع ؟ حتى وصلت وسألت بصوت جهور أين الاستاذ خميس مدكور ، فنظر إلى البواب بمنتهى الاستغراب وكأن البغل ، لم ير وجوديا من قبل ، وكررت السؤال بثقة ، وهو يزداد في حملقة ، وأخيرا قال فض اللـه فاه ، انصرف وإلا رأيت ما لاتحمد عقباه ، فكظمت غيظى ، وقلت لو سمحت ، قل له إننى تحت ، وتأكد أنه سيطلب لقائى ، واقترب البواب حتى وقف إزائى ، ودفعنى من غير سبب وقال ( إمش من هنا ياقليل الأدب ) ومن انت ياصرصور ، حتى تقابل خميس بك مدكور ؟ ولما رأيت هذا التطور الخطير الذى ربطنى بالصراصير فكرت أن احتج ، ولكنى تأملت ذراع الحاج ، فكتمت السهم فى كبدى ، وانصرفت ودموعى تحرق خدى ، ولكن الله يخرب بيته ، أرسل خلفى صوته ، (إذهب للحمام وامكث فيه لمدة عام ، وبعدها قد اسمح لك بالكلام ) !

ياللرلزل النكسياء ، والداهية الصماء ، أهكذا يعامل الوجوديون الوجيديين ، فيم إذن اشتراكنا فى الملة والدين ؟ ثم كيف يسمح يسمح خميس مدكور ؟ باستخدام البواب المذكور ؟ إنه غلطان لابد ، نعم وحق (سيدى كيركيجورد) ، هل لو ذهب (احمر)للقاء أحد الحمراء ، يقابل بمثل هذا الازدراء ؟ !

لا .. فالوالد أبو المكارم ، يقول بشكل دائم ، إنه قادم من عند مسعود أبو سالم ، ومسعود معدود فى قمة أهل المركسة ، وله اتباع ومدرسة وأطلت الجدال مع نفسى ، وأنا غارق فى بئر يأسى وتملكنى غل فظيع ، فقلت لعنة الله على الجميع .

وانقطعت عن إيزافتش ، وبحثت عن مصدر شريف للعيش ، وهجرت ملابسى إياها ، التى كنت بها اتباهى ، وتبت وأنبت ، وتزوجت وانجبت ، وانفرط ما بين الوجودية ، بل وكل فلسفة اوربية وإذا كان لديهم البير كامى ، فنحن عندنا أحمد رامى ، وإذا كانوا يتباهون بهيجل وسارتر ، فعندنا الغزالى وابو معشر ، وإن طنطنوا لفرانسواز ساجان فنحن نهلل لاحسان .. عندنا ما عندهم باختصار باستثناء سيمون دى بوفوار ، فضحكت وقد ادركت ما يعنيه ، وضحك هو لبراعته فى التشبيه !

وانصرفت عنه ، وقد بلغ منى العجب منه ، لوقوفه عند القشور مكتفيا بها عن الجذور .

.. وانتهت أقوال عبد الشكور !

جحويات



# زوجتى والبغل

حين ماتت زوجه لم يبكها
وطواها اللحد فى صمت مبين
جاءه القوم يعزون فما
وجدوه ذلك الباكى الحزين
فرأى إنكارهم ألا يُرى
عابس الطلعة معقود الجبين
فانبرى فيهم خطيبا قائلا

بوقار الصالحين العارفين :
هكذا الدنيا تساوى من قضى
بعض يوم مثل آلاف المسنين
والذى عاش بها فى حفرة
كالذى فى القصر والحصن الحصين
هكذا الدنيا ومامن حكمها
إن رضينا أو كرهنا أجمعين
فمضوا عنه وقالوا ثاكل
يتعزى بكلام السابقين
ثم عادوا وتنادوا يا جحا
عندنا لو شئت أخرى ذات دين ..
وجمال لا تكلفك سوى
عيشها والله يجزى الصابرين
ردهم عنه بلطف شاكراً
فضلهم والفعل فعل الأفضلين

ثم لما مر عام بعدها
نفق البغل الحصاوىّ المتين
صاح وا بغلاه من فرط الأسى
وبكاه يومها الدمع السخين
عجب القوم وقالوا ياجحا
قد عرفناك أخا عقل ودين
رَحَلَتْ من نحو عام زوجة
لك لم تحزن عليها بعض حين
نفق البغل فاكثرت البكاء
بينما لم تبكها أم البنين
قال لمّا ماتت الزوجة كم
قد عرضتم غيرها لى طائعين
ثم بالمجان لم تدخروا
وسعكم فى غيرها يا مسلمين
إنما بغلى الذى أركبه
والذى يحمل عبئى ويعين
حينما أودعته جوف الثرى
كنت قد ودعت خير الراحلين
لم يقل لي واحد خذ ياجحا
غيره بل كلكم كزّ ضنين
ولهذا أنا أبكيه دماً
وأناجى صاحبى البغل الأمين

## "آى لاف يو" قيس!



كثير جدا وطبيعى جدا أن يكون فلان هو البادىء باعلان حبه لفلانة .. والعكس قليل ونادر وشاذ ! .. ولا نراه إلا فى مسلسلات التليفزيون .. ولم نسمع أن «عبلة» بادرت وقالت «احبك ياعنتر» ولا أن «ليلى» دخلت على المجنون قائلة «آى لاف يو» قيس !

والذى سمعناه أن عنتر أحب وخاض الف حرب حتى يحظى برضاء «واحدة» لا شغل لها ولا فائدة ، تجلس فى خيمتها ناعمة البال ولا عليها ان يموت عنتر أو يصاب ويصبح من مشوهى الحروب والحراب !

والذى سمعناه ان ليلى حين طاردها قيس بحبه ، سايرته على قدر عقله ثم تزوجت «ورد» وضيعت البقية الباقية من هذا «العقل» وهكذا .

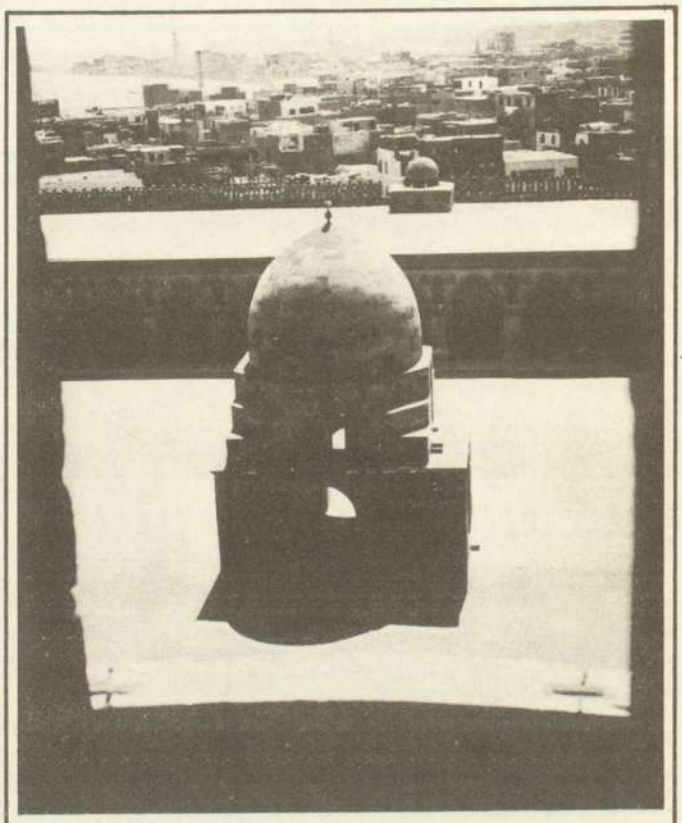
كتب القتل «والجنون» علينا
وعلى الغانيات جر الذيول .

## البحترى وشوقى

يقول البحترى فى وصف وجه جميل يحيط به شلال الشعر الأسود إنه «كالفجر فاض على سواد الغيهب »-

ويقول شوقى فى اغنيته التى غناها المطرب عبد الوهاب :

والفجر شقشق وفاض على سواد الخميله ..
ايهما اقرب إليك ؟



هذه القبة داخل صحن احد المساجد الشهيرة فى العالم الاسلامى يتميز هذا المسجد بمئذنته التى لا نظير لها إلا فى احد مساجد سامراء (سُرَّ مَنْ رأى) والميزة هلى سلم المئذنة الخارجى .

الصورة لمسجد احمد بن طولون .

## السمكة البخاخ



فى جزر اندونيسيا .. توجد السمكة البخاخه .. سميت كذلك لانهاتعيش على صيد الذباب والحشرات الطائرة قريبا من سطح الماء .. فاذا لمحت هذه السمكة حشرة تطير حتى وهى على بعد متر منها .. فانها تبخ عليها من فمها قطرات الماء بقوة فتلتصق القطرات بالحشرات وتعوقها عن الطيران فتسقط فى فم السمكة البخاخة المفتوح ! .. ويخلق ما لاتعلمون !

## الملح الهندى!

الهند اول بلد عرف السكر وكان اسمه قديما «الملح الهندى» وحينما عرفه العرب اطلقوا عليه اسم «السكر» وذاع الاسم وشاع .

حتى القرن السادس عشر كان العالم القديم يعتمد فى استهلاكه للسكر على ما تنتجه معامل التكرير فى سوريا ومصر واسبانيا .

## لو عاش!

طعن الشيخ فى السن وانحنى وتقوس ظهره ونظر إليه شاب فاراد ان يتظرف فقال مشيرا إلى ظهر الرجل المنحنى « ياعمى بكم اشتريت هذا القوس ؟! فافحمه العجوز بقوله : لو عشت مثلما عشت اخذته بلا ثمن !

## هى وأزواجها



الاسم : عاتكة بنت عمرو بن نفيل .

فى المعدودات من جميلات قريش من نوع إذا رنا سحر ، وإن دنا جنى وإن نطق برق !

اول المسحورين « عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق » كان جميل الوجه حسن الصوت ريان الشباب راها فتمكنت منه وتزوجها .. والحسن موكل بالسعى وراء الحسن .. ولكن جمالها غلب إرادته وشغله عن نفسه وانساه مالا يجب ان يدخل دائرة النسيان من عزيز وجليل وهل هناك اعز واجل من بر الوالدين ؟ !

خاف عليه والده استمرار هذا العقوق وخاف ان اكثر ان يمتد الى مجالات اخرى .. فاذا انت عققت العزيز هان عليك غيره .. وخاف عليه والده وكره ان يستمر ابنه زوجا لعاتكة والح عليه فى تطليقها ففعل وهو شارد اللب ذاهل القلب وطلع عليه النهار وعاتكة لا تضىء بيته واقبل الليل وهى ليست بجواره .. عاف الشراب والطعام .. وتجافى عن المنام .. فرق ابوه واذن له فى مراجعتها وعادت الورود تملأ الاغصان .. حتى خرج مع المسلمين الى موقعة الطائف فقاتل حتى قتل وصار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. وللحق فان عاتكة جزعت اشد ما يكون الجزع واستبد بها الحزن والهلع .. ولكن اختلاف النهار والليل ينسى !

تزوجت عاتكة من بعده .. وايضا سقط الزوج الثانى قتيلا .. وحزنت عاتكة بالقدر الذى يقضيه الواجب وتفرضه الاصول ولكن دوام الحال من المحال وكان زوجها الثالث هو « الزبير بن العوام » !

كان الزبير يغار عليها ويكره ان تتملاها العيون ، وكان من عادتها ان تخرج الى المسجد للصلاة والزبير كاره لذلك ولكنه لا يستطيع منعها ليس لضعف فيه امامها ولكنه اول من يحفظ حديث الرسول « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .. وماذا يفعل ابن العوام ؟!

خرجت عاتكة لصلاة العشاء وكمن الزبير لها فى إحدى الزوايا بحيث يراها ولا تراه وحين مرت به ضرب بيده «عجيزتها» واسرع بالفرار ! وسارعت هى بالعودة للبيت ولاذت بالصمت وكفت عن الخروج للمسجد ، وسالها لماذا قطعت عادتها فى الخروج ؟ فقالت «كنا نخرج والناس ناس» ! وكتم ابن العوام ضحكته وقد حقق بغيته ونختصر فنقول إن الزبير قد قتل وإنها تزوجت لرابع مرة وإن زوجها الرابع لم يخرج عن القاعدة وودع الحياة قتيلا هو الآخر !

يقولون إنها عندما فوتحت فى الزواج الخامس مرة قالت :

لن اتزوج احداً فو الله إنى لاحسب لو تزوجت جميع اهل الأرض لقتلوا عن آخرهم !

ولا ضير على عاتكة فى زواجها اكثر من مرة فهذا حقها وشرع الله الذى اذن فيه لعباده .. من حق عاتكة ان تتزوج مرة وعشرا.. ولكن هذا الحق العادى والمشروع يصبح غير عادى وغير مشروع بالنسبة لزوجات النبى فى حالى طلاقهن او رحيله عنهن .. وهو ليس حرمانا من حق بل امتيازا لقربهن من سيد الخلق هكذا نص الله فى محكم كتابه « ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابداً » .. ثم اليسوا هن امهات المؤمنين ؟

فصل جديد من المباراة المثيرة

رءوف توفيق

# السينما تهاجم التليفزيون بقسوة

المباراة مازالت مستمرة .. ومثيرة .. بين التليفزيون والسينما .. !

وفى الجولة الدائرة الآن .. تحاول السينما ، بعد أن استعادت جزءا كبيرا من جمهورها بنوعية الأفلام التى انتجت أخيرا تحاول أن تسدد اللكمة القاضية للتليفزيون ، وذلك من خلال موضوعات الأفلام التى تدين تأثير التليفزيون على المشاهدين وعلى المجتمع !!

والجولة ساخنة ومليئة بالمفاجآت ..

فالسينما بكل تاريخها الفنى ، وتجارب روادها الكبار ، وابتكارات شبابها المنطلق .. تحاول أن تدافع عن ارضها التى اكتسبتها عبر سنوات طويلة ، بالجهد والعمل والصراع المستمر ، حتى اصبحت السينما من اكثر الفنون شمولا وتأثيرا

والمتأمل لبعض موضوعات الافلام الحديثة ، والتى عرضت أخيرا فى مهرجان "كان" السينمائى الدولى ، سواء داخل المسابقة الرسمية ، أو فى فروع المهرجان المختلفة .. سيجد هناك خيطا واضحا يكشف عن اتجاه للهجوم على التيلفزيون وتفنيد اضراره وسلبياته على السلوك الانسانى ، وعلى حركة المجتمع ككل !!

## ● أمريكا ..وفيلم « أن تكون هناك »

ولنبدأ اولا بهذا الفيلم الأمريكى الساخر ( أن تكون هناك )لمخرجه ( هال آشبى) والذى اشترك به فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان .. ومن قبل دخل به التصفيات النهائية لجوائز الأوسكار لعام ١٩٨٠ .. ورشح لعدة جوائز هامة .. ولكنه لم يفز إلا بجائزة الممثل المساعد والتى حصل عليها الممثل الأمريكى العجوز ( ميلفين دوجلاس ) عن دوره فى هذا الفيلم ، كرجل المال القوى صاحب النفوذ السياسى

وفيلم (أن تكون هناك) مأخوذ من رواية بنفس العنوان صدرت عام ١٩٧١ لمؤلفها (جيرزى كوسينسكى) البولندى الأصل ، والذى هاجر لأمريكا فى منتصف الخمسينات ، ليصبح واحدا من اهم واشهر الكتاب الروائيين هناك .. وقد قام بنفسه بكتابة سيناريو الفيلم ( أن تكون هناك ) ليضمن وصول أفكاره كما كتبها فى روايته

والفيلم يقدم شخصية هذا الرجل الذى تعدى الخمسين من عمره .. والذى عاش طوال عمره داخل بيت لم يغادره مرة واحدة ولم يخرج للشارع ، ولم يتعلم القراءة أو الكتابة ، ولا علاقة له اطلاقا بالعالم الخارجى .. وهو فى داخل هذا البيت يعمل بستانيا يرعى حديقة البيت ثم يقضى بقية يومه أمام شاشة التليفزيون .. يأكل ويشرب وينام مع التليفزيون .. يتنقل بين قناة واخرى .. يتابع البرامج ببلادة واضحة وانهماك شديد .. بطىء الحركة .. ، ولا ينفعل .. ولا يتوتر .. وعندما يتكلم تخرج الكلمات متقطعة ، وبلا معنى ، ولا تتعدى حدود معرفته بالعمل فى الحديقة ، ورغبته الدائمة لمشاهدة التليفزيون !! (لعب الدور باقتدار بالغ الممثل بيتر سيلرز) .

وفى بداية الفيلم .. تواجه هذه الشخصية موقفا شديد التعقيد بوفاة مخدومه ، صاحب هذا البيت .. ويصبح عليه ان يجمع أشياءه ويرحل بعد أن صدر قرار الحكومة بغلق البيت !

عليه الآن أن يواجه العالم الخارجى لأول مرة .. وحيدا تماما .. ويسير فى شوارع واشنطون ـ المدينة التى تدور فيها احداث الفيلم ـ وينتقل من رصيف الى آخر حاملا حقيبته ، مرتديا كامل ملابسه فى اناقة ووقار .. يبدو عليه أنه احد كبار القوم ، وأنه يتحرك نحو هدف محقق .. بينما فى حقيقته لا ينوى على شىء .. ولا يقلقه شىء سوى احساسه بالجوع .. ورغبته لمشاهدة التليفزيون !!

إنه مشغول برؤية العالم الحقيقى بعين طفل .. وبادراك ناقص .. فجأة تصدمه سيارة فاخرة ، وتصيبه بكدمات بسيطة فى ساقه .. ولكن فى هذه اللحظة تكون حياته قد تغيرت تماما .. فصاحبة السيارة تدعوه لقصرها للعناية الطبية ، وتلتقط اسمه خطأ ، و تلصق مهنته بأسمه .. وهكذا تحول اسمه من (مستر شانس) الى (مستر شانس جاردينر) .. وكأن كلمة (جاردينر) وتعنى البستانى .. هى لقب العائلة !!

وهو لم يدع هذا .. ولم يقصده .. فهو لا يعرف الكذب أو الخبث .. ولم يسع لانتهاز فرصة أو الاستفادة من الحادث البسيط الذى جرى له .. ولكن هكذا عاملته السيدة باحترام شديد ! .

وعندما يركب السيارة الفاخرة .. يعلق بأنها المرة الأولى التى يركب فيها سيارة !! وعندما يصل الى القصر الهائل ويجد استقبالا مذهلا من الخدم والحاشية ، ومقعدا متحركا فى انتظاره للانتقال الى الطابق العلوى بواسطة المصعد ا لكهربائى .. يعلق بأنها المرة الأولى التى يركب فيها مصعدا !! وعندما يدخلونه الى غرفة الكشف الطبى المجهزة بكل المعدات الحديثة .. يعلق فى ذهول بأنه لم ير مثيلا لهذا فى التليفزيون !! .

ويتعرف عليه صاحب القصر ، ذلك الرجل

فجأة تصدمه سيارة فاخرة
لكن فى هذه اللحظة تكون حياته
قد تغيرت تماما بعد أن صحبته
صاحبة السيارة إلى قصرها



الممثلة الفرنسية (رومى شنايدر)

العجوز الفاحش الثراء ، رجل المال القوى وصاحب النفوذ السياسى الهائل .. والذى تتدهور صحته بسرعة ويقترب من حافة الموت .. ويجد فى هذا الضيف (مستر شانس جاردينر) الود والبساطة .. ويزداد إعجابه به عندما يستنكر (مستر شانس) فكرة اقامة دعوة قضائية بسبب اصابته .. ولهذا يدعى لعشاء عائلي .. يضم صاحب القصر وزوجته فقط .. ويظهر فى هذا اللقاء مدى تلقائية مستر شانس .. والتى يعتبرها صاحب القصر نوعا نادرا من الحصافة والدبلوماسية .. ويقرر أن يتخذه صديقا يستعذب الاجتماع به والتحدث إليه ..

وبعد أيام يصل الى القصر ، الرئيس الأمريكى لزيارة صديقه رجل المال القوى ، ليطمئن على صحته ، وليسأله المشورة فى المأزق الاقتصادى الذى تمر به البلاد .. ويدخل صاحب القصر متكئا على كتف صديقه (مستر شانس) .. ويقدمه للرئيس الأمريكى كصديق عزيز .. ويدور الحديث حول الأزمة الاقتصادية ويطلبون من (مستر شانس) أن يقول رأيه .. وببساطة شديدة وبطريقته الواثقة ، البطيئة الايقاع يقول مستر شانس :

« فى الحديقة .. النماء له فصول .. هناك ربيع وصيف .. ولكن هناك ايضا خريف وشتاء .. ثم ربيع وصيف مرة أخرى .. وطالما كانت الجذور سليمة .. فكل شىء مطمئن .. وكل شىء يصبح جيدا فى الحديقة » !!



بيتر سيلرز فى دور البستانى .. لقطة من فيلم (أن تكون هناك)

والكلمات لا علاقة لها اطلاقا بالاقتصاد .. انها بعض معلوماته عن العمل كبستانى .. ولكن وقع هذه الكلمات يصبح شديد الايحاء للرئيس الأمريكى وكأنها خلاصة فلسفة عميقة .. ولهذا ينقل نص هذه الكلمات فى خطبته الى الأمة من خلال التليفزيون .. وفى تلك الليلة أصبح مستر شانس اهم شخصية فى أمريكا .. الصحف تتصارع من أجل تقديم مستر شانس .. والتليفزيون الأمريكى يسرع للاتصال بمستر شانس لتسجيل حديث معه .. ويلبى الدعوة .. ويواجه بأخطر الاسئلة بكلمات عن الأرض والزرع والشمس والجذور .. ويهلل المشاهدون اعجابا بهذا الفيلسوف

لقد اصبح (مستر شانس) اسطورة

## رسالة مهرجان كان السينمائى

خلقها التليفزيون .. الناشرون يطاردونه بعقود نشر لمؤلفاته .. وهو فى الحقيقة لا يعرف القراءة أو الكتابة .. ولا ينكر هذا .. ولكنهم يعتبرونها مجرد دعابة وأسلوبا ذكيا للتهرب منهم !!

والمخابرات الأمريكية والسوفيتية تحاولان البحث عن تاريخ هذا الرجل .. والأهم من هذا كله أن المليونير القوى النفوذ ، يعرض عليه مشاركته فى امبراطوريته المالية ، وأن يرعى زوجته بعد وفاته . !!

ويموت هذا المليونير .. تؤول اليه كل الثروة .. والقوة .. ويتحول مستر شانس الى حقيقة ثابتة لا يمكن انكارها .. بينما هو فى اعماقه لا يدرك ولا يعى كل ما حدث .. ولا يعنيه فى شىء .. فهو مازال هذا الرجل الذى يهتم بالأرض والنباتات .. ويتصلب مبهورا ومأخوذا أمام شاشة التليفزيون !!

وهكذا يدين فيلم (أن تكون هناك) مدى تأثير التليفزيون على حياتنا .. كالطريقة التى غيربها التليفزيون من إدراكنا الحسى للحياه .. وكيف اصابنا بالتبلد ، والاستعداد لتقبل وجهات النظر الجاهزة دون أن نكلف انفسنا مهمة البحث والتحرى وتأمل ما يقال فهذا الانسان الذى حوله التليفزيون الى مسخ مشوه .. لايفكر .. ولا ينفعل .. ولا يستطيع أن يقرر شيئا بمحض إرادته .. هو فى النهاية نموذج شديد السخرية تخيله المؤلف عندما قرأ تلك الاحصائيات التى توضح أن الشاب الحديث التخرج .. قضى فى فترة طفولته ومراهقته وتكوينه الفكرى الأول مايزيد عن ١٨ الف ساعة أمام التليفزيون !!

وهذا العدد الهائل من الساعات بالغة التأثير ، فهى تشكل أسلوبا شاذا فى مواجهة الحياة العملية..

ويضيف المؤلف فى تصريح له : « وفى الحياة العملية .. يصبح التليفزيون اخطر وسيلة لايصال وجهات نظر المرشحين للمناصب السياسية الكبرى فى البلاد .. وكل منهم يحاول أن يكون مخلصا وشجاعا وجادا وظريفا .. وعندما ظهر مستر شانس على شاشة التليفزيون مارس هذه الصفات بتلقائيته وسذاجته وطيبته الواضحة .. وهكذا تحول الى أهم شخصية أمريكية » !

إن كل اصابع الاتهام فى هذا الفيلم الساخر الجرىء .. تشير الى التليفزيون !!



الممثلة الفرنسية (ناتالى باى) فى دور المدرسة .. لقطة من فيلم (اسبوع الاجازة)



لقطة من الفيلم البرازيلى ( وداعا .. برازيل )

### ● فرنسا .. و«مراقبة الموت »

ومن فرنسا .. يظهر ذلك المخرج الشاب (برتراند تافيرنيه) ليقدم بأسلوبه السينمائى المتميز الذى يعرف كيف يلتقط أصغر التفاصيل فى الحياة اليومية ، ليصنع منها نسيجا رقيقا ومتماسكا وجميلا .. وفى نفس الوقت يقول كلمته بقوة . !

إنه فى هذا العام -٨٠- قدم فيلمين أثارا اهتماما كبيرا .. الفيلم الأول بعنوان (مراقبة الموت) الذى عرض فى مهرجان برلين السينمائى .. ثم اعيد عرضه فى سوق مهرجان كان السينمائى .. لينال نفس الدرجة من الاهتمام .. فهو يطرح قضية إنسانية ويعالجها برهافة الشاعر

فهذه الممثلة المسرحية (تلعب الدور الفنانة رومى شانيدر) تصاب بحالة انهيار عصبى مفاجئة ، نتيجة بعض المضايقات ، ولاحساسها بأنها لم تعد تضيف شيئا جديدا فى فنها .. ويلتقط هذه الحالة ، ذلك المنتج التليفزيونى ، الذى يسعى لتحقيق نصر تليفزيونى جديد ، فهو يتفق مع طبيبها المعالج على أن يتولى إخبار مريضته بأنها ستموت بعد ثلاثة اسابيع .. وفى هذه الحالة سيقوم بتعقب تصرفاتها وخطواتها من خلال عدسة تليفزيونية مثبته فى رأسه .. ليسجل لحظات الاقتراب من الموت .. ليكون بعد ذلك فيلما كاملا بالصوت والصورة ، يعرضه التليفزيون !!

إنها فكرة لا أخلاقية .. وغير انسانية .. ولكنها بعض الوقود لهذا الجهاز الوحشى الذى يضرب فى كل الاتجاهات بحثا عن الجديد والمثير لكى يقدمه للمشاهدين !!



الارض المهجورة .. والسيارة التى تحمل الفنانين المتجولين فى فيلم (وداعا .. برازيل) .

**هذا العدد الهائل من الساعات بالغة التأثير تشكل أسلوبا شاذا فى مواجهة الحياة العملية!**

وأحداث الفيلم تدين بشدة هذا الاستغلال السيء من التليفزيون لحالة انسانة معذبة تواجه الموت .. وحيدة تماما .. وتتمنى النجاة من الموت .. ومن هذه الكاميرا التى تلاحقها !

أما هذا المنتج المصور التليفزيونى الذى يقبل على المهمة بوحشية وتجرد انسانى .. يجد نفسه تدريجيا فى حالة تعاطف وحب مع هذه المريضة .. وتتنازعه المشاعر المتضادة .. ان يحقق هذا النصر التليفزيونى .. وفى نفس الوقت تهاجمه المشاعر الخاصة والرغبة فى الارتباط بهذه المريضة!

والفيلم اذا كان يلجأ الى أسلوب الخيال العلمى .. فى تلك الرؤية المستقبلية لمدى تدخل التليفزيون فى الحياة الخاصة ، وانتهاك أدق الأسرار والمشاعر الانسانية .. باستخدام أدق الكاميرات الغير مرئية وأجهزة التسجيل المختبئة .. فهو يضع متفرج الفيلم فى حالة كراهية ورفض .. وخوف أيضا .. من بشاعة ما يفعله التليفزيون .. وما قد يصل به التطور الفنى بعد ذلك !

## ● اسبوع الأجازة

ثم يأتى الفيلم الثانى لنفس المخرج (برتراند تافيرنيه) والذى يحمل عنوان (أسبوع الاجازة) .. وقد دخل هذا الفيلم الى المسابقة الرسمية لمهرجان كان هذا العام ..

حيث يقدم حالة هذه المدرسة الشابة التى تعانى من الاكتئاب .. والتى تستيقظ ذات صباح وهى غير مستعدة نفسيا على الاطلاق للذهاب الى عملها فى المدرسة .. أو الحديث الى صديقها .. انها تشعر بالتعاسة بلا سبب حقيقى واضح .. فهى تعمل فى مهنة تحبها ، وبجوارها صديق ترتبط به ، ولا توجد فى حياتها أية مشاكل مالية .. ولكنها هكذا وجدت نفسها ، ذلك الصباح ، أنها غير قادرة على الاستمرار .. وتطرق باب الطبيب الذى يشير عليها بأن تأخذ اسبوعا أجازة لتستريح .. وتستجيب لنصيحة الطبيب وتبدأ الأجازة .. أو بمعنى أدق تبدأ فى مراجعة نفسها .. وحياتها كلها .. ماالذى تفعله ؟ .. وماالذى تريده ؟!

وكأننا أمام قصيدة شعر يصوغها هذا المخرج البارع ، وتؤديها الممثلة الرقيقة (نتالى باى) وكأنها خلقت لتؤدى هذا الدور .. فهى عندما تخلو لنفسها لتتذكر كيف بدأت التعاسة تزحف الى مشاعرها ؟ تتوقف عند ذلك الصباح حينما دخلت فصلها المدرسى فوجدت على السبورة عبارات بذيئة كتبها بعض تلامذتها .. وهناك تلميذ يتعارك مع زميله ويقذفه بالشتائم الجارحة .. وهى تقف أمامها مذهولة وتتوجه بالغضب ناحية ذلك التلميذ الهائج لتقول له فى حدة «لاتنس ان تغسل فمك قبل أن تأتى الى هنا » !

## رسالة مهرجان كان السينمائى

وتتوالى خواطرها وذكرياتها .. عندما كانت طفلة لم تفكر أبداً أن تكون مدرسة .. ولكن عندما عملت بالتدريس أحبت المهنة .. أما الآن فهى تعيسة .. وتلتقى بجارها صاحب المقهى الذى يشكو من ابنه فهو يلح لشراء دراجة بخارية .. تسأله أن يشجعه على القراءة .. يقول بأسف انه لايقرأ أبدا .. ويكتفى بالتليفزيون .. ويشن الأب هجوما على التليفزيون وما يفعله بالأبناء .. وهى تؤكد على كلامه .. وتتذكر عنف تلامذتها المنقول عن التليفزيون .. وشتائم تلامذتها والأسلوب الجارح فى التعامل ، المأخوذ عن التليفزيون !! .. والتعليم فى المدارس عاجزا عن الاصلاح !!

إن سر تعاستها الحقيقية .. إنها خائفة من الغد .. وما يخبئه لها المجهول ! .. انها تريد أن يكون لحياتها معنى .. وقيمة .. ولكن هل تستطيع ؟ ويعزف الفيلم على تنويعات القلق والتوجس .. والبحث عن الطمأنينه والسعادة .. بينما بذور الشراسة والعنف والانقضاض ، مزروعة فى كل مكان .. وفى متناول الجميع !

### ● وداعاً .. برازيل

وتقدم البرازيل .. فيلما بعنوان (وداعا .. برازيل) لمؤلفه ومخرجه (كارلوس ديجيس) يحكى من خلاله عن رحلة بعض الفنانين المتجولين عبر قرى ومدن البرازيل القديمة .. انهم يتحركون داخل سيارة نقل .. منهم الساحر ، ولاعب الأكروبات ، وراقصة الرومبا .. ثم ينضم إليهم فى الطريق هذا الشاب اليائس من حياته فى القرية ويريد أن يرحل الى اى مكان بعيدا عن همومه وارتباطاته وفقره ، ويعرض عليهم أن يعزف الأكورديون .. ويوافقون على طلبه .. فيتسلق السيارة مع زوجته الحامل .!

وتدور الأحداث بين هؤلاء .. فيها الحلم .. وفيها النزوة .. وفيها الحب .. وفيها ايضا الشر .!

وتمر الأيام عليهم مليئة بالقسوة .. فهم يحاولون أن يعرضوا فنونهم البسيطة الحية .. ولكنهم يفاجأون بأن الجمهور الذين يسعون إليه.. لا يلتفت لهم .. ان الجمهور مشغول بالتليفزيون .. أنهم يتكومون بالساعات أمام شاشات التليفزيون العريضة المقامة فى الساحات لكى يشاهدها من لا يملك جهازا خاصا !!

ويحاولون أن يجذبوا الجمهور إليهم .. بالغناء والرقص والنداء بالميكروفونات .. ولكن لا أحد يقترب منهم .. فيحملون مهماتهم وينطلقون بالسيارة الى مكان آخر .. ويصبح هدفهم أى مكان لا ترتفع فيه صوارى التليفزيون على المنازل !! ولا يجدون غير شاطىء البحر . ولكن حتى هناك لا أحد يتقدم اليهم لمشاهدة العابهم .. وتتأزم بهم الأمور .. ويطحنهم اليأس .. ويفكر رئيس المجموعة فى وسائل أخرى للحياة .. أقل جهداً وأكثر انحطاطا .. ولكنها فى النهاية تلقى بالأموال فى يديه .. وتمكنه من شراء سيارة أكبر للأستعراضات !

والفيلم يقدم من خلال تلك الرحلة .. البرازيل القديمة ، التخلف ، الفقر .. والبرازيل الجديدة التى تزخف بمبانيها الشاهقة ، والآلات المتطورة ، والايقاع العصرى ..

ومابين القديم والجديد .. لاينسى المخرج أن يشير بالاتهام الى التليفزيون الذى تحول الى مرض عصرى اصاب المشاهدين بالكساح من طول الجلوس أمام شاشات التليفزيون .. وأصاب الفنون التلقائية بالتوقف والاندثار ..

وفى مشهد بالغ السخرية .. يقدم المخرج صالة حديثة للرقص والموسيقى العصرية .. حيث تقف الفرقة الموسيقية تعزف بينما أجهزة التليفزيون مرصوصة أمامهم على خشبة المسرح .. والجمهور يتابع التليفزيون ، وهو جالس القرفصاء .. بينما الفرقة تعزف فى الخلفية دون أن ينتبه إليها أحد !!

ويؤكد المخرج فى النشرة الصحفية الخاصة بفيلمه ، على التعريف بالبرازيل .. فيقول أن تعدادها ١٢٠ مليون نسمة .. وان هناك ايضا ٢٠ مليون تليفزيون .. أى جهاز واحد لكل ستة اشخاص !

**المباراة مستمرة ومثيرة .. لكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ..؟ الأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر إثارة!**

### ● تونس .. وفيلم «عزيزة»

ويقدم المخرج التونسى (عبد اللطيف بن عمار) بالاشتراك مع الجزائر ، فيلمه الممتع (عزيزة) .. الذى عرض فى برنامج (نصف شهر المخرجين) بمهرجان كان واستقبل بحفاوة بالغة ( أتعشم أن اتناول هذا الفيلم فى عدد قادم )ولكن مايهمنا فى هذا المجال .. ان المخرج يتعرض فى مشاهد سريعة وموحية للمسلسلات العربية التى يعرضها التليفزيون التونسى .. حيث يتسمر افراد البيوت أمام أجهزة التليفزيون فى صمت وترقب مأخوذين بأحداث المسلسل .. الذى تتعدى حلقاته المائة وأكثر .. والتى يقول فيها الممثلون اى كلام .. ويتحركون فى اى اتجاه .. وأحيانا فى بلاهة ، لا يحفظون أدوارهم .. ومخرجو هذه المسلسلات لا يعرفون أبجديات الفن .. فالممثل يظهر على الشاشة وينظر الى الكاميرا حتى يشير اليه المخرج ليتكلم .. فيتكلم ..

ومع كل هذه البدائية والتخلف الفنى والفكرى .. نجد شوارع المدينة خالية فى وقت اذاعة المسلسل .. ولا صوت يتردد .. إلا صوت الممثلين وهم يقذفون بكلمات الحوار ..

وفيلم (عزيزة) يقدم هذه الادانة لما يفعله التليفزيون .. وسط ادانات أخرى يحلل بها ما حدث فى المجتمع التونسى .. أو المجتمع العربى عموما !

● ●

وهكذا تحاول السينما رد الاعتبار الى نفسها .. والقاء القفاز فى وجه التليفزيون !

وربما كان من اطرف الاعلانات التى نشرت فى مجلات السينما التى صدرت خلال انعقاد مهرجان كان لهذا العام .. اعلان عن فيلم امريكى جديد تحت الاعداد .. تقول أحد عناوينه البارزة :

(الفيلم الذى يضع التليفزيون .. فى مكانه الحقيقى ) .. وتحت هذا السطر ..رسموا صفيحة قمامة كبيرة ممتلئة بأجهزة التليفزيون !

والمباراة مستمرة .. ومثيرة !

ولكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ..؟! لا أعتقد .. والأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر اثارة من هذه المباراة التى ندفع ثمنها من اعصابنا .. وعقولنا !!

**رءوف توفيق**

جمـــال قطـب

# منهل الإلهام الدائم فى عالم الإبداع

## المرأة فى وجدان الفنان



البراءة فى وجه فتاة للفنان فيرمير

من المعروف أن الدعائم الحضارية لأى مجتمع منظم تحكمه الأسس العقلية هى أن يكون للعمل سمة الفن ، وللمتعة طابع التذوق الجمالى المباشر . ومن الظواهر التى تميزت بها عوامل الابداع عند الفنان : الذاتية والأنانية . وليس هذا بجديد أو مستحدث دخيل على حركة الفن عامة عبر عصوره المتعاقبة ؛ بل أن الذاتية ـ دوماً ـ تلازم التعبير العاطفى والانفعالي وتكسبه الصدق وتضفى عليه الأصالة ، كقبس من روح الفنان ووجدانه . وإذا سلمنا بما يراه علماء النفس والتربية من أن فى داخل كل انسان فناناً تتشكل موهبته بمؤثرات العوامل الاجتماعية والبيئية والوراثية ،

## منهل الإلهام الدائم فى عالم الإبداع

# المرأة فى وجدان الفنان



مدام ريكاميه – تحفة دافيد الرائعة بمتحف اللوفر

لوجدنا أن اهدافنا الحقيقية هى العمل على أن يكون الاستمتاع الجمالى كسلوك مهذب عام ، وحركة الابداع كمنهج عملي فى كل مرافق الحياة ، هما دعامتان ضروريتان للحضارة ... وإذا تحقق هذا الهدف فى عالمنا المعاصر ، لأصبح العمل – كل العمل – فناً بدرجة أكثر شمولا تزينه لمسات الابداع الواعية .

وإذا رجعنا الى حركة الفن منذ بدء الخليقة فاننا نجد أن هذا الشعور بالذاتية عند الانسان (الفنان) يعمق الاحساس بما يختلج فى نفسه ، فيعبر عنه بحركات الرقص أو الغناء أو برسوم تلقائية على جدران الكهوف .. وتلك الأخيرة هى أخلد أدوات التعبير واصدقها .. وهذا هو الفن .

ولما استقرت سبل الحياة بهذا الانسان ، وأصبح عضواً عاملا فى مجتمعات آمنة ، بدأت أحاسيسه تتفتح على مكامن الجمال فى بيئته الطبيعية كجانب تأثرى عام . كما تحركت فى داخله عوامل نفسية غامضة وانفعال جارف ، فوجد ميلا غريزيا للتعبير عن عاطفته الخاصة نحو الجنس الآخر . وإذا كان العلم يقوم على التجربة ، فالفن وليد الانفعال . وليس هناك أقوى ولا أعظم سيطرة على الحواس من هذه الرابطة الخفية التى توثق عاطفة الجنسين برباط مصيرى مقدس ، هو سر الحياة ذاتها ! ومن هذا المنطلق سجل الفنان المرأة فى إبداعاته كرمز طيع رحيب ، لما يجول بخاطره وقلبه ووجدانه من معانى الخير والحب والجمال والاعجاب . فلا غرو أن نجد لكل فنان ملهمات هى عناصر الابداع الاساسية فى عالمه الذاتى المشحون بالعاطفة والانفعال . وليست المرأة عند الفنان مثالا للجمال الخلقى وحده . بل هى الذكاء والدهاء والتألق وشتى معنويات الحياة .

## نساء خلدهن الفن والتاريخ

هذه « هيلين » فاتنة طرواده ، نراها فى لوحات الفنانين كالهام مثير من أعماق التاريخ .. و «كليوباترا» التى

# الفنان المصرى القديم من أكثر الفنانين استجابة للجمال



مادموازيل ريفير – للفنان انجر من مقتنيات متحف اللوفر

سحرت بذكائها ودهائها قلوب القياصره وعقول الاباطرة ، ووجد الفنان فى جمالها الأسطورى وشخصيتها الآسرة ، رواء لعاطفته الجياشه وحبه الخصيب ... و «جان دارك» قديسة فرنسا وفارسة ملاحمها التاريخية .. نراها فى لوحات المئات من الفنانين رمزاً للاعجاب وإعزازاً بالشجاعة والايمان ... و «اوجينى» الساحرة امبراطورة فرنسا اللعوب ،تلك التى كانت لفتنتها الطاغية أثرها فى انقياد الملوك ورجالات الحكم للوقوع فى شراك حبها ، حتى اضاعت المجد والعرش والتاج .

ويروى التاريخ قصصاً لا حدود لها عن غانيات التاريخ وحسانه ، وعن خليلات وزوجات الفنانين انفسهم ، وكلهن خالدات فى الاعمال الفنية التى أبدعتها الأنامل الملهمة على مر العصور وبالتالى فقد خلدن فى قلوب المعجبين ، سواء أكان الاعجاب بهن أو بالفنان أو بالعمل الابداعى مجرداً لذاته .

وننقب فى أعماق التاريخ بين تراكمات الزمان والأحداث ، لنرى أن الفنان المصرى القديم كان من أكثر الفنانين استجابة للجمال والاحساس به . وتتمثل أمامنا الروائع الفنية التى خلفها شاهدة على تلك العبقرية المرهفة .

ويعتبر تمثال «نفرت» الذى اكتشف عام ١٨٧١ من أجل النماذج ، ولا شك أن جمال هذه الأميرة كان يسطع فى مدينة «منف» منذ قرابة خمسة آلاف سنة ، مؤثرا فى حياة معاصريها ، كما كان له مفعول السحر فى سلوك زوجها الأمير «رع حتب» قائد جيوش والده الملك «سنفرو» . ومن الواضح أن الفنان الذى عكف على إنجاز هذه التحفة الفريدة ، قد هزت مشاعره مفاتن الأميرة ، فانعكس هذا الانفعال العاطفى بصادق على عمله الرائع الذى مازال حياً حتى اليوم .

ومن أكثر جميلات التاريخ شهرة .. الملكة نفرتيتى . وتمثالها الصغير الملون الذى ابدعته أنامل فنان مصرى فى عصرها ، لابد وأن يكون قد هام بها افتتانا وحباً لا امل فيه ، فتحول هذا الحب العذرى الى طاقة خلاقة رفيعة .. تلك التى جسدت هذا الجمال فى التمثال الصغير .

وفى بلاد العراق ، وفى العصر السومرى منذ آلاف السنين ، سجل الفنان ملكته «شوباز» – وقد كانت مثلا فريداً للجمال فى عصرها – بعد أن هام فى حبها كبقية رجال عصره ، وابدع تحفته الخالدة للملكة الحسناء وأجاد فى إظهار جمال عينيها الحالمتين وصفاء بشرتها الورديه المشعة بالفتنه من تحت تاج ذهبى على هيئة أوراق الشجر التى تتخللها الاحجار الكريمة .

وكان للفنان المسلم فى العصور الوسطى دور بارز فى حركة الفن العالمى ، وقد سجل المرأة على طريقته الخاصة بأسلوبه الزخرفى المميز ، فنرى فى المخطوطات كثيرا من فاتنات التاريخ مثل «فتنة» صاحبة «بهرام جور» ملك إيران ، وصورة «زليخا» امرأة العزيز مع يوسف الصديق ..

ومع أن الفن الاسلامى كان فناً ذهنياً مقيداً بتعليمات الشريعة الإسلامية التى تحرم المجسدات ، وتكره الصور الآدمية ، إلا أننا رأينا فى الآثار الاسلامية كثيرا من الصور النسائية فى مختلف العصور .. أى أن الفنان قد جنح الى الفن الوجدانى ليعبر عن ذاته وانفعاله ، وقد وجد من السماحة الاسلامية منفذاً لهذا

التعبير الخاص . وفى أول العهود الاسلامية وهو العهد الاموى ، وجدنا مجموعة من التماثيل الرائعة لنساء جميلات فى قصر «خربة المفجر» بالضفة الغربية لنهر الأردن شمال أريحا ، وهو القصر الذى بناه هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ ـ ١٢٥هـ) ، وهو امر يصعب تفسيره ، ومازال محل استغراب وتساؤل حتى اليوم ؛ إذ كيف يسمح الحكام الامويون السنيون ، وهم الذين يمتد نسبهم القريب الى الصفوة من القادة والفاتحين المسلمين ، بان تكون مثل هذه التماثيل فى قصورهم ، واغلب الظن ان هذا التساؤل سيظل طويلا بغير اجابة شافية ! ولكنها المرأة فى وجدان الفنان كالهام وقدر لا مفر منه !

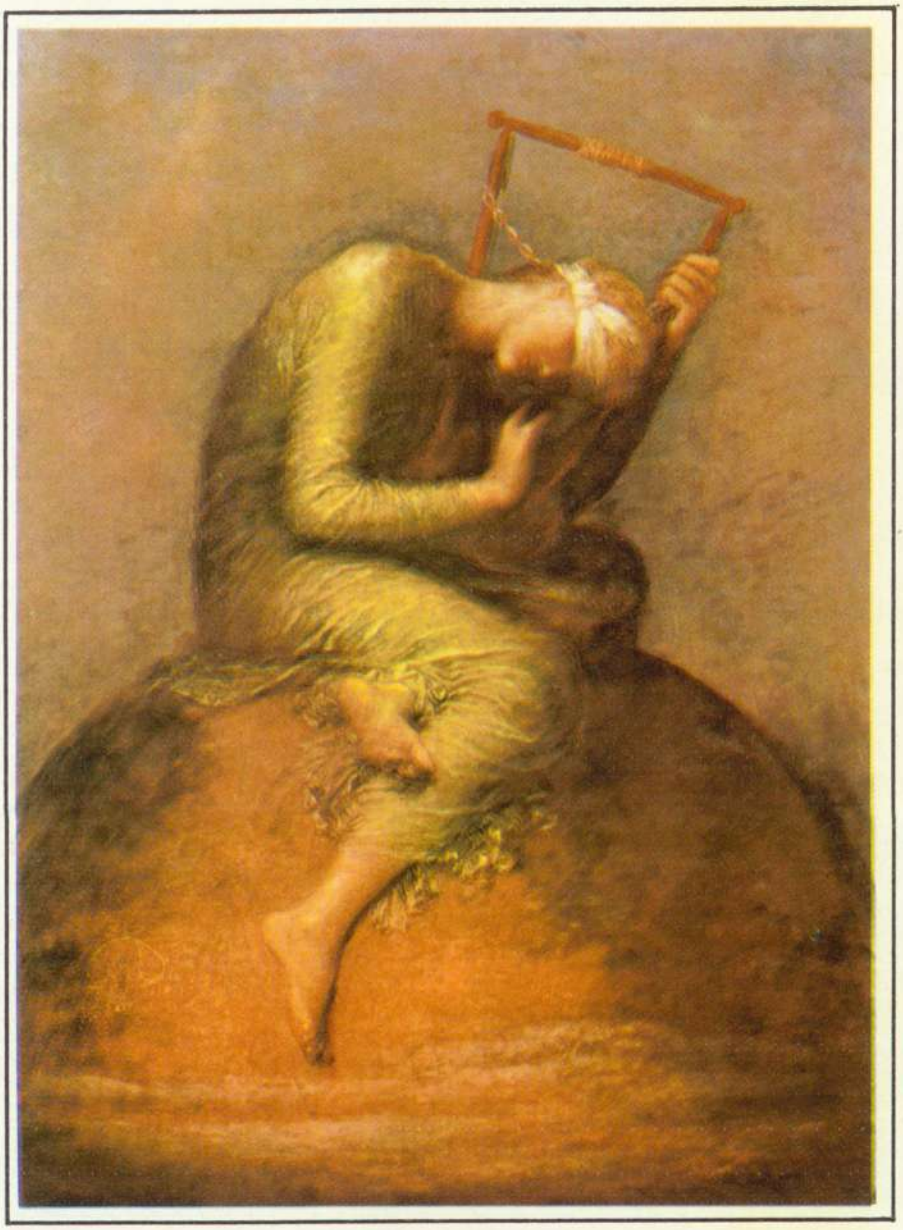
## أوروبا والمرأة فى حياة الفنانين

ومنذ عصر النهضة فى ايطاليا ، اتيح للمرأة اعظم الفرص لتكون ذات اثر موجه فى المجتمع ، ولم تكن القيم الاخلاقية ـ دائما ـ ذات اثر فعال او اعتبار ملحوظ ؛ فقد كان من عادة الملوك والأمراء ان يكلفوا كبار الفنانين برسم الفتاة المرشحة للزواج من احدهم ، فاذا راقت الصورة للملك او الأمير ، تمت مراسم الخطبة ثم الزواج ، ولأجل ذلك برزت أهمية وحضوره دور الفنان المصور إذ تتوقف نتائج تاريخية ربما تحدد مصائر الشعوب ، على نظرته الخاصة وإعجابه الشخصى وبمدى ما يلقاه من حفاوة وكرم من اهل العروس ، بل ربما على حبه واستحسانه بالفتاة ذاتها . وقد تغالى بعض الفنانين فى إظهار الجمال وإبراز المفاتن التى قد لا تكون موجودة اصلا ، كما حدث للملك هنرى الثامن عندما امر وزيره (كروميل) بتكليف احد الرسامين المشهورين ليصور فتاة تدعى (آن) يريد الملك الزواج منها ، فذهب الفنان لتادية هذه المهمة ، ولسبب او لآخر ، رضى الفنان تماما عن الفتاة ، وكانت لا تتمتع باى مسحة من الجمال المثير ، فاظهر فيها جمالا مثاليا ياخذ بشغاف القلوب ، مما جعل الملك يعجب بها قبل ان يراها ..ولكنه فجع عندما راى الأصل .. ولكن بعد فوات الأوان : فقد تمت مراسم الخطبة واقيمت الزينات والأفراح والليالى الملاح ، وكان امام الملك إلا ان يصب جام غضبه على وزيره كروميل وسجنه فى برج لندن ،



مدام دى بومبادور للفنان بوشيه

مُنذ أوّل العهود الإسلامية - العهد الأموى - وُجِدت
تماثيل رائعة لنساء جميلات فى قصر "خربة المفجر" - الذى بناه هشام بن عبد الملك



الأمل للفنان فردريك واتز

## الفنانون بالغوا فى إظهار الجمال والمفاتن على ضفاف نهر السين صوّر الفنان جمال المرأة فى أبهى روعة بصرية عرفها تاريخ الفن

ولا ندرى ماذا فعل بالفنان !

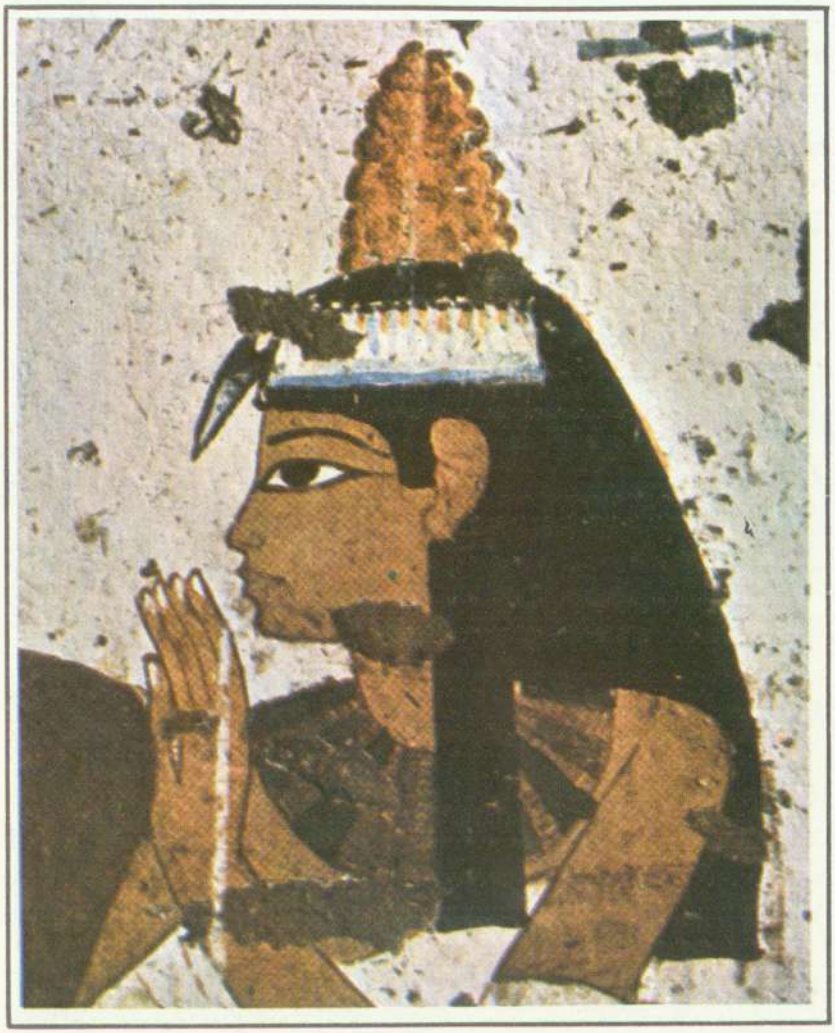
اما الفنان الهولندى الشهير (رمبرانت ١٦٠٧م - ١٦٦٩م) فقد طلبت اليه اسرة احد الأمراء ان يرسم فتاة تدعى ( ساكسيا ) ليرى الأمير الشاب صورتها قبل ان يشرع فى الزواج منها . وما ان بدأ الفنان عمله لرسم هذه الفاتنة حتى كان بينهما تعارف وثيق تحول الى إعجاب ثم الى حب جارف .. وانتهت اللوحة الخالدة للفاتنة (ساكسيا) لا ليبعث بها الى اسرة الأمير .. ولكن لتحملها ساكسيا معها الى بيت الزوجية بعد ان تزوجها الفنان نفسه . وجعل رمبرانت من عروسه (موديلا) للعديد من لوحاته التى تزين متاحف العالم حتى اليوم .

وفنان عصر النهضة المعجزة (رافاييل ١٤٨٣م - ١٥٢٠م) الذى مات فى ريعان شبابه فى السابعة والثلاثين من عمره ، أمضى حياته القصيرة وهو يتعبد فى جمال المرأة ، وعندما استدعاه البابا عام ١٥٠٨م إلى روما لتزيين قصر الفاتيكان ، تميزت لوحاته عن المرأة بشفافية وروحانية سامية نراها فى صور العذراء والملائكة .. وامضى حياته يرسم فى هدوء معتزلا الحياة خارج الفاتيكان ، وعكف على إبداعه فى خشوع المتعبد ، وانعكس هذا الصفاء الوجدانى على المرأة فى لوحاته فأضفى عليها سمات البراءة بعيدا عن اى ابتذال جنسى ، وكانه يحلق فى اطياف نورانية حول محراب الفن المقدس .

وإذا انتقلنا من عصر النهضة الايطالى (ليوناردو دافنشى) ورائعته ( الموناليزا ) و «موريللو» و «رافاييل» وغيرهم الى عصر النهضة الفرنسى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، نجد ان الفنان على ضفاف ( السين ) قد صور جمال المرأة فى ابهى روعة بصرية عرفها تاريخ الفن ، وتالق (واتو) و (بوشيه) و (شارون) و (جروز ) و (دافيد) و (انجر) و (جيرار) وغيرهم .

وعلى ذكر بوشيه ودافيد وانجر ، فلكل منهم قصة طريفة مع غانية من غانيات فرنسا الشهيرات : فقد كان بوشيه - مثلا - موهبة فذة فى الفنون الجميلة وحصل على جائزة الاكاديمية الفرنسية وهو فى العشرين من عمره ، وعندما تعرف على (مدام دى بمبادور) ، وجد فى جمالها الفاتن متنفسا لعواطفه الشابه الجياشة ، فرسم لها عددا كبيرا من اللوحات والرسوم ؛ تلك اللوحات التى جعلت منها كوكبا متالقا فى

# منهل الإلهام الدائم فى عالم الإبداع
## المرأة فى وجـــدان الفنان



إحدى إبداعات الفنان الفرعونى : صورة فتاة مصرية تبدو بها مقاييس الجمال التقليدى الشهير فى الدولة المصرية القديمة

صالونات باريس ثم فى صالونات اوربا كلها .. حتى صارت عشيقة الملك المدللة آنذاك ، واخرجت الفنان من حياتها بعد ان اوصلها الى التحكم فى العرش ذاته !

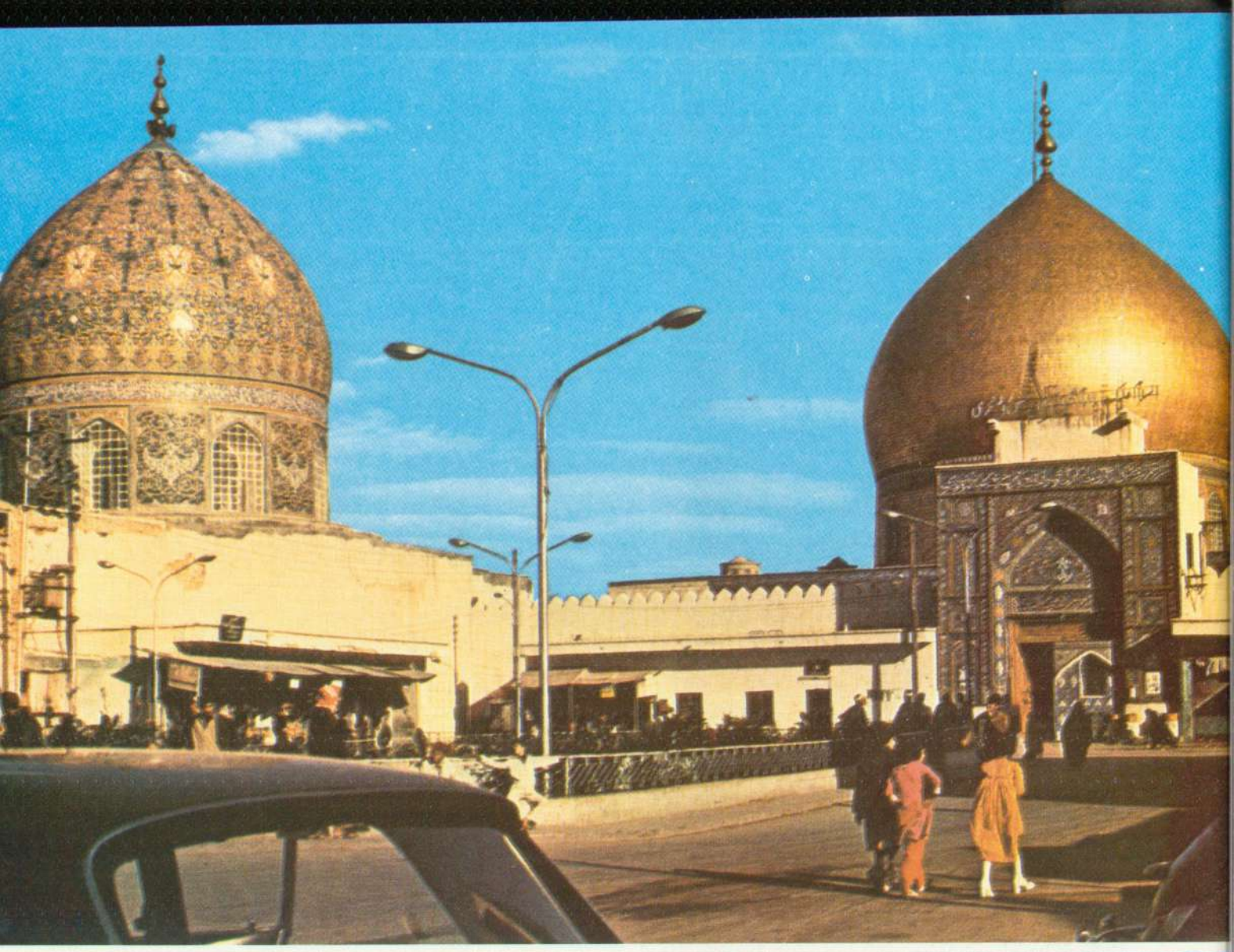
اما آنجر ودافيد وتلميذه جيرار فقد كانوا مولعين جميعاً باشهر فاتنات باريس فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ( مدام ريكامييه ) التى كانت نموذجاً رائعاً للجمال والأناقة والذكاء فى عصرها .. كما كانت صاحبة واحد من اشهر الصالونات الفنية فى باريس ، وقد سجل صورتها آنجر ودافيد وتعتبر لوحة دافيد فريدة من اثمن مقتنيات متحف اللوفر حالياً ، إلا أن مدام ريكامييه كانت تعجب اكثر بصورتها التى ابدعها تليمذه جيرار ، لا لشىء إلا انه ـ بذكائه وخبثه ـ قد اظهرها فى لوحة اقل من سنها الحقيقى ، فبدت اكثر شباباً وحيوية من كل صورها الأخرى .. إنها المرأة دائماً !

## غانية التاريخ البريطانى

وفى انجلترا ، برزت اسماء لامعة لكثير من الفنانين العظام .. هؤلاء الذين ارتبطت إبداعاتهم الخالدة بفتيات وصلن الى الشهرة العالمية ، مثل غانية التاريخ العسكرى البريطانى (اماليون) التى اصبحت ( الليدى هاميلتون ) ثم ارتبط اسمها المتالق بقائد البحرية البريطانية (سير ادميرال نلسون) .. وكان ذلك من فوق اكتاف الفنان الانجليزى الاشهر (رومنى) : فقد تعرف على هذه الغانية الشابة فى بيت احد اصدقائه وكان يدعى (تشارلس جريفيل) وبعين الفنان الفاحصة ، وجد فيها نموذجاً حياً لمقاييس (الموديل) ، وإلهاماً رائعاً للوحاته القادمة .. وتطوع تشارلس بان قدمها لصديقه الفنان دون مقابل .. وكاى سلعة تهدى وتباع وتشترى ، انتقلت (اماليون) الى بيت الفنان يحدوها الأمل فى الوصول الى الشهرة من خلال لوحاته التى تجد طريقها اولا باول الى متاحف العالم ومعارضه وصالوناته .. واصبحت اما (موديلا) لرومنى ، وزهرة لوحاته المتفتحة .. وكان لحمالها سحر نفاذ الى قلب الفنان الذى احبها ، وبالغ فى إظهار مفاتنها فى إبداعاته ، حتى اصبحت حديث اوربا كلها . وظل خمس سنوات كاملة يرسمها فى كل الأوضاع المثيرة ، حتى بلغ مجموع لوحاته لها اكثر من اربع وعشرين لوحة عدا مجموعة ضخمة من الرسوم السريعة والتفصيلية وطارت شهرة الغانية الفاتنة وتزوجت من (السير هاملتون) سفير بريطانيا فى إيطاليا .. ثم تعرفت على بطل البحرية البريطانيه الاسطورى (نلسون) عندما حل ضيفاً على زوجها السفير فى نابولى .. فهام القائد فى حبها متاثرا بشخصيتها الساحرة ، وبشهرتها الذائعة كزهرة لوحات الفنان رومنى ومصدر إلهامه . ومات زوجها السفير كمداً ، وسارع نلسون يعد العدة للزواج منها ، بعد ان قامت ما يشبه الثورة فى الحكومة ومجلس الحرب البريطانى على تلك العلاقة التى كانت حديث العالم حينذاك . ولكن الموت كان اسرع من البطل المغوار ، فقد قضى نحبه فى موقعة (الطرف الأغر) قبل اتمام مراسم الزواج .. وبقيت ذكرى هذا الغرام الجارف فى كتب التاريخ .. ولكن لوحات رومنى التى ابدعها الفنان متغنياً ومولعاً بجمال فتاته اللعوب .. هى الأخلد والأروع على مر العصور !

... وتتعدد القصص .. وتتزاحم الأمثلة .. وكان تاريخ الفن والفنانين العظام .. ما هو إلا تاريخ العلاقة الابدية بين الفنان وملهمته .. وتبقى الحقيقة ماثلة امام انظارنا : وهى ان المراة ـ كرمز للعطاء والحب والجمال ـ اصدق عناصر الابداع واخلده فى ضمير الانسان ما بقيت الانسانية ذاتها . إنها النبع الذى يفيض ابداً على قلب الفنان بالرواء العذب من فيض السماء .. والقبس الذى يسطع بنور البصائر .. لتظل الوجدان فى همس روحى دائم تناجى الله خالق الجمال !

جمال قطب



محمد رجب السامرائى

# سامراء
# مدينة ومعتصماه

## بناها سام بن نوح .. ودعا ألا يصاب أهلها بسوء

سامراء مدينة عرفها الزمن فصاغها قلادة علقت على صدر التاريخ .. هنا يدان تفترشان الارض ، واحدة تتجه الى التاريخ ، واخرى صوب المستقبل ، وبين الذاكرتين تسكن سامراء بهية بوجودها وبوجهها الملىء بحركة الاشياء .. زاخرة بالمئذنة والقصر الكبير .. كلاهما يتطاولان لتستظل بفيئهما دجلة .. وخطوات المعتصم تسمع .. وحدقتا المتوكل تتجهان الى سمائها أبداً فهى إذن فى المخيلة والذاكره خضراء بالوانها السوسنية الفواحة ..

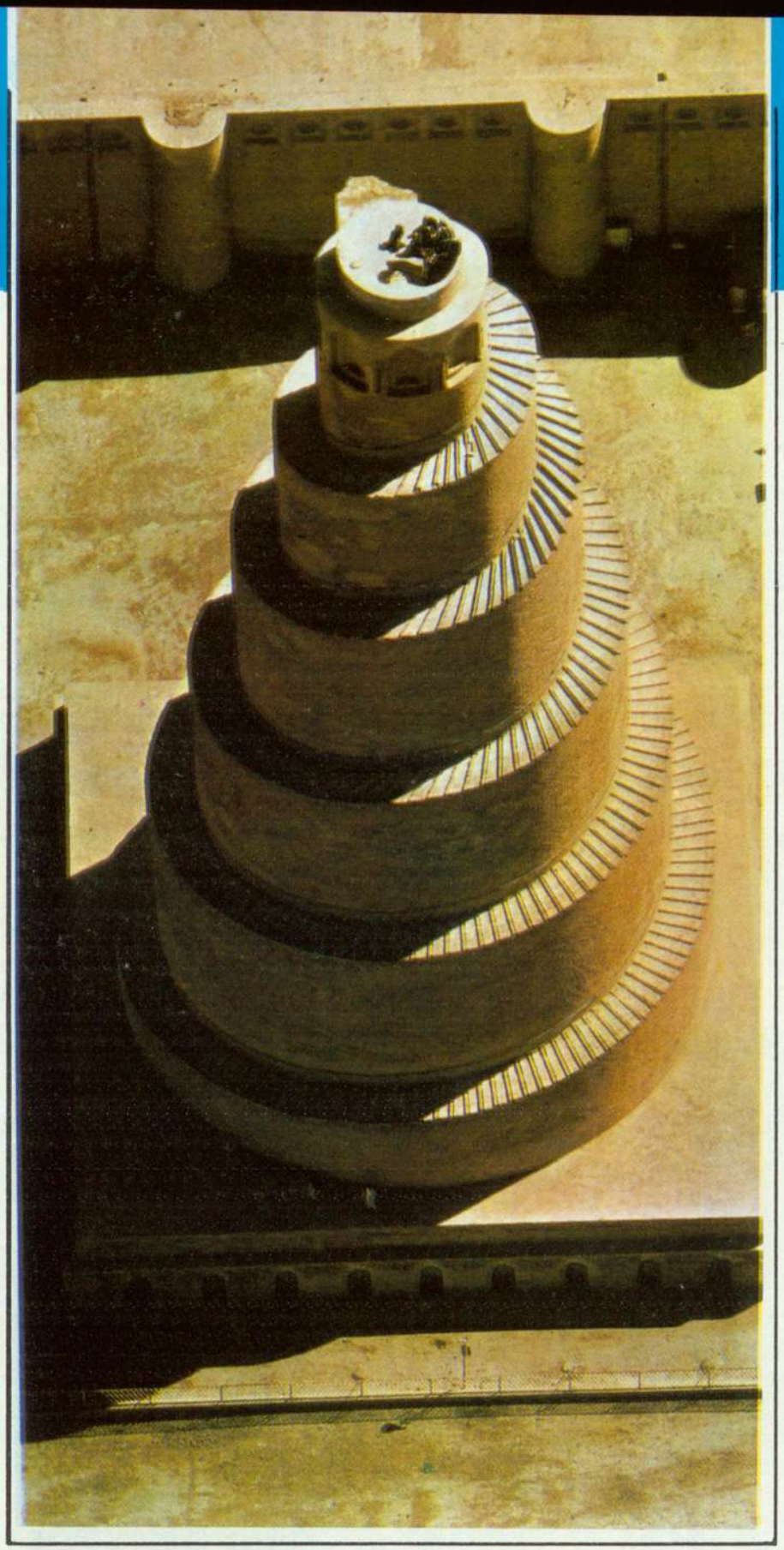
### احدوثة الزمان

ونبدأ توغلنا فى فجر سامراء الأول مع كلمات دافئة وشهادة تقدير فى رجل خدم التاريخ والحضارة .. انه الباحث العراقى الدكتور احمد سوسة إذ قال عنها فى شهادته الناجحة : «إذا افتخر الرومانيون بمدينتهم روما ، وإذا تبجح البابليون بعروس الشرق بابل ، وإذا افتخر الآكاسرة بطيسفون . والمناذرة بالحيرة ، فخليق بالعباسيين أن يفتخروا بمدينتهم العظيمة «سامراء» التى كانت احدوثة الزمان فى هاتيك الايام .....»

ونجد هذه المدينة القديمة معروفة قبل الفتح العربى ، ويحدثنا صاحب معجم البلدان ان ابراهيم الجنيدى قال سمعتهم يقولون «أن سامراء بناها سام بن نوح «ع»ودعا أن لايصيب أهلها بسوء» . وقد أظهرت التنقيبات الأثرية فى أطلال سامراء أن موضعها كان أهلا بالسكان منذ أدوار ما قبل التاريخ .. وأثبتت التنقيبات أن هذه المدينة كانت مدينة قديمة يعود تاريخها الى ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

وقد اكتشف المنقب الالمانى البروفسور

# سامراء
## مدينة وامبتصماه



المئذنة الملوية ـ سامراء

هرتسفلد الذى عمل فى سامراء مقبرة كانت ظاهرة للعيان قرب نهر دجلة فى سامراء .. فثبت لهرتسفلد أن كلا من القبور الفخار المصبوغ الذى وجد فيها يعود الى أزمان الدور الحجرى المتأخر أو العصر الحجرى الحديث (العصر النيوليثي) .

شيدت هذه المدينة كما هو معروف فى عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله (أصغر ابناء هارون الرشيد) ، وذلك سنة ٢٢١هـ ـ ٨٣٦م . فى غضون القرن التاسع الميلادى ،اى بعد تشييد بغداد ـ دار السلام بنحو خمس وسبعين سنة .

## قصة بنائها

ونرجع مستعينين بالمصادر التاريخية لنتصفحها ونقرأ على صفحاتها المنقوشة بالحبر قصة بناء عاصمة الخلافة الاسلامية والعباسية سامراء لكى نتعرف سوية على الأسباب التى حدت بالخليفة المعتصم الى بناء عاصمة له من بعد دار السلام . فى حين نعلم أن الأخيرة لم يكن قد مضى على إنشائها من قبل المنصور حوالى أكثر من نصف قرن من الزمان .

ونقرأ فى بطون الكتب انه بعد تحديد المعتصم واختياره لعاصمته الجديدة استقر به الرأى أخيراً على موضع يقال له إنه موضع مدينة « سام بن نوح » .. وبعد أن اتجه المعتصم الى موضع سامراء ، وبنى مدينته الجديدة حتى نجد الناس قد تبعوه ، وتركوا بغداد فكادت الأخيرة : « أن تخلو من السكان إلا اليسير » كما ذكر ذلك المؤرخ اليعقوبى ، وبناها بسبب تقريب العنصر التركى ومضايقتهم لسكان بغداد وتذمرهم منهم فقرر بناء سامراء » .

وتراءت سامراء لقادميها إبان بنائها كأنها عروسة مكللة بالورود والأزهار والرياحين ، حتى أدهشت الزائر الذى يمر بها ، وتجذبه بجمالها ولا يبرح المدينة أبداً ليبقى عاشقاً يناجيها فى كل حين ، ولتسكنها ما عاش من السنين بين رحابها.

وبعد أن ترعرعت هذه العاصمة الفتية حتى نجد ابوابها قد اشرعت على مصراعيها لترحب بالقادمين إليها من كل حدب وصوب ، لتضمهم على صدرها الحنون . فهبط إليها الشعراء والأدباء واصحاب الفنون والمغنين والمغنيات فى العصر العباسى الثانى .

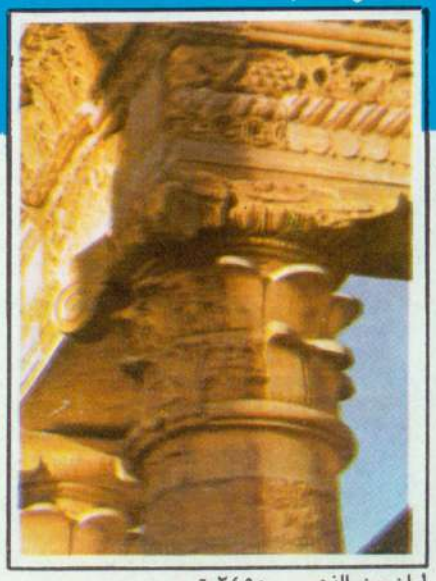
وعلى سبيل الذكر فقد عاش فى سامراء من هؤلاء الوافدين نحوها : الشاعر ابو تمام الطائى، والبحترى عاشقها الولهان وواصفها الفتان ، والحسين بن الضحاك ، وعلى بن الجهم ، وابراهيم الصولى ، وعبد الله بن المعتز ، وابن الرومى .. واسحاق الموصلى ، ومخارق وعلوية وشارية ، وعريب .

## الرحالات العربية

مدينة سامراء بهجة الزائرين ومهبط القاصدين التى إزدانت ولا تزال بجامع الجمعة ومئذنة، العجيبة «الملوية» وقصورها الزاهرة ومنشاتها الفخمة ، استمرت عبر القرون تفيض ثقافة واصولا اجتماعية ومواضيع علمية وفنونا بديعة صارت مصدراً للوارثين ومعيناً ومنهلا للدارسين واهتمام المؤرخين والآثاريين والرحالين فى مختلف العصور .

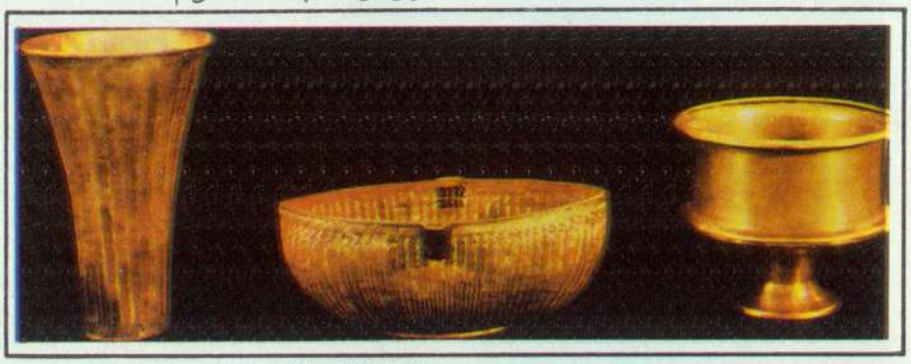
وسامراء كاحدى الدول العربية التى قدم إليها الرحالة العرب وشدوا رحالهم صوبها للتعريف بها .. فها نحن الآن نشد رحالنا لنرحل معاً الى كتب الرحالة ولنقف على ما دونوا عنها . فقد كتب

احد عقود المعابد



آوان من الذهب ـ ٢٤٥٠ ق.م

**استمرت سامراء عبر القرون تفيض ثقافة وأصولاً اجتماعية ومواضيع علمية وفنوناً بديعة صارت مصدراً للوارثين ومعيناً ومنهلاً للدارسين**



الساعة الذهبية للصحن الشريف



عن هذه المدينة العريقة ابن جبير وابن بطوطة وابن العبرى واليعقوبى والمستوفى .. كما زارها من الرحالة الأجانب «تافرنييه» و «ينبور» و «ريج» و «جون أيثر» و «ولسن بوج» .

ومن كتب بعض الرحالة ندون ما قاله ابن جبير عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) . فقد ذكر عن سامراء فى رحلته فقال : «ونزلنا فى الصباح من يوم الخميس الثانى عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق . ويقال انه كان متفرجا لزبيدة إبنة عم هارون الرشيد ، وعلى قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينة سر من رأى وهى اليوم عبرة من رأى اين معتصمها ووائقها ومتوكلها .... »

ونستمر فى قراءة ما كتبه ابو الحسن على الهروى عن ذكر سامراء حينما دخلها سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) .. فيذكر « .. مدينة سامراء وقيل سر من راى بها الامام علي الهادى ولد بالمدينة .. وبها من الخلفاء .. المتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدى والمعتمد والواثق وجامعها موضع شريف به المعجون كانه المراه يبصر المتوجه الى القبلة الداخل والخارج من الشمال وبه المنارة وعمارتها تشاكل منارة ابن طولون فى مصر وبها آثار تدل على عظمتها ... » .

واما الرحالة العربى المعروف ابن بطوطة فنرحل معه فى رحلته فدون عنها « سر من راى ويقال لها سام بن راه ومعناه طريق سام و«راه» معناها الطريق .وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل . ووصف هواءها بانه معتدل وهى رائقة الحسن على بعدها ودروس معالمها ... » .

## طراز سامراء

لكل مدينة طراز تعرف به وتشتهر .. والذى يزور اليوم متحف سامراء أو المتحف العراقى فى بغداد فانه سيجد تلك الجدران الزخرفية التى كانت بيوتات سامراء آنذاك تنقش على جدرانها .. ونحن نجد ان الفنان قد ابتكر فى العصر العباسى فناً زخرفياً له اسلوبه وطرازه ، إذ يمتاز اسلوب هذه المدينة على طريقة الحفر المائل التى عرفت «بطراز سامراء» نسبة إليها، إذ يمتاز هذا الأسلوب المائل بالزخارف النباتية التى تؤلف مراوح نخيلية وانصاف مراوح . وقد عثر فى حفريات سامراء على هذا الطراز الذى يتمثل فى الزخارف الجصية على تيجان اعمدة من الرخام المعرف ، عثر عليها فى مدينة الرقة .

وعندما نتامل تلك الزخارف ونقف امامها لكى نسترجع تلك الأنامل التى ابدعتها فى تلك الأيام الماضيات فان هذه الزخارف ستفصح لنا عن الطابع الاسلامى الذى اعتمد على الفروع النباتية ، ولم يقتصر هذا الاسلوب على الجص والحجر والرخام بل استخدمه الفنان فى الخشب ، وانتقل طراز سامراء الى مسجد احمد بن طولون إذ وجد على الجدران والعقود والنوافذ وفى داخل العقود الخشبية لقصر ابن طولون ! .

أما بيوت سامراء فاننا نجدها كما يصفها لنا المؤرخون بانها كانت تتالف من طابق واحد ، وتمتد فى الغالب على ضفاف النهر كما هو الحال اليوم إذ نجد البيوت العامرة تمتد كشريط ملون بمحاذات دجلة وهى ترتفع فوق طبقات الصخور الصلدة التى تتكون منها المدينة وتربتها الصالحة للزراعة .. وطراز البيت عبارة عن مدخل مسقوف يؤدى الى فناء مستطيل . وفى كل بيت قاعة كبرى على شكل حرف تي باللغة الانجليزية ، وحجرتان فى الركنين على جانب العرض .. كما يحتوى البيت السامرائى على قديم على سرداب تنام فيه العائلة اثناء فصل الصيف

# سامراء
# مدينة وامعتصماه

إذ تكون درجات الحرارة منخفضة فيه . ولا تزال السراديب منتشرة فى البيوت القديمة البناء

فى سامراء حتى يومنا هذا إذ تنام الاسرة فى وقت القيظ طلباً للبرودة .. والبعض الآخر تركها نظرا للتطور الذى حصل فى الأجهزة الكهربائية ودخول اجهزة التبريد المكيفة المتطورة ..

## أرباب للمهن

إن قيام عاصمة جديدة للخلافة .. يتطلب بادىء ذى بدء ، عددا كبيراً من العمال . لذلك فقد شرع المعتصم بالكتابة الى البلاد والأشخاص الفعلة والبنائين واهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر المصنوعات وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها .. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، ومن الكوفة من يعمل الخزف والادهان ، ومن سائر البلدان من اهل كل مهنة وصناعة فانزلوا بعيالهم بهذه المواضع ، واقطع فيها ، وجعل هناك اسواقا لاهل المهن بالمدينة ...

واليوم عندما يقف المرء والزائر لهذه المدينة فانه سيشاهد الشارع الأعظم وشارع الخليج الذى يمتد حاليا على شاطىء دجلة وبمحاذاته ، فقد كانت السفن ترسو فيه وهى محملة بالتجارات والبضائع من مدن شمالى العراق وجنوبه .

ونتعرف معا إنه لما بنى الخليفة المتوكل على الله المسجد الكبير الجامع ووسعه ـ عند ملوية سامراء (المئذنة الحالية) ، فانه الخليفة قد جعل على الطرق المؤدية له حوانيت فيها اصناف التجارات وتباع فيها مختلف الحاجيات. كما انشا المتوكل على الله فى المدينة التى بناها شمالي سامراء ـ المتوكلية ، سوقاً كبيرة ، واسواقاً فرعية متوسطة وصغيرة مثل التى إبتناها في سامراء العاصمة ...

## اسماء سامراء

إذا قرات عن سامراء فستجد لها اسماء مختلفة ، فى كتب التاريخ والجغرافية ودواوين الشعر وكتب الادب التى اسهبت فى التغنى بها..

ومن اسمائها :

● سر من رأى . وهو أول اسم اطلق عليها بعد ان بناها المعتصم لانها تسر الناظرين وتدخل الى قلوبهم الغبطة .

● سرور من رأى : وذكره ياقوت الحموى ، ولما عمرت وكملت وإتسق خبرها وإحتفلت سميت «سرور من رأى» .

● سر من را : ورد هذا الاسم فى شعر البحترى وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

● سر من راء : قال فيها البحترى :

لأرحلن وآمالى مطرحـــة
«بسر من راء» مستبقى لها القدر

● سامرا : قال ابن الرومى حينما كان يتردد على سامراء :

فلا تتركوا رد السلام إذا جرت
شمال على نائى المحل غريـــب
غريب له نفسان : نفس بواسط
ونفس بـ « سامـــرا » بكف حبيب

● ساء من رأى : ونقرا هذا الاسم فى «احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى» حول تسميتها : « فلما خربت وصار الى ما ترى سميت ساء من رأى .

● سامراء : وهذا الاسم هو ما تعرف به اليوم .. ولكننا نجد تعليلا لهذا الأسم فى كتاب ياقوت الحموى .. :« فلما خربت ـ اى سامراء ، وتشوهت خلقتها وإستوحشنا سميت ساء من رأى ثم ثم اختصرت فقيل : سامراء

## العلم والأدب

وعلى الرغم من أن رحلتنا الى مدينة سامراء لا تزال فى منتصفها فلا بد من القاء حزمة من الضوء على جانب العلم والأدب فيها . ولا باس فى ذلك ولا ضير علينا . ونجد انه لما اصبحت سامراء موطناً وعاصمة للخلافة ، فانه تهيأ لها من أن تحتل المركز الاول بين المدن الاسلامية الكبرى حتى بغداد ذاتها ، فاصبح للأولى شان وشاو واضح فى الميدان السياسى والتاريخى والعمرانى وفى مجال الفن ، بل كان لها تاثير مباشر على بغداد من ناحية الحضارة والتجارة.

وعندما نتصفح ما دون عن سامراء من مؤلفات باقية فاننا نجدها قد خطت خطوات واسعه وحثيثة فى مسارب الحضارة حتى غدت أملا يراود اذهان الكثيرين ، ومبتغى لذوى المطامح والمناصب . وكان الناس آنذاك إذا اصيبوا بضائقة ما او قل عملهم فانهم كثيرا ما كانوا يبرحون مناطق سكناهم ويشدون الرحال نحو سامراء طلباً للعمل وتحصيل الرزق الحلال .

ولاهمية هذه العاصمة ، فقد قال احدهم عنها بقوله :« لو دخلت الى سر من رأى لما اقمت بها إلا شهرا واحداً حتى تتقلد احد الأعمال .. » .

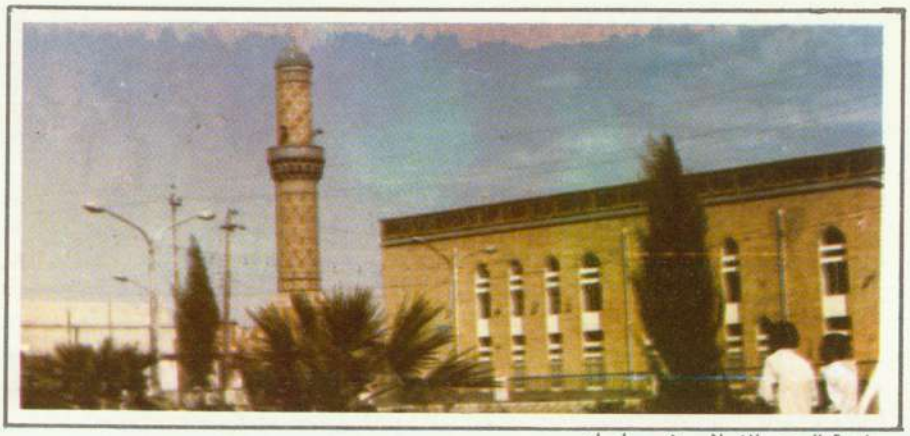
ولكن ماذا عن العلم والأدب فى سامراء ؟ وهل نتحدث عنهما ولو باشارة لامحة ؟ حسن أيها الكرام.لقد كان العلم والادب فيها يسيران كصديقين حميمين لايبرح احدهما الآخر فى هذه المدينة يعيشان ويترعرعان فى اكناف الخلفاء وكان هؤلاء يعضدون العلماء والأدباء ، ويمدونهم بجزيل العطايا وكثير من الهدايا ، مما دفعهم الى صوب العمل الدؤوب والابداع الفنى.

إذن هل اصبحت سامراء منارة للعلم ومهبطا للادباء؟ بدون شك انها كذلك لانها اصبحت تشع العلم والأدب من بين جنباتها فاهتدى بنورها الوهاج من ضل الطريق .. ونقرا لكم ما روى عن الكندى الذى اهدى كتابه فى الفلسفة الاولى الى المعتصم وكتابيه :« مختصر الموسيقى فى النغم » و « استعمال الحساب الهندى » . وأما الجاحظ فقد اهدى للوزير محمد الزيات كتابه «الحيوان» والبيان والتبين لأحمد بن ابى دؤاد . والزرع والنخل لابراهيم الصولى . فى حين اهدى البحترى حماسته للفتح بن خاقان . وفى سامراء اتم ابن السكيت كتابه «إصلاح المنطق» وعلى بن ربن «فردوس الحكمة » .

وعن علماء اللغة والنحو فقد حفلت بهم سامراء وكانت منتجعاً لهم ومرتاداً يختلفون إليه وكان الخلفاء العباسيون يجرون اختبارات عليهم فى كل شهر . وسمعت بأن أبا عثمان المازنى بعد أن طلبه المتوكل للسكن فى سامراء .. ودرس فيها وناظر وجادل .. فانه لا يلبث أن طفق راجعاً للبصرة وكان يتسلم راتباً شهرياً مائة دينار حتى وفاة الواثق فقطعت عنه . واقام فيها محمد بن يزيد المبرد النحوى وابو العباس ثعلب ...

## وامعتصماه

عندما تزور سامراء اليوم وتقف متاملا لتلك الآثار الباقية فانك لابد أن تسمع صدى يراود ذهنك وياخذك معه الى خارج الآفاق الواسعة لتتذكر قصة فتح عمورية والتى كان بطلها الخليفة المعتصم بالله . وكذلك تذكرنا بقصيدة الشاعر العربى ابى تمام الطائى ، وبائيته التى تعد من روائع قصائد شعرنا العربى والتى صور فيها الطائى انتصار العرب بقيادة المعتصم على الروم البيزنطيين . إذ وصل للخليفة المعتصم وهو جالس فى مجلسه خبر من رجل أبلغه بأن



واجهة المعهد الاسلامى فى سامراء

# قصة فتح عمورية .. وبطولة الخليفة المعتصم بالله

امراة هاشمية فى السر نادت بقولها: وامعتصماه .. وامعتصماه.

اى عمل يقوم به الخنيعه بهذا النداء العربى؟ هل يبقى فى مكانه ويرسل التهديد؟ ام تبقى الامراة الهاشمية العربية تنال من العذاب مالا يحتمله جسدها الدامى ؟ إن النخوة العربية والشهامة الحقة قد زعزعت كيان الخليفة فامر بتجهيز جيش معد بالعدة والعدد فتوكل على الله مخترقا حدود العراق متجها نحو عمورية وحاصرها .. رغم الجو التعيس الذى قاساه الجيش الفاتح .. بعدها تم بحمد الله فتح عمورية المحصنة واطلق سراح الامراة الهاشمية .

وصل الخبر بنصر الخليفة مع انسام الهواء لتلامس وجه سامراء عند احد الصباحات الجميلة .. ووصل الموكب المنتصر .. و هنا جاء دور الشعراء لكى يهنئوا الخليفة على شكر الله والحمد له فى العودة الحميدة . فالقى فى حضرته ابو تمام الطائى قصيدته الرائعة :

السيف اصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف
فى متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الأرماح لامعة
بين الخميسين لا فى السبعة الشهب

وهكذا تم الفرح الادبى وحفلت الكتب برواية هذا الفتح المبين بعونه تعالى بعد أن خرجت الجحافل من سامراء لعمورية فى تركيا ...

## شواهد حضارية

والقادم من السامراء سيلوح له من بعيد عدد من الشواهد الحضارية الاسلامية والتى تحدت الزمن وحروف الدهر وبقيت خالدة الى يومنا هذا تذكر الأجيال القادمة بعظمة هذه الأمة وعطائها الفياض .

فبعد أن تجتاز الجسر الذى يربط ما بين ضفتى نهر دجلة والذى تتحكم سدته (سدة سامراء) بمناسيب المياه وقت الفيضان فانت ستدخل امام حديقة غناء وبناء مرتفع قديم .. وتطوف فى الشارع المؤدى الى قلب سامراء لتستدير يسرة ولتقف امام ضريح الامام على الهادى وابنه الحسن العسكرى «ع» .. ولترى القبة الذهبية والتى تعتبر اكبر قبة ذهبية فى العالم إذ يبلغ عدد قطعها الذهبية « اثنان وسبعون الف قطعة » اضافة الى الزخارف والنقوش والابواب وسرداب الغيبة .. والجامع الكبير فى سامراء وبجانبه المعهد الاسلامى فى المدينة حيث تدرس فيه العقائد الاسلامية والنحو والصرف واصول الدين ..

وتنعطف قليلا لتطالعك تلك الطرقات الضيقة القديمة والبيوت ذات الشناشيل والعقود والزخارف والتى اندثر اليوم اغلبها وتبتعد قليلا لتواجه ناظريك البيوت الحديثة الطراز .. ولتقف امام جدار باق طوله حوالى سبعة امتار



مدخل المدينة



سور ملوية

وارتفاعه عشرة امتار وبه فجوة . وعندما تسال على هذا الجدار ، فيجيبونك بانه جزء من سور المدينة القديمة منذ زمن المعتصم وقد هدمه اهل المدينة لكى تمتد مساحتها الى مئات الامتار البعيدة عن هذا السور الوحيد . إذ كانت المدينة محاطة بسور يحتوى على اربعة ابواب والمدينة فى وسطة ..

وعندما تغادر هذا الجزء التراثى وتحت ظلال الاشجار وفيئها البارد فانك ستشاهد السور الكبير وجامع الجمعة وتنعطف يساراً ويمنة لتقف امام المئذنة الخالدة «الملوية ـ منويه سامراء» والتى عرفت بها .. والتى تقف شامخة كالطود بعد أن تكسرت على ادراجها موجات السنين الذاهبات الى غير رجعة ...

ونستمع الى صدى التاريخ ونحن نقف بجلال امام المئذنة التى كان صوت الله اكبر ينطلق من قمتها خمس مرات يومياً مناديا لاقامة الصلاة فى جامعها الكبير ... فنستمع الى صوت يحدثنا بقوله : لقد انفق المعتصم خمسمائة الف دينار ذهب وبنى حوله المنارة الملوية .. وارتفاعها اثنان وخمسون مترا .. ويرقى إليها (الملوية) بواسطة سلم من الآجر الاحمر باتجاه عكس عقرب الساعة . وتتكون المئذنة من ستة طوابق اضافة الى القاعدة المربعة وكانت جدرانها مزينة بالزجاج الملون والذى تنعكس فيه اشعة الشمس الذهبية فتبهر العيون وتخلب الالباب ..

وزائر سامراء اليوم يستطيع ان يشاهد مئذنة اخرى غير هذه التى فى سامراء . ولكنها اصغر منها إذ يبلغ ارتفاعها حوالى تسعة عشر مترا وتقع فى مدينة المتوكلية شمال سامراء وعلى مسافة عشرة كيلومترات . فى حين اكتشف فى الأشهر القليلة الماضية من قبل الهيئة العامة للآثار على ملوية ثالثة فى سامراء .

## دار الخليفة

ونغادر سامراء متجهين عبر شارع معبد لنشاهد تل صناعى . ونتعرف عليه بانه «تل العليق» او ما يطلق عليه باللغة العامية المحلية فى سامراء باسم « تل العليج » وهو مخروطى الشكل يبلغ قطره حوالى مائة متر محاط بخندق واسع ، فى حين يبلغ قطر السور المحيط بالخندق نحو اربعمائة وخمسين مترا .

واما سبب تسمية هذا التل بالعليق فيعلله الناس برواية يتناقلونها ابا عن جد . حيث يروون ان التل تكون من التراب الذى نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم !! .

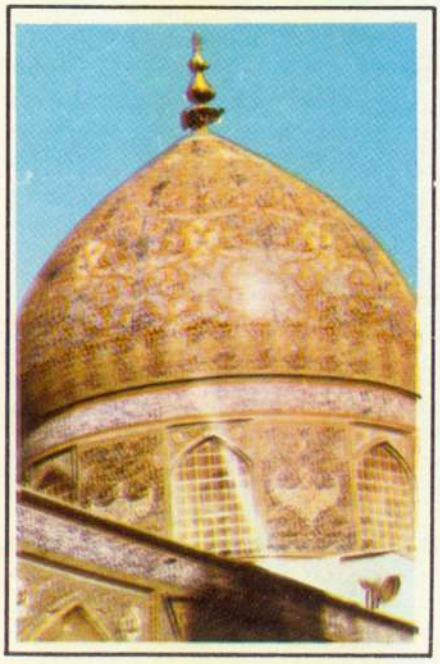
وننظر الى الجهة المقابلة للتل من جهة نهر دجلة فنشاهد اطلالا واسوارا باقية .. فنتوجه اليها فنشاهد الجدران الباقية والاطلال الدوارس .. ونقف عند ثغرة صغيرة .. ونصل بعد دخولنا

# سامراء
## مدينة وامستحماه

● عاداتها عربية أصيلة .. وتقاليدها موروثة



ميدان سامراء وتظهر منارة جامع حسن باشا



قبة المهدى

الى شكل مستطيل وبه اعمدة واطئة .. ونعرف انه بهو السباع حيث كان الخليفة يعاقب المجرمين والمخالفين بوضعهم مع هذه السباع الجائعة .. ونخرج من هذا البهو سالمين ونغادره الى جهة النهر لنقف امام بناية مرتفعة يبلغ ارتفاعها سبعة عشر مترا وتتالف من ثلاثة اواوين راسية العقد اكبرها الايوان الوسطى وهو مستطيل إذ يبلغ طوله سبعة عشر مترا ونصف وعرضة ثمان امتار . وجداراه الجانبيان يحملان عقادة راسية ترتفع قمتها عن الأرض حوالى اثنى عشر مترا .

ومن الكشوفات الأثرية عرف بان هذا الباب كان يفضي فى الاصل الى عدة قاعات كبيرة ، تؤدى الى غرف الخليفة المعتصم وقاعة العرش

ونلاحظ عن يمين الشارع خندقا واسعا نعرف انه البركة الحسناء التى وصفها الشاعر البحترى بقوله :

يامن رأى البركة الحسناء طلعتها
والأنسات إذا لاحت مغانيها

ويقضى اهل المدينة اوقات العطل والمناسبات واثناء فترة الربيع حيث تكون الارض مفروشة ببساط اخضر ودجلة تغرد فيه الطيور وتسبح فيه الاسماك من أجل الحصول على قسط من الراحة والتمتع بهذه المناظر الخلابة . اضافة الى مايؤم سامراء يوميا من مختلف انحاء العالم مئات من الزائرين والسياح الاجانب .

## قصر العاشق

وقبالة دار الخليفة وعبر نهر دجلة تلوح لنا اطلال اخرى وهى : قصر العاشق (المعشوق) وقبة الصليبية . ويقع قصر العاشق او كما اطلق عليه المؤرخون (المعشوق) بنحو عشرة كيلومترات شمال سامراء من الجهة اليمنى لدجلة . بناه المعتمد بالله قبل ان يترك سامراء نهائيا ويرجع عاصمة الخلافة الى بغداد . وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله مائة وواحد وثلاثون مترا وعرضه ستة وتسعون مترا ويدور حول القصر خندق واسع وذكره البحترى بقصيدته .

لازال معشوقك يسقى الحيا
من كل داني المزن واهى الخروق
لم ار كالمعشوق قصراً بدا
لأعين الرائين غير المشوق

وعن يمين قصر العاشق تنتصب قبة مثمنة الشكل تتوسطها قاعة مربعة .. أما عن اصل هذه القبة ، فيروى : انها كانت ضريحا لأحد الخلفاء . فيما يعتقد الآخرون انها كانت قنطرة على راس الجسر فى الجهة الغربية .وهى فى ذات الوقت قبة حراس الجسر لوقوعها امام الجسر مباشرة .

وسبب تسميه هذه القبة المثمنة بـ«الصليبية» فهو مشتق من صلب بعض الاشخاص .. ولكن هرتسفيلد يرى انها ضريح الخليفة المنتصر على رواية الطبرى .وهو اول خليفة عباسى فيما قيل عرف قبره ، والله أعلم ؟

ومن شواهد سامراء الأخرى والتى لاتزال مطلة فوق تراب هذه المدينة تل الصوان والذى عد من اقدم المدن القديمة .. وفيها معمل للزجاج إبان ذلك العهد .. وهناك آثار تسمى (القائم) وسور لقادة المعتصم قرب ملوية سامراء عيسى وإشناس وقصر بلكوارا...

إضافة الى الشواهد الحضارية .. فتشتهر سامراء وتعرف بزراعة الرقى والبطيخ .. وخاصة بطيخ سامراء المعروف فى كل مناطق العراق .. لخصوبة تربتها وطيب هوائها .. إذ كانت سامراء تصدر البطيخ عن طريق دجلة وذلك بوضعه فى الكلك وهو«عبارة عن وعاء من الخشب يشبه الزورق النهرى وهو على شكل دائرى .. » ولايفوتنا ذكر عادات سامراء وهى عادات عربية اصيلة تشابه كل ما فى المدن العربية وما يربطها من تقاليد دوروثة .. فالزواج من عاداته انه قبل ان يزف العريس فانه يذهب فى سيارات تطوف المدينة وشوارعها وسط الاغانى والاهازيج . بعدها يذهب الى ضريح الامام على الهادى ليؤدى الصلاة هناك وهى صلاة العشاء ويغادره محفوفا بالاحبة والأصدقاء .

وكانت النساء فى هذه المدينة قبل سنوات يذهبن الى ملوية سامراء ويصعدن الى قمتها ومن فوقها يلقين بعباءاتهن السوداء وذلك طلباً للحظ والامانى فان انفتحت العباءة فتكون الامنية متحققة باذن الله . وإن لم تنفتح فقد تخيب امنيتها وهى اليوم زائلة.

وتغادر هذه المدينة بعد ان أخذت الشمس بالدخول الى مغيبها ولتبقى فى خدرها الى الصباح الباكر .. وهكذا فسامراء اليوم لصيقة بالوجد والقصائد فهى ستظل معلقة بين مصابيح لا تنطفىء .. تملأ وجوهنا ووجوه زائريها يوميا من كل بقاع الدنيا برائحة الماضى وبضياء الامامين .. لكى تمتزج فوق اعمدتها واطلالها رياح الجهات الاربع .. وتبقى ملويتها أسرة للقلب ، وإذ تستدق نهاياتها ، فلان بداياتها واسعة مثل عينى سامراء !

محمد رجب السامرائى



يعقوب الشاروفى

## دراسة فى أدب الطفل

# الحكايات: ماذا تقدم للأطفال؟

استقر رأى رجال التربية وعلماء النفس ، على أن الاسلوب القصصى هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها كافة ما نريد تقديمه للأطفال ، سواء كان ذلك قيماً دينية أو أخلاقية ، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية ، توجيهات سلوكية أو اجتماعية .

إن حب الاطفال للقصص والحكايات ، أمر شائع ومعروف . فالأسلوب القصصى ، بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث ، يمكن أن يكون الوعاء الذى نصب فيه كافة ما نريد تقديمه للأطفال .

كذلك فان من أهم وسائل تنمية وعى القراءة ، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة ، أن نقص القصص للأطفال ، وأن نعاونهم على قص القصص بأنفسهم .. أن نقرأ لهم القصص ، وأن نشجعهم على أن يقرأوا القصص بأنفسهم ، لأنفسهم ولغيرهم .

إن للقصص دورا هاماً فى التربية ، سواء من ناحية توجيه السلوك ، أو تنمية الخيال ، أو تنمية الاحساس بالجمال ، أو ادخال المتعة ، أو ترقية اللغة .

كذلك فان توجيه الاطفال ، بعد استماعهم الى قصة أو قراءتها ، لرسم أحداث منها ، أو اعادة كتابتها ، أو تمثيل بعض مواقفها ، يساهم كثيرا فى تنمية خيال الأطفال ، وقدراتهم الفنية واللغوية

كذلك فان تشجيع الاطفال على اعادة قص القصة وروايتها ، ينمى فيهم القدرة على التركيز ، وسلامة التعبير ، وقوة الملاحظة ، كما ينمى فيهم الشجاعة والثقة بالنفس .

إن القصة هى الوسيلة الفنية

المثالية ، التى لابد من استخدامها ، لكى نوصل الى الطفل كافة المعلومات والقيم

## اختيار القصة :

ولكن ليست كل قصة صالحة للأطفال فكثير من القصص التى تقدمها الكتب أو وسائل الاعلام للأطفال ، تتضمن مفاهيم ونماذج سلوك كبيرة الخطر على الأطفال وكثيرا ما نترك أطفالنا تحت تأثير مثل هذه القصص ، التى تقدمها بكثرة محلات الأطفال فى قصصها المسلسلة المرسومة (الكومكس) ، او التى تقدمها البرامج المرئية (التلفزيون) .

وهذه الدراسة محاولة للتنبيه لأخطر ما تتضمنه القصص الشائعة ، التى تقدمها عادة وسائل الاعلام الواسعة الانتشار ، والتى كثيرا ما تقدم للأطفال مفاهيم خاطئة .

إن القصص من أهم المصادر التى يعتمد عليها الطفل فى معرفة حقائق الحياة ، ومن أخطر الأمور أن نقدم لأطفالنا قصصاً تؤكد لديهم قيماً أو نماذج سلوك خاطئة أو منحرفة .

ويلاحظ فى هذا الصدد ، أن هناك قصصاً يمكن أن نعدل فى أحداثها ومواقفها حتى تناسب الأطفال . فمعظم القصص الشعبية ، بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الاخلاق ، ومع ذلك فقد أعيدت كتابة عدد كبير منها ، لتنقيتها من هذه الشوائب ، مع الاحتفاظ بما فيها من جاذبية وتشويق .

أما اذا تعذر تنقية القصة مما بها من شوائب ، فيجب استبعادها تماماً من دائرة أدب الأطفال .

## العنف كوسيلة لحل المشاكل :

ومن أكثر النماذج السيئة التى تقابلنا فى قصص الأطفال ، تلك القصص التى تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، أو التى تجعل القوة البدنية هى العامل الأقوى فى حسم مختلف المواقف ، وذلك مثل قصص «طرزان» أو «سوبرمان» أو «الجاسوسية» والتى لاتحتوى على أى قيم انسانية أو أخلاقية .

إن تاريخ الحضارة ، هو تاريخ احلال العقل محل القوة . وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل «طرزان» ، الذى تربى بين الحيوانات ، والذى لايعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية فان الأطفال سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل فى حل المشكلات بدلا من القوة ، وهو أمر يتنافى مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال . فأول ما نهتم بغرسه فى أطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، وذلك عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل .

إن «الأوديسا» عندما تحكى قصة «أوليس» مع «السيكلوب» ذو العين الواحدة ، تبين كيف استطاع الانسان الضعيف بجسمه القوى بعقله أن يتغلب على ابن الآلهة ، القوى بجسمه ، الضعيف فى عقله . ومن غير المعقول أن يعلم اليونان القدماء ، أبناءهم ، قبل ثلاث الآف سنة ، الاعتماد على العقل بدل القوة ، ثم نأتى نحن ، فى نهاية القرن العشرين ، لنقص على أطفالنا قصص طرزان وسوبرمان والجاسوسية التى اشرنا اليها ، فنلغى بها كل انجازات الحضارة عندما نؤكد بما نقدمه لأطفالنا من تلك القصص ، ان القوة هى الوسيلة المثالية الحاسمة لحل كافة المشكلات التى تواجه الانسان.



## العطف على قوى الشر:

كذلك يجب تجنب القصص التى تتضمن اثارة العطف على قوى الشر أو تمجدها مثل القصص التى يتغلب فيها الشرير على الشرطى أو على ممثل القانون .

إن بعض من يقدمون مثل هذه القصص ، يدافعون عنها بقولهم أنهم يعرضون صور السلوك الخاطئة ، لكى يقوموا بادانتها فى خاتمة القصة .

لكن ماأشد خطأ هذا التصور .

إن الأطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التى يقرأونها أو نحكيها لهم ، لما فى تلك المواقف من حركة وتشويق . فاذا كانت تلك المواقف تتضمن انتصار الشر أو تمجيده ، واظهار بطولته ، فان هذا هو الذى سيؤثر بعمق فى الأطفال ، أكثر كثيرا مما يتأثرون بخاتمة ندين فيها الشر بعبارات عامة .. فما أقل تأثير الكلمات على الأطفال ، وما أقوى تأثير مواقف الحركة والحوار والخيال عليهم .

## السخرية بالآخرين :

كذلك يجب تجنب القصص التى تقوم على السخرية بالآخرين ، عن طريق تدبير المقالب لهم ، وايقاع الأذى بهم ، مثل موضوع الأفلام المتحركة «توم وجيرى» .

إن هذه الأفلام وأمثالها تجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لانهاء التنافس بين الاطراف المتنازعة . والموضوع الرئيسى المتكرر فيها ، هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من اساليب للأذى . واذا كنا نضحك ونحن نشاهد مثل هذه الافلام ، فان الطفل الذى يشاهدها فى السينما أسبوعاً بعد اسبوع ، أو فى التلفزيون يوماً بعد يوم ، سيتركز فى وعيه نمط خاطىء من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من تنمية للاحساس بالتفوق على الآخرين رغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار .

القصة هى الوسيلة النفسية المثالية لتوصيل المعلومات للطفل

## احتقار الحياة الانسانية :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، أو احتقار الحياة الانسانية والاستهانة بها ، مثل القصص التى تدور حول ابادة الهنود الحمر أو قصص طرزان التى تؤكد تفوق الرجل الابيض .

إن قصص الغرب الامريكى ، التى كثيرا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة فى مجلات الأطفال ، تؤكد لدى الأطفال شعورا قويا بتفوق الرجل الابيض ، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الاصليين ، وبأن من حق الرجل الابيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة

ومثل هذه الصورة نجدها ايضا فى قصص طرزان ، التى يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض الى استعداء الحيوانات على اهل افريقيا السود ، تقتل منهم من يرى أنهم اصبحوا أعداء له .

إن مثل هذه القصص ، تجعل الحياة الانسانية شيئا هينا فى وجدان الاطفال . فى حين أن من أسس التربية السليمة ، أن نبنى الاحترام للحياة الانسانية والحفاظ عليها وتقديرها بل وتقديسها ، مهما اختلف لون البشرة .

## التبسيط المخل للشخصيات :

كذلك يجب الحذر من القصص التى تلجأ الى تبسيط الشخصيات ، وتجعل بعضها ممثلا للخير المطلق وبعضها ممثلا للشر المطلق ، مثل كل قصص الرجل الخارق للطبيعة «السوبر مان» لأن هذا مخالف لطبيعة البشر ، ويؤدى الى فهم الاطفال لمجتمعهم فهما خاطئا ، ففى كل انسان جانب طيب وجانب خبيث والمهم أن نفهم دوافع الانسان وأسباب سلوكه ، لكن بطريقة مبسطة تناسب الاطفال .

إن هذا النوع من القصص يؤكد قيما مضادة لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة: فمن القيم التى يجب أن تشيع فى نفوس الاطفال ، احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطىء والحكم عليه وتنفيذ الحكم للقضاء وسلطات الأمن . لكن كثيرا من قصص



الرجل الخارق للطبيعة تجعل البطل هو الذى يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم على الآخرين بمعياره الشخصى ، وينفذ بنفسه ما ينتهى اليه من احكام !

يضاف الى هذا ان هذه القصص تزيف الحياة ، عندما تجعل فى متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة ، دون ابراز أى جهد قد بذله للحصول على هذه الوسائل ، حتى أنه يحطم فى كل يوم ما يساوى عشرات الألوف من الجنيهات بغير أسف أو ندم ثم يجد غيرها بنفس البساطة ، رغم أنه من اسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون الى امتلاكه ، وأنه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذى يتطلعون اليه .

وإذا قيل أن مثل هذه القصص تنمى الخيال العلمى ، فانه يجب التفرقة بين القصص التى تقوم على تنمية «اسلوب» التفكير العلمى ، الذى يعتمد على الملاحظة والاستنتاج والتجربة والخطأ ، ووضع الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل البطل الى نتائج ايجابية ناجحة ، وبين القصص التى تحفل بها الكتب والمجلات التجارية ، والتى تقدم للطفل ، دون مقدمات ، أجهزة ووسائل جاهزة ، يستخدم البطل بمعظمها فى الدمار والقتل ، دون أية اشارة الى اسلوب التوصل الى اختراع تلك الآلات ، أو أية اشارة لما يمكن أن تمنحه للبشرية من فوائد . فهى قصص «توهم» بأنها من قصص الخيال العلمى ، فى حين أنها فى الواقع من قصص «الهذيان» الذى يستعير من العلم أشكاله الخارجية ، دون مضمونه الحقيقى .

## إثارة مخاوف الاطفال

كذلك يجب ألا تتضمن القصه ما يثير مخاوف الاطفال . فالخوف هو احدى القوى التى تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة لتكوين الشخصية ، وقد يؤدى الخوف الى تشتيت الطاقة العقلية ، بدلا من توجيهها الى الأهداف النافعة .

واكثر مخاوف الأطفال تثور بسبب أنواع الخبرة التى يتعرضون لها فى سنواتهم الأولى ، ومن اكثر هذه الخبرات تاثيرا ، ما يسمعونه من قصص .

إن أكثر المخاوف التى يعانى منها الطفل ، يغلب أن تكون تقليدا لمواقف رآها فى أهله ، أو سمعها فى قصص . واقعى أو خيالى ، قرأها ، أو سمعها فى الاذاعة ، أو شاهدها على شاشة التليفزيون . فاذا استخدمت القصص عنصر اثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه . فان الطفل قد ينتشى عند سماع القصة نهارا ، وهو فى حمى الكبار ، ولكنها تملؤه خشية ورعبا عندما يصبح وحيدا فى هدأة فراشه أو غرفته ، فنجد حياته وقد اصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام أو الحيوانات أو اللصوص أو رجال الشرطة أو العفاريت ، أو حتى الخوف من مجرد الخروج الى الطريق العام ، أو من مواجهة الناس والحياة . وهذا الخوف اذا اتسع مداه ، أو زادت شدته ، اصبح سببا لعجز الطفل واعاقة نشاطه .

ان واجبنا ان نختار دائما القصص التى تعمق القيم الدينية والأخلاقية أو تثير الاهتمام بالأدب والفن والعلم ، أو تبرز قواعد السلوك أو تنمى الشعور بالمسؤولية ، وبوجه عام ، التى يدور مضمونها حول ما نريد أن ننميه ونبنيه فى اطفالنا من قيم واتجاهات بشرط أن يجىء كل هذا فى ثنايا القصة ، ولا يجىء عن طريق مباشر .

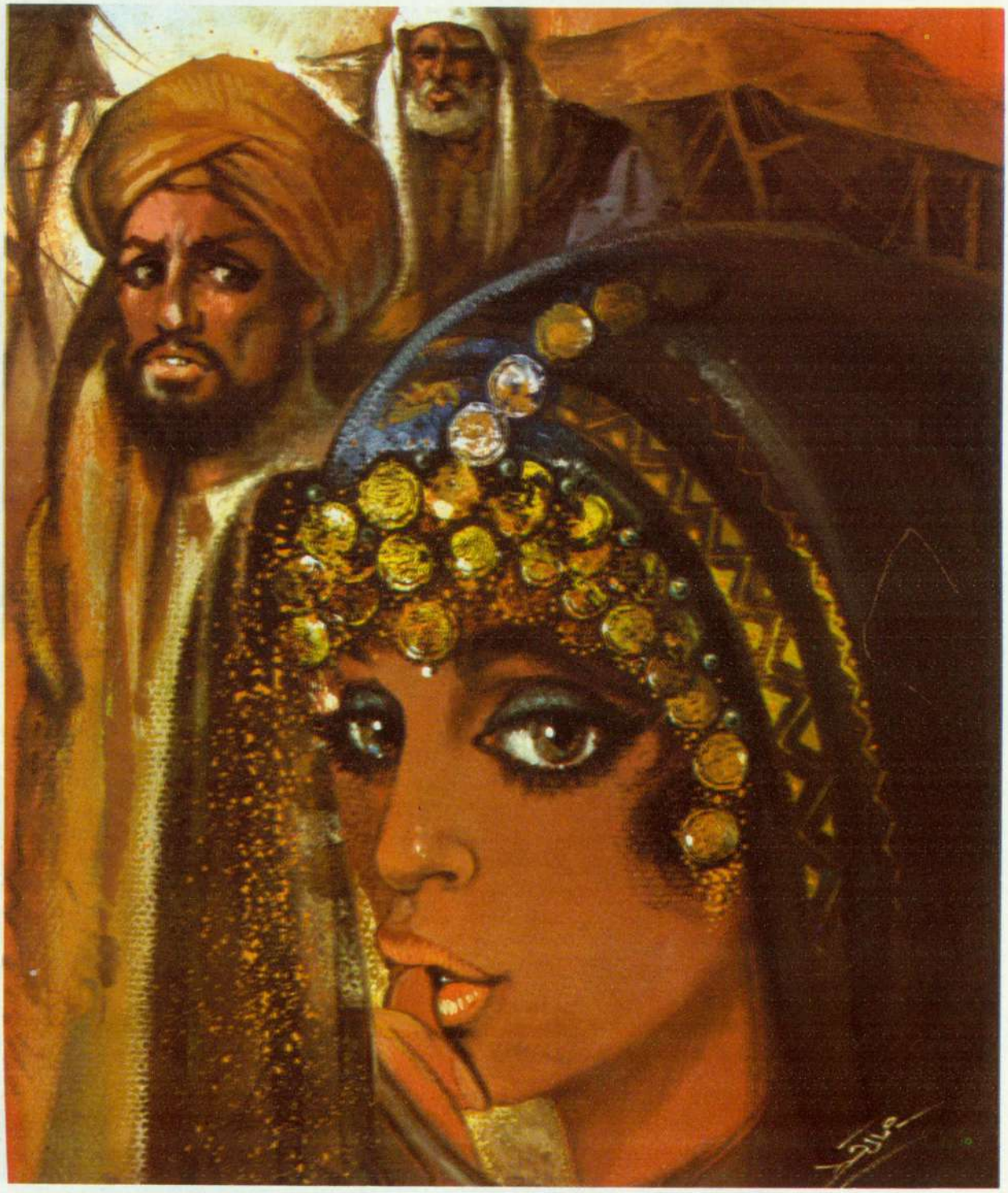
يعقوب الشارونى

## وقائع عربية

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

# كل نساء الصحراء

## الخروج . العشق . الموت



● قال لى صوت كأنه نابع من الصخر : سوف أقودك إليها

● مَن أنا بالضبط ؟ لص جياد.عاشق خاب سَعْيه . منبوذ من قبيلته . أم كل هؤلاء ؟

خيمتى بعيده . معزوله وسط البرارى وتحت رحمة الصحراء . والرمل امامى مطلق اليدين فى كل المصائر . والريح تاتى إلىّ بنتف من الروائح والأحاديث والذكريات . وأنا وحيد على الجبل الوحيد . وفى حاجة لامرأة .. من أنا بالضبط ؟ .. لص جياد . عاشق خاب سعيه . منبوذ من قبيلته . أم خليط من كل هؤلاء .. ما الذى جاء بى الى هذه الصحراء العربية الغامضة .. ليس من النادر أن أسير الى مضاربهم . فى كل مرة أسير الى قبيلة مختلفة ولكنى لا أحس فرقاً فأنا أسير فى الساحات الخالية . والطرقات غير المأهولة .. وأقف طويلا أمام أى خيمة حتى أكتشف انها ليست خيمتها .. فأعود وحيداً الى خيمتى الوحيدة ..

أريد امرأة صحراوية. تعشق وتغنى وتغضب وتنثر الحصى على الرمل نجوماً ملونة . وتخرج معى للغزو . تشاركنى سرقة الجياد والأبل . تحمل فى داخلها صهد الصحراء . ورطوبة الواحات . وعذوبة الآبار القديمة . لا تصغى إلىّ ولا تكف عن دفعى للحديث ورواية الأشعار وإختلاق الخرافات . لا ترضى بهدية ليست مسروقة . ولا بنجمة مطفأة . ولا بقبلة دون رغبة قوية .

ولكن بعد أيام طويلة لم أكن قد وجدتها . كنت المح طيفها الرقيق يتشكل من الصخر والرمال .. وهبت ريح عنيفة . اقتلعت خيمتى . واطاحت بأشعارى . وإنتفضت الصحراء مثل امرأة حبلى بالألم . وجدت نفسى انحدر رغماً عنى . اهبط إلى واد لم أره من قبل .. بين اشجار جافة واعشاب وحشية وشاطىء أبيض بعيد كأنه بحر من الملح .. كنت أعرف أنها بانتظارى .. بثوبها الصحراوى الخشن . وقعب اللبن الفائر كنت اردد اشعارا لم تخطر بفكرى من قبل .. ولا أتوقف عن الانحدار كأن الوادى الغريب يتجسد فى داخلى كائناً حياً . صرخت . أين انا ؟. أجابنى الصدى .. أنت فى وادى عبقر .. فوضعت جسدى على حافة الوادى وانتظرت .. قال لى صوت كأنه نابع من الصخر ..

ـ أنا سوف أقودك إليها ..

تلفت مفزوعاً .. رأيت امرأة فارعة الطول ترتدى ثوباً يمنياً .. لم أميز ملامحها .. قالت ..

ـ ألا تعرفنى .. أنا زرقاء اليمامة ..

إقتربت .. رأيت وجهها .. وهالتين من السواد الذابل مكان عينيها .. أمسكت ذراعها كان مخالب باردة انغرست فى لحمى .. قالت فى قسوة .. لاتكن أعمى فتحسبنى عمياء .. كان فى صوتها رنة النذير .. والنبوءة .. تبعتها فى فجاج الوادى . سمعت وجيب الصخور وهمس الينابيع الفائضة والغابات المطمورة .. قالت لهم .. ياقومى إن الاشجار تتحرك وإن العصافير ترتعد .. فضحكوا منها وعاودوا الشراب .. وحين جاء الموت والأعداء .. فقأوا عينيها .. قتلوا فى داخلها كل غناء العصافير ..

قالت .. فلنبدأ رحلتك مع طرفة الخير .. قد تقودك الى النجاة .. أو الموت .. رددت الاسم فى ذاكرتى .. فلم أجد له صدى .. ولكن زرقاء اليمامة أكدت ..

ـ لن ينقذك من هذا الوادى .. إلا طرفة الخير ..

## الخـــروج

من أين يبدأ الرحيل إلى أرض سبأ ..؟ .. كان العمار فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجد ، وأهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة اربعة شهور .. ثم مزقوا كل ممزق ..

بدأت الكارثة بالنذير . وبدأ النذير عندما رأت طرفه الخير حلما . سحب ثقيلة لا تحمل مطرا.وحين ارتعدت همى الرماد منها على ارض سبأ وغطى كل شيء ونهضت طرفة مفزوعة . هرعت الى زوجها الملك عمرو بن فريقياد .. كان مختليا فى الحديقة باثنتين من جواريه .. ووقف أمامها نصف عار . نصف خجل . كأنما كان يتوقع أن تلومه .. ولكنهاقالت:

ـ ما رأيت كاليوم . حلماً أزال عنى النوم . رأيت غيما أرعد وأبرق . وزمجر وأصعق . فما وقع على شيء إلا أحرق . وأكمل الملك ارتداءثيابه فى هدوء . أشار إلى الجاريتين بالانصراف ثم جلس يستمع الى حلمها .. ولم يستطع أن يمنع ابتسامة السخرية من التسلل إلى شفتيه وهو يرى رعدتها . فسبأ أرض خضراء ممتدة الى أقصى البصر . والسد فى اعلى الجبل يخزن المطر لكل الأعوام ما هذه الاحلام سوى بعض اعراض الاضطرابات الجنسية .. طلب منها أن تنسى الحلم .. ووعدها بأن يزورها

وفى اليوم التالى اشتد الحر حتى احمرت السماء . وأخذ الشجر ينكفىء بغير ريح . وهذه المرة تسربت النذر إليها وهى يقظى . هرعت الى خلوة الملك وزفر فى ملل بالغ وهى تهتف به ..

ـ والنور والظلماء . والأرض والسماء إن الشجر لهالك . وليعودن الماء كما كان فى الزمن السالك ..

ولم يرتد عمرو ثيابه . ولم يأمر الجاريتين بالانصراف . ولم تعد طرفة بأى وعد .. وسارت وحيدة تحت السماء الحمراء . وسط الشجر المنكفىء . حاولت ان تصعد الجبل فأعيتها المحاولة . سارت فى الشوارع الغافلة التى لا تحس دبيب الموت .. فى الحانات حسبوها أحد البغايا . وفى المعابد حسبوها صائبة . وحين تكلمت لم يستمع أحد إليها .. وقال لعمرو ..

ـ جنت زوجتك ..

وكان عمرو رغم مغامرات الحديقة اليومية لازال يحبها .. سألها عما تريد .. قالت ..

ـ إصعد الى السد . فان رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر فى السد ويقلب برجليه من أجل الصخر فأعلم أن غمر الغمر .. وأن وقع الأمر .. وابتسم عمرو فى إشفاق ووافق على اصطحابها . وكان طريق الجبل وعراً .. وبسبب ذلك لم يحاول أحد الصعود منذ عشرات السنين ولا أحد يدرى أن يدًا عملاقة .. شقت الطريق وبنت السد وصنعت تحته الحياة ..

ونظر عمرو لاهثا إليها . رأى وجهها هادئاً . محملق النظرات . وكان السد شامخاً .. متراص الأحجار مثل وجه



عجوز متغضن . كان شامخاً . منيعاً .. وأوشك عمرو أن يهتف فيها .. ارأيت أيتها المجنونة .. ولكنها قالت ..

– لا تنظر إلى اعلى ..

ونظر عمرو الى اسفل السد فرأى الفئران .. المئات منها تنشب اظافرها فى الطين وفى الصخر وتعمل فى دأب مروع . وتفتت الصخر بعنف الطواعين والأوبئة .. كأنها تحت تأثير لعنة موروثة وبدا السد الشامخ مرتعدا .. كانت كل تفاصيل الكارثة معدة .. وتمتمت طريفة

– إنه سيل الدم .. لا يبقى ولا يذر ..

وصرخ فيها ..

– امسكى لسانك أيتها الكاهنة الحمقاء ..

ثم قال لها فى توسل ..

– إنها نهاية مأرب ياطريفة . ولو نشر الخبر لتدافع الناس للهرب .. فلننج نحن بأموالنا ولنبع ضياعنا ثم نرحل الى مكان آخر ..

قالت طريفة فى ذهول ..

– ولكنك الملك ..

– لا ملك أمام الطوفان ..

وهبط عمرو متظاهراً بالهدوء . وحبس طريفة فى أقصى قصره وأشاع أن جنونها قد تم . وافتعل مشاجرة مع إبنه ومع أقرب اصدقائه . ومع كل من يحيط به .. وأقسم ألا يعيش فى هذا البلد الذى اهين فيه وأخذ يبيع ضياعه وأمواله .. واغتنم الجميع فرصة غضبته ونسوا طريفة الخير .. والتحذير .. حتى جاء الطوفان كالقيامه .. وفى غمرة الفزع الانسانى الرهيب نسى الجميع وجودها وظل الماء يرتفع فى غرفتها محملا بالرمل والحصى والجرذان الميتة وبقايا البيوت والثياب .. والذكريات .. وقد غرق كل شىء ..

## العشق

لم أكن أكره طريفة . ولكنى لم أكن أريد لقاءها ، وعندما يكون دليك امرأة عمياء مثل زرقاء اليمامة فعليك أن تتوقع كل شىء .. صحت فيها ..

– لا أريد كاهنة .. لا أريد امرأة تخترق الغيب الذى اخشى مواجهته ..

قالت زرقاء اليمامه فى احتقار بالغ ..

– وماذا تريد إذن .. ؟.

قلت .. أريد امرأة ضعيفة . تعشق وتخاف من الغيب .. وتتفاعل باللحظة الحاضرة ..

هتفت فى حدة ..

– أيها الابله .. لا توجد امرأة ضعيفة حتى ولو كانت عاشقة .. وتركتنى اتخبط وحيدا . من أين تبدأ قصص العشق فى الصحراء .. كيف تنمو زهوره الرقيقة وسط هذه الحياة القاسية .. تحت الشمس التى تمتد وتكشف كل مكان فوق الرمل .. ولكن .. لابد أنه فى مكان ما . فى فجوة بين الصخور . تسع رجلا وإمرأة ومسافه بين كلمات الحرب والتفاخر .. بعيداً عن كل الشراك والكمائن .. فى كل الأمسيات هناك إمرأة تنتظر رجلا .. مثلما كانت ليلى الأخيلية تنتظر عودة توبة .. ولكن القبائل كانت قد ضجت من غزواته فأقامت له كميناً لم يفلت منه .. وعادت إليها جثته ناقصة الأطراف فقالت كل أشعار الرثاء الوقحة حتى استجاروا منها . وتحولت السلوى الى غضب هائل .. لم ينعد فومها منها إلا الموت حين رحلت ودفعتها ناقتها فماتت على قبر توبة .. ولكن عبلة بنت مالك أخذتنى بين ذراعيها . لم أر احداً بجمالها فى هذا الوادى القفر . كانت تعويذتى . تجوس حولى . وتتجول عيونها كطائرين مجنونين .

قالت .. يبدأ العشق بى .. عندما احبنى عنتره وأعلن حبه بصرامة السيف وبلاغة الكلمات .. قلت .. ولكنك لم تتزوجى به ياعبلة .. قالت فى استنكار بالغ .. اتزوج عبداً .. يكفى أن حبى له منحه الخلود .. لو أنه عشق زنجية مثله هل كان يتذكره أحد ؟ .. وكانت صادقة لدرجة مريرة .. وأمتلأ الوادى بأصوات النساء .. هل يوجد كل هذا العدد الكبير من العاشقات ؟ هل رسم الحب خطوطه الطويلة فوق الرمل الأصفر ؟ جاءت عرّة .. رغم انها أنكرت أكثر من مرة أنها عاشقة .. كانت خجلى لأن عاشقها هو كُثَيِّر .. رجل لا يتجاوز طوله الاشبار الثلاثة فى عالم حافل بالفرسان والمغاوير .. لم يضع امامها إلا قلبه

● يبدأ العشق بى عندما أحبنى عنترة وأعلن حبه بصرامة السيف وبلاغة الكلمات

● هذا هو وعدوها الآتى بالثأر : نحيف كشاعر .. قوى كنبات صحراوى

وأشعاره .. وظل يسير خلفها بقامته القصيرة كأنه ظل لها . وجاءت لبنى شامخة .. تركها قيس تحت الحاح أهله .. كانت تحبه ولكنها فشلت فى أن تنجب له ولداً .. وألح عليه أبوه وأمه أن يطلقها ولكنه رفض .. فاضربت أمه عن الطعام . وخرج أبوه الى العراء وظل واقفا تحت الشمس والظل والمطر عاما كاملا . وكان قيس يتوسل إليه ان يرحم شيخوخته ويظلله بردائه لعل حدة الشمس تخف قليلا .. وحين يعود إلى لبنى يبكيان سويا .. « لا تستمع إليهما فتضيع وتضيعنى .. » ولكنه لم يستطع المقاومة .. وعجز عن أن يقيم أود حياته بعد ذلك .. وحتى بعد أن توجه أبواه إليها وطلبا منها العودة رفضت ..

.. ورفضت الكثير حتى سار إليها ثلاثة شعراء مرة واحدة .. زيد الخيل .. وأوس بن حارثه .. وحاتم الطائى .. جاءوها خُطّاباً ..

ورحبت بهم ماوية .. وفرقتهم فى خيام منفصلة .. وزادت فى إكرامهم . وبعثت إليهم بالهدايا . ثم تنكرت فى زى سائلة وذهبت الى خيامهم . واعطاها زيد الخيل شيئا قليلا . واعطاها أوس نصف ما معه .. أما حاتم الطائى فاعطاها كل ما عنده

وحين طلبت منهم قول الشعر والمفاخرة .. تحدثوا جميعاً عن أشياء خيالية ومبالغ فيها .. ولكنها كانت فى حاجة لأن تصدق حاتماً .. لذلك قالت فى النهاية ..

ـ أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل . أما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد .. وأما أنت يا حاتم فمرضٍ الأخلاق محمود الشيم .. كريم النفس .. وقد زوجتك نفسى ..

وتزوجت ماوية من أكرم العرب كما تصورت . وسار إلى ديار بنى طىء . ولكن الكرم الحاتمى تحول الى سفه حقيقى .. اكتشفت أنه يمكن أن يمنح أى شيء .. أى شئ بلا حساب .. يكفى أن يمر به أى صعلوك من صعاليك العرب ويطرق بابه حتى يهديه آخر قطعة لحم .. وآخر جذوة نار .. وضياع إبل جده . وتجارة أبيه وارث إخوانه . وتخيلت ماوية اللحظة التى سوف يمنحها فيه لأى صعلوك .. وهمس مالك إبن عمه فى أذنها ..

ـ ما تصنعين بحاتم .. إنه يتلف كل شيء .. وعندما يموت سوف يتركك ويترك اولادك عبئا على قومه .. لا تملكون إلا السؤال . وأنا خير لك منه .. أكثر مالا واقل سفها .. طلقيه واتزوجك ..

ولم يرحمها حاتم . لم يعطها فرصة للمقاومة .. ظل يتصرف بنفس الحماقات .. وفى أحد ايام الجوع ظل الأولاد يرتجفون وماوية تشاغلهم بالحديث حتى ناموا وهو جالس .. وفى آخر الليل جاء جوعى غرباء .. وفوجئت به ينهض ويشرع سيفه ويذبح فرسه ويقدم لحمه للجميع . ولم تطق ماوية . أدركت أنها إزاء رجل مجنون قد فقد عقله .. وهكذا قررت الاستجابة لأغراءات مالك وان تطلق حاتماً كما تزوجته ..

وحولت ماوية باب خيمتها .. كان للشرق فحولته للغرب .. وجاء حاتم ورأى الباب المتحول . وادار ظهره وهبط الى واد قريب .. وجاء الصعاليك تجمعوا أمام باب الخباء حتى بلغ عددهم أكثر من خمسين .. وضاقت ماوية بهم ذرعاً .. فأرسلت جاريتها إلى مالك تقول له ..

ـ إن أضيافنا قد نزلوا منا فأرسل إلينا ما نضيفهم به ..

ولكن مالك صرخ فى وجه الجارية ..

ـإن هذا الذى طلبت منها أن تطلق حاتماً من أجله .. لقد اصبحت مثله .. وعادت الجارية خائبة .. وقالت ماوية فى يأس ..

ـ إذهبى الى حاتم ..

ولبى حاتم النداء .. ذبح ناقته وجاء يسعى الى أضيافه .. وصرخت ماوية فى وجهه ..

ـ أيها الوغد .. هذا الذى طلقتك فيه .. تركت ولدك وسعيت وراء أضيافك اللعنة عليك وعلى اليوم الذى أخذتك فيه ..

وتركته .. ومضت عبر الصحراء.. لقد دفعت ثمن اختيارها .. ورفضت كل الرجال .. كانوا هم تجربة ضعفها الوحيدة .. وجلست فى وادى عبقر لم تكن عاشقة حقيقية .. ولكنها لم تستسلم لحظة واحدة لمصيرها ..

## الموت..

لم أكن أدرى إلى أين سأصل وتلك النسوة يحطن بى .. تدفعننى بعد أن فقدت سيفى وأشعارى وأشجارى التى استظل بها .. فى هذه الصحراء الواسعة .. حملت المرأة الحياة دائما . وحملت الموت ايضاً .. كان فيها رقة الصبا وشواظ الهجير ووخز الصبار .. أجادت الولادة والدفن وممارسة الحب وقول المراثى .. ذهبت إلى أعماق وادى عبقر فرأيت الزباء على عرشها .. ورأيت زرقاء اليمامة جارية من جواريها فابهجنى ذلك

كانت الزباء مازالت تعد العدة للأنتقام من جذيمة ملك الفرات الذى قتل اباها .. كانت بنتاً هزيلة .. بلا زوج .. وجذيمة محاط بكل فرسان الشمال .. وقررت الزباء أن تستخدم هذا الضعف لاستدراجه .. وأرسلت إليه رسالتها .. «أقبل الى .. ملك النساء قبح فى السماع وضعف فى السلطان .. فاقبل الى تزوجنى وتول أمرى .. »

وابقظت الرسالة كل أحلام الطمع فى وجه جذيمة .. واتفق أهل الرأى على السير اليها .. الى قصير .. هتف بالملك..

ـ رأى فاتر .. وغدر حاضر .. لاتمكنها من نفسك فانت قد وترتها وقتلت اباها .. وهزأ الجميع من قصير .. فالزباء إمرأة لا تستطيع أن تفعل شيئا حيال ملك عظيم كجذيمة حتى عمرو بن عدى إبن اخته وولى عهده قال له ..

ـ لو أن قوم الزباء رأوك لصاروا معك .

وهمهم قصير فى نفسه .. لا يطاع لقصير أمر ..

وسار جذيمة الى أرض الزباء .. واستقبله الرسل بالهدايا والوعود المغرية .. وإنتفخت أوداج الملك وهو يقول ..

ـ كيف ترى ياقصير .. ؟ ..

## وقائع عربية

قال قصير ..

ـ خطب يسير فى خطب كبير .. وسيلقاك الجيش فان سارت أمامك فالمراة صادقة .. وإن اخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك

وسار جذيمة وسرعان ما نسى نصيحة قصير .. لقيته الخيول والكتائب . وأحاطت به من جنبيه ومن خلفه . ولوى قصير عنان جواده وهرب .. وأدخل جذيمة إلى الزباء .. طرحه الجنود تحت قدميها .. وحين رفع راسه مدهوشا اليها قالت فى سخرية ..

ـ أشوار عرس ترى .. ؟ ..

قال فى أسف .. أمر غدر أرى ..

ـ إن دماء الملوك شفاء من الثار ..

ودعت بالسيف والنطع وبطست من ذهب .. وقدمت جذيمة الخمر ليسكر سكرة الموت . وأمرت بعروق باطن الذراعين فقطعا وتركتهما يقطران فى الطست الذهبى وقد قيل لها إن قَطَر من دمه شيء خارج الطست طلب بدمه . فلما ضعفت يداه سقطتا . فقطر من دمه شيء فى غير الطست وهتفت الزباء ..

ـ لا تضيعوا دم الملك

فقال جذيمة وهو يحتضر ..

ـ دعوا دماً ضيعه أهله ..

وبعد أن لفظ آخر انفاسه .. سارت الزباء الى كاهنتها .. سالتها عن النهاية .. قالت ..

ـ سوف يكون هلاكك بسبب عمرو بن عدى .. ولكن حتفك بيدك ..

واستعدت الزباء ليوم الثار الآتى .. كانت تريد أن توقف النبوءة وتمنع الغيب .. أقامت الاسوار والحصون وحفرت الانفاق .. وحولت مملكتها الى قلعة منيعة .. ولم تسمح لنفسها باى متعة عابرة .. وبعثت احد الذين يجيدون الرسم وامرته أن يرسم لها عمرو بن عدى فى جميع الأوضاع .. جالساً .. وراكبا .. ومتسلحاً .. وذهب الرسام وعاد معه كل ماطلبته من صور وضعتها فى غرفتها وأخذت تتاملها .. هذا هو عدوها الآتى بالثار .. نحيف كشاعر .. قوى كنبات صحراوى .. وجلست تتامله .. ومع مرور الليالي سرت بينهما علاقة غريبة .. وشيئاً فشيئاً إكتشفت انها تجلس فى انتظاره ..

وكان عمرو مذهولا تحت وطاة الصدمة .. وقصير يقف أمامه .. الثار .. لابد من الثار .. ولكن كيف بالزباء وهى امنع من عقاب الجو .. قال قصير

إجدع أنفى .وإضرب ظهرى . ودعنى وإياها ..

وخرج قصير هارباً من عند عمرو .. مجدوع الأنف مضروب الظهر .. وسار الى أرض الزباء وترك الحرس يقبضون عليه ويقودونه الى عرشها ونظرت هى مدهوشة الى حالته الرثة .. وبكى قصير أمامها ..

ـ زعم عمرو أنى غدرت بخاله .. وغدرت به حتى قتل .. وها أنا هارب إليك فافعلى بى ما تريدين ..

هذا شاهد آخر على عمرو بن عدى .. أكرمت قصير .. وتركته يتكلم .. حكى لها كل شيء عنه .. كانها كانت تعرفه منذ مولده .. كانها كانت تنتظره .. وللحظة تمنت الزباء لو لم يكن بينهما ثار ودم مباح .. واستطاع قصير أن يكتسب صداقتها .. وأخذ يلح عليها فى أن تسمح له بالعودة الى العراق .. هناك حيث خبأ كل أمواله بما فيها من ذهب وياقوت وعطور وثياب .. لو انه تركها لأحضر قافلة لم تر مثلها من قبل . ورفضت الزباء .. ولكنه بالغ فى الحديث عن العطور والثياب .. كل هذا وهو لا يطلب إلا الاذن بالخروج .. ومجرد ناقة .. ولكنها كانت حذرة فقد سمحت له بالخروج .. وظلت تترصد وقت عودته ..



وحين عاد اكتشف حرس الأبواب والاسوار انها قافلة خيالية .. ولم تحلم الزباء أن تشاهد كل هذا المقدار من الذهب واللآلىء .. ولا أن تلبس مثل هذه الثياب الحريرية .. ولا أن تشم مثل هذه العطور .. أحست أنها امراة حقيقية .. ولبستها ووقفت أمام صورته .. ولكن نظرته القاسية لم تلن ..

ومرة أخرى طلب منها قصير الاذن بالسفر لأحضار قافلة أخرى .. وهذه المرة لم تعترض .. ولم يغب هو كثيراً .. عاد بقافلة أكبر من الأولى وأكثر طولا وأحمالا .. ونزلت هى الى باب القصر تتاملها .. كانت اقدام الابل تسوخ فى الرمال من ثقل ما تحمل وهتفت الزباء ..

ـ ما للجمال مشيها وئيداً ..
أجندلا يحملن .. أم حديدا ..

وقال قصير فى نفسه

ـ بل الرجال قبضاً قعوداً

وللحظة ادركت الزباء ما حدث بالضبط .. الجمال امامها .. والسيوف تشق الفرارات .. وقفز الرجل الأول من فوق الجمل الأول .. إنه هو .. أشد قسوة مما رأته فى الصور المرسومة .. لو انه يتمهل قليلا .. لو يمارس معها الحب للحظة واحدة .. لو يعدها أى وعد .. لكن الأحمق لم يكن يفكر إلا فى الموت .. وفتحت خاتمها .. ومصت ما فيه من سم .. بيدى لا بيد عمرو .. تماماً كما تنبات العرافة .. وحين غرس سيفه فى صدرها لم تحس .. بيدى لا بيد عمرو .. كانت تبتسم « أخيرا » جئت يامن انتظرتك طويلا ..

وانتهت رحلتى وانا عند نقطة البداية .. صعد من الجنوب للشمال .. من الخروج للعشق للموت .. ورأيت الصحراء الحافلة بالرجال أشد حياة بالنساء رغم الشعر والوأد والاغتصاب والأختطاف وكل صنوف الهوان .. كن روح الصحراء الحقيقية وحقيقتها المؤكدة .. ولو أن قبيلة ما لم تفنها الحروب ولم تضيعها ريح السموم .. فذلك لأن امراة عاشقة منحتها الحياة ...

محمد المنسى قنديل

مفيد فوزى

# خميلة

# المذكرات الفنية... نعم السير الذاتية.. لا!

● الأرض العربية لم تعرف قسوة الطبيعة .. كما عرفتها بلاد الشرق الاقصى مثلا . فالأرض العربية لم تذق طعم الزلازل والبراكين ولا زار تربتها انسيول والفيضانات ! وربما كان هذا نت حظ الانسان العربى ، وإن كان من سوء حظه ايضا ! فذلك «الاستقرار» وهذا «الاستواء» ، وهذا التصالح مع الطبيعة .. جعل الانسان العربى ، متفرجا . وسلبيا بعض الشىء .. واتكاليا فى احيان كثيرة . وعلماء الجغرافيا البشرية يربطون بين التضاريس الجغرافية و «التضاريس النفسية » لشعب من الشعوب . لعلهم يقصدون أن الأرض التى خاصمت كوارث الطبيعة ، تخاصمها قيم كثيرة ، اهمها النشاط المذهل والتوتر الايجابى والعمل المستمر وتمجيد قيمة الحياة ، والاستعداد دوما للخطر القادم وربما كان إبداع الشعب اليابانى يوما ما ، انه يعرف أن «الغد» ليس ملكا له ولذلك ينتصر على الطبيعة بعقله . ويقف امام كوارثها ، بالعلم . وأبدا لا يجلس فى مقاعد المتفرجين !

● قليلة ، هى السير الذاتية العربية الايام لطه حسين . سجن العمر لتوفيق الحكيم . قصتى مع الشعر لنزار قبانى . ولا أدرى لماذا تكثر «المذكرات الفنية» وتتوارى السير الذاتية . أغلب الأمر أن المذكرات هى صورة الفنان كما يجب أن يبدو بها امام الجماهير . والسير الذاتية تعرية للضعف البشرى . المذكرات عمل سهل يسير . والسيرة الذاتية عمل صعب لأن فيه من مواجهة النفس . الكثير !

● صداع كل بيت عربى هو «الامتحانات وليس صحيحا أن الأولاد ـ وحدهم ـ يدخلون الامتحانات ويجلسون على المقاعد ويجيبون على اسئلة الاوراق الرهيبة . الصحيح أن الآباء ايضا ، يدخلون هذه القاعات المحمومة المخيفة ويتعرضون لكل ما يتعرض له الأولاد . نحن ـ تحت السماء العربية ـ نعلق كل الآمال على نتائج الامتحانات . ومع ان هناك من نجحوا فى الامتحانات بتقدير ممتاز ونالوا فى الحياة العملية ضعيف جدا . الامتحانات ـ ايها السادة ـ ليست مقياسا للذكاء او البلادة . يكفى ان يتعرض الطالب يوم الامتحان لحالة نفسية .. ولهذا ينادى كل العقلاء بضرورة اعادة صيغة الامتحان والحث على التحصيل بدون ألم . لكن معظم هذه الاصوات تتوه فى الزحام . وربما يحدث ان تشذ دولة عربية عن القاعدة وتلغى هذا الشبح ، وتحذو حذو بعض الدول المتقدمة التى جعلت اولادها « يتذوقون » المعارف بلذة دون خوف من .. الامتحان ، حيث يكرم او يهان !

● «النفط» الاسبانى ـ إن صح التعبير ـ هو السياحة . فاسبانيا تعتمد على السياحة ، وهذا هو نفطها الحقيقى . ومن اجل هذا ، لن تتخلى اسبانيا عن حلبات «مصارعة الثيران» التى تنتشر فى كل مدينة او قرية اسبانية . اقول هذا لأن «توصية» هامة صدرت من مؤتمر عالمى للرفق بالحيوان .. تعتبر مصارعة الثيران عملا وحشيا وتسلية بموت الحيوان ، وترى ان هذه المصارعة مع الحيوان .. بدائية وتطالب اسبانيا بوقف هذه الحلبات وما يجرى داخلها . لكنى اشك تماما فى أن «تطيع» اسبانيا هذا النداء !!

● الحياة سكك !

هناك من يعيش فى مدينة «نعم».. واخرون يفضلون مدينة «لا» ! والاقامة فى مدينة «نعم» سهلة ، مريحة ، لا تكلف صاحبها كثيرا . يكفى ان يومىء برأسه .. مائة مرة فى الدقيقة وهو عمل «عضلى» لا يرهق صاحبها . أما الاقامة فى مدينة «لا» ، فهى صعبة . تكلف صاحبها ـ احيانا ـ حياته . إن سكان مدينة «لا» قليلون فى هذه الحياة . لماذا ؟ لانهم يعملون بعقولهم . يفكرون . الفلاسفة عموما من سكان مدينة «لا» المناضلون عموما من سكان مدينة «لا» . وهناك البعض الذين يتارجحون بين المدينتين . وهؤلاء لا طعم لهم ولا رائحة ! .

اليست الحياة سكك ؟!!

● لا تزال «اوامر» ومحاولات التعريب الجادة فى الشمال الافريقى تصدر باللغة الفرنسية « حتى اشعار آخر » !

● بالمناسبة هناك نوع من التعتيم لاادرى سره على «مفكرى» تونس والمغرب والجزائر . فالتصافح بين المفكر العربى والمفكر الذى يحيا فى شمال افريقيا ، لم يتم بعد . كم واحدا سمع عن «محمود المسعدى» هذا الروائى التونسى العظيم ، صاحب رواية السد «بضم السين» . إن التعريف بهؤلاء المبدعين ، مهمة من مهام المجلات الادبية . مهمة من مهام «الدوحة» التى تنبش عن «الابداع» فى كل وطن عربى . وربما كانت ثقافة هؤلاء الفرنسية هى التى حجبتهم عن المسرح . بيد انى قابلت عددا منهم يجيدون العربية ويشكون من أن كتبهم ، ضئيلة الحركة .. ولهذا يتقوقعون فى ديارهم !!

● عمر الشريف ، ذلك النجم العربى العالمى الذى كان .. اصبح «فى ايجاز بليغ» هو الخيل والبريدج والنساء و .. وبعض الادوار فى افلام بطولتها الحقيقية.. لغيره ! وهذه كيمياء صناعة النجوم فى هوليود . انها تستنفذ النجم حتى النخاع ثم تتخلى عنه وتتركه وحيدا فى العراء والنجم يريد ان يحافظ على مستواه فيقبل اى عمل ليعيش ولامانع ان يعلن عن نوع من السجائر . والسؤال هو : هل انتهى «دور» عمر الشريف من كواليس السينما الامريكية ام «نفذت» بطارياته الفنية ؟. حتى استهلكتها الخيل والبريدج .. والنساء ؟!

● عيسى بن راشد . بحرينى مثقف اختار فى مشوار عطائه ، الاغنية البحرانية . انه شاعر يحتفى بالكلمة ويعيبون عليه انه يخاصم «المعاصرة» احيانا . ويوغل فى المحلية البحرانية او الخليجية بمعنى أدق . وعيسى بن راشد يقول لى انه «يحفظ» هذا التراث اللغوى الخليجى من الضياع بالاغنية . وهو منطق مقبول حقا . ان عيسى بن راشد يقيم متحفا صغيرا منسوجا من الكلمات والايقاعات الموسيقية .. يحفظ فيه «تراث» مجتمعة .



طه حسين

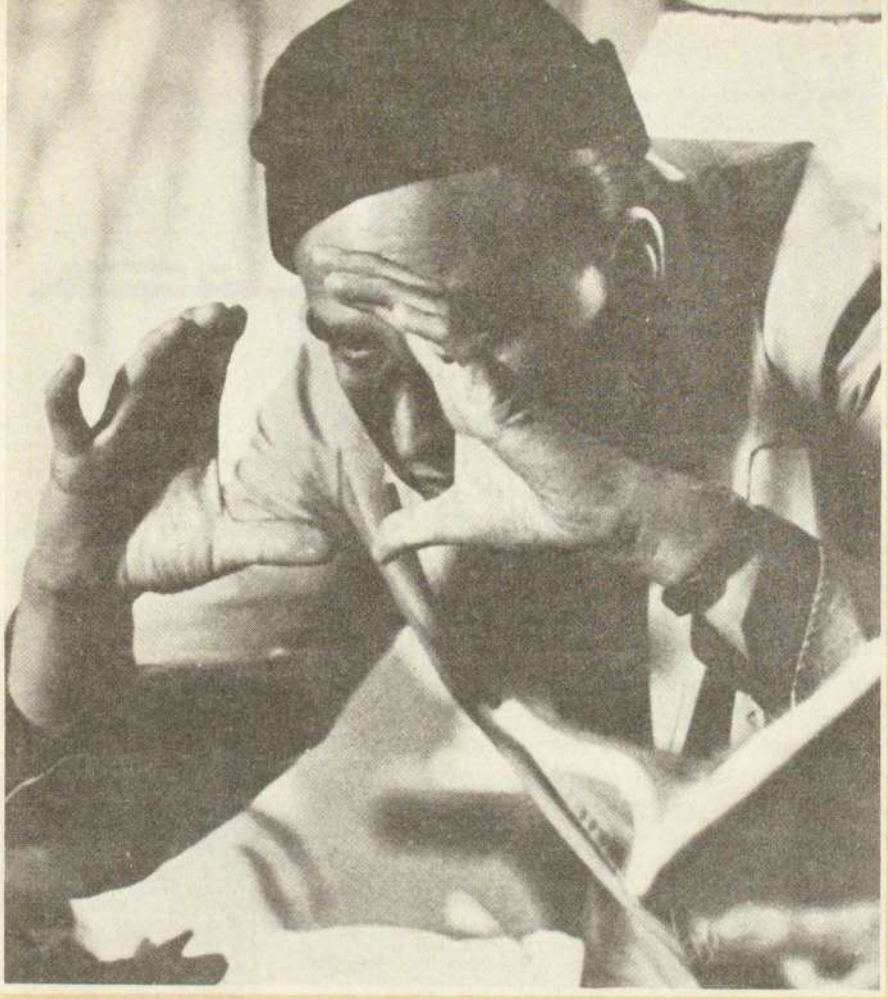


عمر الشريف



توفيق الحكيم

## إنجمار برجمان في عيد ميلاده الثاني والستين



انجمار برجمان - الفنان السويدى ٦٢ سنة - أحد اعظم الفنانين المفكرين الذين حولوا السينما الى فن ابداعي .

# من العتمة الداخلية إلى موت البراءة في المدن القديمة

خيرية البشلاوى

ظلت السينما الإسكندنافية مرتبطة فى اذهاننا بفنان واحد هو المخرج السويدى انجمار برجمان الذى اكمل عامه الثانى والستين فى ١٤ يولية الماضى .

واعمال برجمان التى تصل الينا تاسرنا وتسيطر على اذهاننا على نحو غريب حتى صار إسم «برجمان» يتمتع وسط المثقفين بجاذبية خاصة ، ويثير فينا نحن نقاد السينما إحساسا بالمهابة والجلال . فنحن نذهب الى رؤية اعماله بعد طقوس خاصة نمارسها فى الخفاء مثل الجلوس فى صالة العرض وسط الجماهير . كل منا يسعى الى رؤية مسبقة لاعماله فى عرض خاص يتيحه لنا المركز القومى للثقافة السينمائية فى القاهرة وكل منا يجتهد فى سرية لقراءة ما كتب عن برجمان وعن اعماله التى لم نرها . او تلك التى نتاهب لرؤيتها .

### الشكل المتوازن والأعمال المضطربة

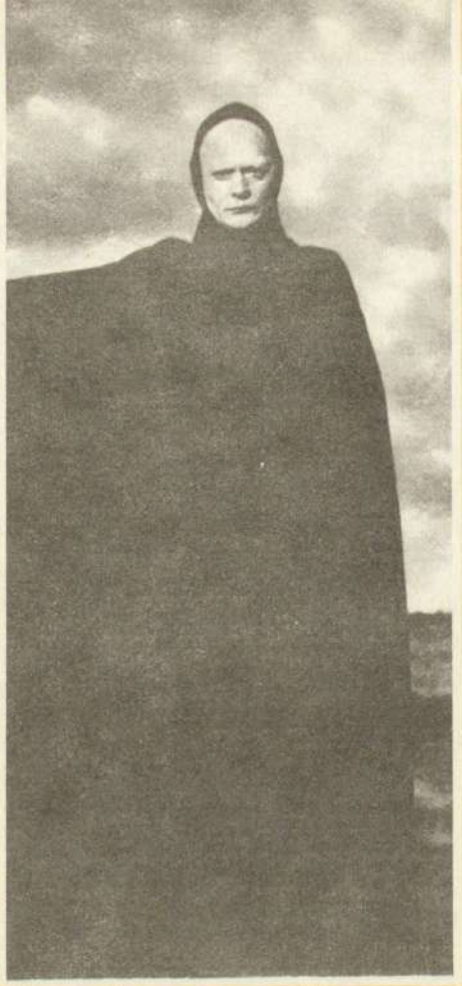
فى العام الماضى حين عرض فيلم « وجها لوجه » ( ١٩٧٦ ) فى القاهرة اذكر اننى رايت الفيلم اربع مرات ، واعترف بانه اصابنى باكتئاب غريب ، ربما لان الفيلم استطاع ان يمسنا من الداخل ويهزنا بعنف ، ولا ادرى لماذا توحدت مشاعرى مع جينى إيزاكسون ( ليف اولمان ) . إنها امراة فى الخامسة والثلاثين . تبدو ناعمة متوازنة ووضاءه . إنها طبيبة مشهورة فى الطب النفسى عالمها الخارجى باهر لمن ينخدع باشكال الحياة العصرية الميسورة ، وبالمركز الاجتماعى المرموق والنجاح الجماهيرى والمهنى . وهى ام لفتاة فى الثالثة عشر ( آن ) وزوجة لطبيب ناجح يعمل فى مجال الطب النفسى ايضا ، ويحتل مكانه فى المؤتمرات العلمية الدولية .

والثلاثة : الأم ، الأب ، الابنة يعيشون كل فى مكان بعيدا عن الآخر . الأم فى استكهولم والابنة فى معسكر ناء لتمضية الصيف ، و الزوج فى امريكا يحضر مؤتمرا طبيا . وما ان يمضى الفيلم حتى يكشف لنا برجمان عن اعماق هذه المراة التى تنتهى الى محاولة يائسة الى الانتحار ، ونراه بالتدريج يمزق هذا السطح المتوازن لكى

## إنه يحفر فى الكثير من الأشياء التى ينغلق عليها عقل الإنسان



الدكتور ايزاك بورج فى رحلة مزدوجة .. الى المكان المادى وداخل اعماق النفس «الفراولة البرية» .



الموت متجسدا يرتدى قلنسوة سوداء .



مباراة الشطرنج بين الانسان والموت «الختم السابع»

.. ولقد عالج برجمان فكرة الامتزاج العضوى الكامل بين الماضى والحاضر مثلما كشف عن انتشار الشر فى الوجود بصورة فاجعة .. وكذلك العقم الروحى

يكشف عن مدى الاضطراب والتمزق والتعاسة التى تسكن داخل هذه المرأة وتحرمها من النوم الهادىء . فهذه الاحلام الكابوسية التى تجسد لنا ماضيها وتمتد لتشمل واقعها تكشف للمتفرج الكثير من اسرار «جينى» الداخلية وتشير الى جذور الشقاء النفسى التى يحرمها من التحقق ويسلبها كل مشاعر الأمان . كما تشير الى ذلك الخراب والتمزق فى العلاقات الانسانية بين «جينى» الصبية الشابة وبين جدتها المرأة العجوز التى بدت لنا فى مظهرها الخارجى حانية وعطوفة على عكس صورتها الحقيقية التى تتجسد فى احلام جينى وتجعلها تصرخ «اكره رائحة العجائز» ، وهو «خراب» نكتشف انعكاساته فى علاقة جينى بزوجها ، وفى علاقتها بابنتها الصبية الصغيرة التى نسمعها تقول قبل نهاية الفيلم فى لقاء حزين سريع فاجع « إنك لم تحبينى قط ، وهذه هى الحقيقة !! »

### .. الى خبايا النفس

اننا نعثر على مفاتيح برجمان جميعها فى هذا الفيلم .. وكل تلك «الادوات » التى جعلت منه فنانا خاصا شديد التميز : الزمن والساعة التى تهدد دقاتها او تتوقف عقاربها ، البوم الذكريات القديمة الذى يجعل من الماضى حافزا حيا ومتصلا ، مشاهد الحلم التى تفرزها اذهان مكدودة تسعى الى مواجهة ذاتها ، التفاصيل المروعة لمشاهد الاغتصاب ، الشيخوخة والخوف البشع من فكرة الموت والزوال . الخ الخ لقد اعطانا برجمان اكثر الصور إثارة للدهشة فى تاريخ السينما ، واثارة للذهن ، ولكل التعقيدات الكامنة والمتداخلة داخل جمجمة الانسان .

واعتاد برجمان منذ ان تعرفنا على اعماله ان ينبش فى علاقة الانسان بالله وبالزمن ، بالكون ، بالطبيعة ، بالحب ، بالموت ، وبالعلم المليء بالوحشة والاثارة والاشياء التى تتجاوز المألوف والعادى ، مجسدا هذه الاشياء الذهنية بموهبة خاصة فى التكوينات المرئية الغريبة والمتطرفة .. فهو فنان «ذاتى» إبن قسيس بروستانتى ، وهو ايضا ابن للحضارة الغربية ومواطن يعيش فى السويد ، اكثر مناطق العالم تحضرا . فنان تؤرقه التناقضات الخاصة بالتجربة الانسانية فى معناها الاكثر شمولية .. وافلامه تنحصر فى اشكال شديد الخصوصية والتميز حول هذه

# من العتمة الداخلية إلى موت المبارة في المدن القديمة

التجربة ، وشخصياته « الوسيطة » التى تنقل خلالها هذه التجربة شخصيات خاصة ومتفردة ، وعظمة هذا الفنان انه استطاع ان يوحد بين اداة تعبيره وبين الموضوع الذى يعبر عنه حتى صار الشكل فى افلامه هو المضمون وصار الاثنان (الشكل والمضمون) « كلا » لا يتجزأ ، ومن هنا ارسى برجمان نفسه كواحد من اعظم الفنانين واكثرهم خصوصية فى تاريخ السينما ، ودفع بوسيلة الفيلم ـ كوسيلة تعبير فنى ـ من مجرد واقع مادى الى عالم ذهنى يشارك فيه المتفرج وكانه احد اطراف المباراة فى لعبة «الشطرنج» التى تجمع بين انتونيوس بلوك (ماكس فان سيدو) فارس العصور الوسطى الذى يعود الى وطنه السويد ليجده يغرق وسط وباء الطاعون وبين شبح الموت الذى يرتدى قلنسوة سوداء . فى فيلم «الختم السابع» (١٩٥٧) ، او كانه الشاهد على هذا الطبيب العجوز ايزاك بورج ( فيكتور سيستروم) الذى يقترب من نهاية حياته ويستعرض تفاصيلها اثناء رحلته لتسلم الجائزة الفخرية التى تتوج عمله كطبيب ناجح ، بينما تؤكد هذه التفاصيل على خلو هذه الحياة ذاتها من المعنى وعن المواجهة الشقية التى تحققها هذه الرحلة «لايزاك» مع ذاته كما تشهد على عذاباته وعلى ماساة الشيخوخة التى تفاجىء الانسان وتجعله يكتشف فجاة المعنى الحقيقى الذى تنطوى عليه سنوات عمره التى امتدت الى اكثر من سبعين عاما هى عمر الطبيب فى فيلم «الفراولة البرية» .

## البحث عن السكينة

لقد نقب برجمان فى الكثير من الاشياء التى ينغلق عليها عقل الانسان ، وناقش فى اعماله مرارا فكرة الزوال والموت ( اجازة صيف ) و (الختم السابع) وماساة انشيخوخة والحاجة الى معرفة الذات وسبر اغوارها ( الفراولة البريـة) مثلما قام بالتنقيب فى اشكال الحياة المعاصرة وانعكاسات مضامين هذه الاشكال على حياة الانسان الداخلية افلام «الصمت» و «برسونا» ، و«العار» .

وعالج كذلك فكرة الامتزاج العضوى الكامل بين الماضى والحاضر ومشكلات الحب والموت (وجها لوجه) وكشف عن العذابات الناجمة عن التساؤلات حول وجود الله ، وانتشار الشر فى الوجود بصورة مفجعة ، بالاضافة الى التمزقات التى تنبعث من الرغبة فى تدمير الذات والخوف من العقم العاطفى والروحى والتحلل المعنوى والنفسى والمادى فيلم (اللمسة) والقدرة على الالتزام العاطفى والانسحاب كلية إلى داخل الذات خوفا من مواجهة الواقع المرعب والرهيب للحياة الراهنة ( ساعة الذئب ) والبحث عن السلام والمتعة فى عالم لايقدم للانسان سوى الآلام والصرخات وعتمة العوالم الداخلية التى تنحبس فى داخلها روح الانسان (صرخات وهمسات ثم خريف العمر وخريف الشباب وتلك العواطف الخفية والمكبوتة والاكاذيب التى تنطوى عليها علاقات مقدسة مثل علاقة الام بابنتها والخلل الذى يصيب الاسرة عندما يختل موقع الام فيها ( سونا ) الخريف .



لينوس » يطل من البناية القديمة



شخصية « السفيرة » ومعناها الرمزى فى فيلم لينوس

## البحث عن بديل

ليس غريبا إذن ان يسيطر برجمان علينا وان تنحصر رؤيتنا للسينما السويدية داخل هذا العالم الذى يخلقه ، ومع ذلك فنحن يجب الا نستسلم لهذا « المس البرجمانى » وانما علينا ونحن نقيم احتفالنا الخاص بعيد ميلاد فنان عظيم مثل برجمان ان نتذكر انه لم ينبع من فراغ وإنما عرف العالم الانتاج السويدى فى العشرينات على يد فيكتور جوستروم (١٨٧٩ ـ ١٩٦٠) وموتيز ستللر ( ١٨٨٣ ـ ١٩٢٨ ) اللذين عملا فى هوليود ا بان السينما الصامتة .

ان فى الثلاثينات شهدت بدايات فنانة سويدية تعد من اعظم الممثلات فى تاريخ السينما وهى انجريد برجمان التى قررت ان تعتزل السينما اخيرا بعد اخر افلامها سوناتا الخريف عام ١٩٧٨ حتى تكون صورتها الاخيرة فى هذا الفيلم هو التتويج الأسمى لحياة فنية متصلة امتدت ما يقرب من نصف قرن .

صحيح ان الانتاج السويدى فى الخمسينات كان فقيرا ومحدودا وقاصرا على الاستهلاك المحلى ، ورغم ذلك استطاع برجمان ان يكون هو النجم السويدى الوحيد الذى يخترق حدود بلاده وان يدفع معه بجيل من الممثلين فى السويد الى ساحة المجال الدولى ( انجريد برجمان ، هاربيت اندرسون ، ماكس فان سيدو ، وجونار بجور ستراند والممثلة النرويجية ليف اولمان التى كانت زوجته وله منها إبنة ) .. لكن ظهر فى الستينات مخرجون شبان جدد يحملون قدرا من التمرد على هذا المارد الذى يغطيهم بظله ويلتهم اهتمام الجمهور والنقاد . يبرز ضمن هؤلاء المخرج بوفيدر برج الذى اعلن حين بدا فى الستينات عن رغبته فى كسر العالم الذهنى القاتم لبرجمان ورفضه لنموذج شخصياته المنهكة بافكارها الميتافيزيقية وهمومها النفسية والخروج الى العالم الواقعى ومواجهة المتفرج بالمسؤوليات والصراعات الانسانية التى يمتلىء بها هذا الواقع . وقدم بوفيدر برج مجموعة كبيرة من الافلام . قدم الفيلم العاطفى (حب ٦٥) والتاريخى ( جو هيل ) و (الفيرا مادى) والكوميدى (نقودك ثلاثون ضعفا) ،وعقب، السيجارة ، وتنوع فى اسلوبه بين النزعة الرومانسية ، والحس الاجتماعى ، وكشف عن انجذابه الى الحبكات البسيطة ، والاداء التلقائى والصورة المشحونة بالجمال والرغبة فى الانطلاق والعودة الى الحياة وسط الاماكن الطبيعية ، كما عبر فى فيلمه «جو هيل» . ٦

«الغـراب » عن التزامه السياسى وولائه لطبقة العمال وتعاطفه معهم .

وفى فيلمه « جو هيل » (١٩٧١) قدم فيدر برج قصة مطرب سويدى هاجر الى امريكا فى اوائل هذا القرن ، وبعد بضع سنوات يصبح عضوا بارزا بمنظمة العمال الصناعيين ثم يتحول من خلال ارتباطه بحياة العمال وقربه من همومهم ومشاكلهم الى متمرد وثائر وتتحول اغنياته الى «طلقات» يطلقها العمال فى السجون والحقول وجميع اماكن العمل . والفيلم يقوم على حادثة تاريخية مشهورة يستغلها هذا المخرج لعمل فيلم سياسى يكشف عن مظاهر الزيف التى تحكم مؤسسة القضاء واشكال المحاكمات المزورة التى انتهت باعدام «جو هيل» بعد ان يتهموه باطلا بتهمة القتل .

لكن فيدر برج يتجه نحو العنف والنزعة الدموية فى فيلم « رجل فوق السطح » ١٩٧٦ ويتخلى عن نزعته هذه الرومانسية حين يقدم موضوعا مستهلكا حول اختصصات رجل

قصة العامل الصغير الذى يكتب الشعر ويقبل على الحياة بصدق وبراءة .. ماهى الصدمات التى جعلته مخلوقا آخر ؟



العامل الارهابى مع الغانية فى « خلطة من الفساد الكامل فى فيلم لينوس »

البوليس وتجاوزه لهذه الاختصاصات ، ويظل فيدر برج الفنان الذى يقدم اعمالا جديرة بالمناقشة لكنها لا ترتقى فى احسن حالاتها الى اعمال برجمان .

ظهرت فى نفس الفترة اعمال لمخرج اخر هو جوهان برجستراهيل (٤٥) سنة الذى اخرج مجموعة الافلام « صنع فى السويد » (١٩٦٨) وفيها يهاجم اشكال الاستغلال التى تمارسها المؤسسات الصناعية عندما استسلمت لقرار تسليم الاسرى السوفيت بعد انتهاء الحرب الثانية ، ثم فيلم « الاجانب » ١٩٧٢ الذى يتناول مشكلة المهاجرين من السويد والحياة المهنية التى يحيونها فى مجتمع يرفضهم بينما يستغلهم اسوا استغلال على المستوى الاقتصادى .

والى جانب هذه الاعمال ظهرت اعمال اخرى للمخرجين السويديين مثل كجيل جريد (الذى اخرج افلام «هوجو وجوزفين» ( وهارى مونتز ) . والمخرج ستيج بيوركمان ( الحائط الابيض ) الى جانب الاعمال الاخرى لمخرجين مثل جان تردل ، وجلن هالدون وروى اندرسون ولاسى فورسبرج وتيودور كاليفاندس الذى عرض له اخيرا فيلم حب (١٩٧٩) ويتناول المشكلات العاطفية مع تحليل للرغبات الحسية والاضطرابات الذهنية التى تصيب رجلا فى منتصف العمر ، ثم المخرج لارستن فيدل «انا ماريا» الذى يعرض لمشكلة الوحدة والطفولة الى الواقع الخشن للحياة ، هذه الاعمال مع غيرها من الانتاج السويدى لم تحقق حتى الآن النجاح التجارى الملموس ، ولا الرواج الفنى الذى حققته السويد من خلال برجمان ، ولولا العروض الثقافية والمهرجانات السينمائية لما استطعنا ان نتابع هذه الاعمال .. فشركات التوزيع العالمية لم تتحمس لهؤلاء الفنانين حتى الآن كما ان احدا من هؤلاء المخرجين استطاع ان يخترق مجاله المحلى بعمل متفوق يخترق العادى والمالوف فى الانتاج السينمائى الدارج .

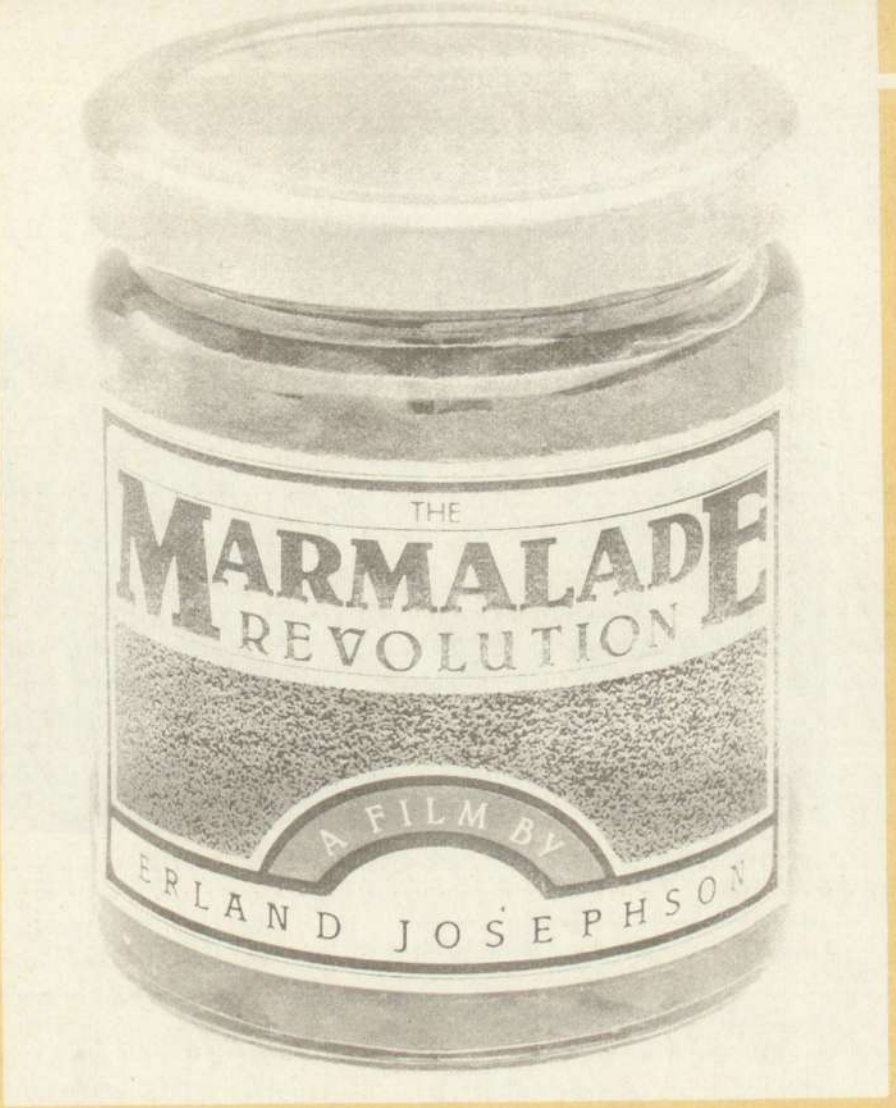
## فى مواجهة الكساد التجارى

وفى مواجهة هذا الكساد التجارى الذى لحق بالانتاج السويدى بدات السينما الاسكندافية تنشط على المستوى الثقافى وان تتحد بصورة قوية على شكل تجمعات فنية لعرض الانتاج السينمائى فى هذه الدول وليس فى السويد وحدها . ففى ٧ ديسمبر ١٩٧٩ عرض استوديو اورسيلين للفن والتجربة فى باريس ( احد المراكز الثقافية النشيطة للاعمال الطبيعية ) مجموعة من التجارب الجديدة للسينما السويدية على الجمهور الفرنسى وقدمها الاستوديو باعتبارها اعمالا تتمتع بقيمة فنية متطورة ثم بعد باريس انتقلت هذه العروض ذاتها فى فبراير الماضى الى مهرجان برلين السينمائى فى المانيا الغربية فى محاولة للترويج عن الانتاج السينمائى لهذه الدول والتعريف بفنانيها الجدد ، وشاركت السويد فى مسابقة المهرجان الرسمية بفيلم « ثورة المرملاد » للمخرج ايرلاند جوزيتسون الذى كتب السيناريو وقام بالدور الرئيسى كما شارك فى الانتاج مع المصور سفن نكفست وهو فيلم يقوم على مشكلة شديدة التفاهة ، لكنها تتحول داخل الاسرة المترفه ماديا الى مشكلة مستعصية تمزق الرباط الاسرى بين استاذ الجامعة وزوجته .. والمشكلة هى : ذهب الزوج لشراء حاجيات المنزل وعاد بمربى المشمش بدلا من مربى البرتقال ، وعندما تعترض الزوجة يترك الزوج المنزل ليحيا بعيدا بمفرده . وهكذا يتمرد الزوج ويهجر الاسرة بعد حياة زوجية تستمر سنوات . هذه الحادثة الصغيرة تمنح للمشاهد مفتاحا لفهم العلاقات الاسرية فى مجتمع الاسرة البورجوازية فى السويد حيث الحياة متزنة وميسورة او خالية من اى اثر للمشكلات المادية ، ولكن تبقى مشكلات الفقر الروحى والفراغ المعنوى قائمة ومتفاقمة بشكل حاد والعلاقات الانسانية واهنة تتمزق وتنتهى امام حادث صغير جدا . والحادث على تفاهته اشبه بالسكين الذى يشق هذا الفراغ ويهوى على راس من يصنعونه كافراد ثم على راس المجتمع ككل والفيلم الذى اختاروه ليمثل السويد يصف فى سفسطة وانفعال شديدين العلاقات الباردة يعالجها المخرج باسلوب يفتقد الحرارة ويعتمد بصورة كبيرة على الحوار ، لكن تظل قيمة الفيلم فى عنصر التصوير الذى قام به سفن بكفست الذى يعد من اعظم المصورين فى العالم ، فهو المصور الذى لازم برجمان ، وقدم اجواء وظلالا والوانا كانت هى المعادل الوجدانى المرئى — إذا صح التعبير — للافكار الذهنية التى يثيرها برجمان .

ومن برلين انتقلت هذه الاعمال الى مدينة «كان» وذلك فى رحلة البحث عن اسواق جديدة وجمهور جديد ، وهى الرحلة التى تتيح لنا ان نبحث عن بديل لبرجمان ، او عن بذور لاتجاه قوى يواصل الابداع بنفس المستوى المتميز والاصيل الذى اعتاده المتفرج من فنان السويد الذى مازال رغم كل ماتنتجه السينما السويدية وما تنتجه السينما الاسكندافية عموماً هو الاكثر حضورا.

## لينوس البرىء

وبالفعل اتاح لنا هذا التجمع الاسكندافى الاخير فى مدينة «كان» فرصة الكشف عن عمل جيد ومتميز هو فيلم «لينوس» كما اتاحت لنا رؤية اخر اعمال برجمان ( فارد ١٩٧٩ ) ولينوس (١٩٧٩) هو الفيلم الثالث عشر لمخرجه فيلموت سجومان .. وربما كان هو الفيلم الاكثر اهمية بين كل التجارب التى رايناها . ولينوس يتناول قصة العامل الصغير الذى يعمل فى مكتبة ويكتب الشعر ، ويقبل على الحياة بحس صادق مع براءة وصفاء حقيقين .. لكنه يصطدم بسنوات عمره القليلة (١٦ سنة) وخبرته المحدودة بمجموعة من الصدمات تاتيه جرعة واحدة ذات مساء فتجعله مخلوقا اخر يعيد النظر فى كل الاشياء والعلاقات ، بل وفى العالم كله . ولينوس فياض بالحب ، يحب والده العامل الفقير سائق اللورى .. ويحب الخادمة الصغيرة التى تتردد على المكتبة مع سيدتها الادبية الثرية التى تشتهر بلقب «السفيرة» والتى تبادله الحب وتشجعه وتاخذ منه اشعارها حتى تقراها مخدومتها التى تتبنى المواهب الصغيرة وتشجعها . وهذه السيدة تمتلك مبنى عتيقا فى قلب مدينة ستكهولم ، تعيش فى إحدى شققه . وعندما يلازم لينوس الفناء الذى يحيط بالمبنى ذات ليلة كى يسترق النظر الى الخادمة الصغيرة ويصل بفضل عونها لهذه المراة الثريةتشاء الصدفة ان يشهد جريمة تعذيب وقتل يقوم بها بواب البناية الفاشى الذى يتولى مع بعض الرجال تعذيب العامل النقابى «هلج» حتى القتل ، وياخذ لينوس بعض بقايا هذا القتيل ( خصلة شعر ، فانلة مليئة بالدماء .. الخ .. الخ ) كادلة تدين القاتل الذى امر بوضع الجثة فى اللورى الذى يملكه والده والذى يتصادف وقوفه امام هذا المبنى .. ويحاول لينوس ان




## من العتمة الداخلية إلى موت البراءة في المدن القديمة

والفيلم يعد عملا جيدا بالفعل . فيه اداء رائع للممثل الصغير هلرال هامرل الذى يقوم بدور لينوس ، والقصة التى نفذها المخرج باتقان حقيقى تمتلىء بالمعانى ولا تخلو من الرموز والدلالات الاجتماعية القوية بالاضافة الى المضمون السياسى والصراع الذى يتم لصالح العناصر الفاشية فضلا عن الفساد الروحى والانحطاط الثقافى الذى يتمثل فى المراة الادبية . إنها مرحلة العشرينات لكن ما اكثر التشابه بينها وبين ظروف الحاضر ..

لقد اغتيلت براءة لينوس بفعل هذا الفساد الذى تمثل فى اشكال عديدة تجسدت جميعا فى هذه البناية الكبيرة القديمة التى تطل على الفناء الواسع وسط مدينة ستكهولم ( ترمز البناية للسويد نفسها ) فقد ضمت فى داخلها منزلا للرذيلة ، وبوابا فاشيا يعمل لحساب حركة إرهابية لقمع التمرد ، وامراة تخون زوجها مع صديق طفولته ، كما تضم كذلك الغانية ( هاريت اندرسون ) التى كانت اول من يغرى لينوس ، كما يشهد هذا المبنى نفسه على انحراف والد لينوس العامل الذى يتخذ من زوجة صديقه عشيقة له .. كل هذه الاشياء تتجمع داخل مكان واحد يتحول فيه لينوس من صبى برىء الى إنسان نفعى يبيع نفسه للأديبة الثرية ويتخلص من حبه للخادمة ومن تبرئة والده ، ومن التصدى للمجرم الذى يرتكب الجريمة التى يشهدها بعينه .. وفى قلب هذا المبنى ايضا تغتال مشاعر الخادمة الصغيرة الفقيرة التى تشهد إنهيار قيم الحب والجمال وتحولها الى اشياء قبيحة وزائفة .. تبقى شخصية « السفيرة » واسمها يرمز الى مكانة رسمية الأمر الذى يؤكد « مكانها » داخل هذا العمل الفنى كرمز للدولة نفسها حينما تتغنى بالجمال والشعر والنبل وتبنى الصغار بينما ينطوى مضمونها الحقيقى على فساد كامل تشهد عليه علاقتها مع لينوس .

## برجمان مرة أخرى

ربما كانت هناك جذور لسينما بديلة ، وربما استطاع الانتاج السويدى ان يفاجئنا من ان لآخر بعمل جيد ومتميز مثل لينوس . لكن يظل برجمان هو الاكثر تالقا .. وهاهو اخر اعماله « فارو ١٩٧٩ » الذى يختلف عن كل اعماله السابقة ، ومع ذلك يحقق نجاحا فنيا لدى المتفرجين لا يختلف عن باقى اعماله الكبيرة .. انه عمل تسجيلى عن الجزيرة التى احبها واشترى قطعة من ارضها وبنى فوقها بيتا شهد ميلاد الكثير من سيناريوهات افلامه كما شهدت الجزيرة نفسها احداث بعض هذه الافلام ( برسونا ـ العار ) بعد ان اختارها برجمان لأول مرة مكانا لتصوير فيلمه « عبر زجاج داكن » عام ١٩٦١ . كما كانت

## هل أراد برجمان تخليد جزيرته والعودة من خلالها إلى أشياء الحياة البسيطة بعيداً عن تعقيدات العالم الحديث!

هى المكان الذى شهد عزلته فى الأيام الصعبة .

وفى عام ١٩٦٩ اخرج برجمان فيلما عن «جزيرة فارو» التى تطل على بحر البلطيق وتبعد عن العاصمة ثلاث ساعات بعنوان « فارو الوثيقة » الذى انهاه بنظرة متشائمة حول مستقبل الجزيرة . لكنه عاد بعد عشر سنوات لكى يقدم جزيرته المفضلة بعد عمل استمر ثلاث سنوات . وفى هذا الفيلم يكشف برجمان بوضوح عن ولعه هو الشخصى وانجذابه الذاتى نحو هذه الجزيرة وارتباطه بالاقلية التى مازالت تسكنها ويتابع من خلال حوار طويل معهم يقطعه بعد جولة وسط ملامح الجزيرة الطبيعية ومشاهدها الرائعة لكى يعود ويستانفه من جديد ، مستعرضا حياتهم ونوعية هذه الحياة مع كثير من التفاصيل الانسانية البسيطة مصورا مظاهر الامل والالم فى هذه الحياة التى تبدو محرومة تماما من الرعاية والدعم الرسمى للحكومة السويدية .

والفيلم عبارة عن ريبورتاج سينمائى يقوم به برجمان شخصيا وهو موضوع بسيط يخلو من اية محاولة للفلسفة او للتاملات الذهنية التى اعتدناها من برجمان ومع ذلك فقد اجتهد برجمان ان يضعه فى احسن إطار ممكن .

فقد استقبلت الصحافة السويدية هذا الفيلم بحماس شديد واعتبرته وسيلة من جانب المخرج لتخليد جزيرته والعودة من خلالها الى الطبيعة وإلى اشياء الحياة البسيطة بعيدا عن تعقيدات العالم الحديث .

ومرة اخرى يحتل برجمان بعمله هذا البسيط الذى رايناه فى مدينة كان ، مكان الصدارة فى الصحافة الفنية ويتاكد لنا ثانية ان برجمان وهو يتم عامه الثانى والستين ما يزال هو الاكثر خلودا وسط كل ما استعرضناه من اسماء واشرنا اليه من اعمال .

وربما عاد خلود برجمان الى تماسك وتميز تجربته الفنية والفكرية ، ومعاناته الروحية والعقلية الخاصة ، هذه المعاناة التى تضعه وسط مجموعة من اكبر فناني وادباء الثقافة الغربية فى هذا العصر ، لكنه تفرد من بينهم باستخدام لغة فن القرن العشرين ـ لغة السينما ـ وهذا التميز والتفرد هو العنصر الذى مازال مفقودا حتى فى اكثر تجارب السينما العربية نضجا .

خيرية البشلاوى

# حكمتك يارب







الميدان مزدحم بالسيارات المتنوعة الأنماط .. حرارة الظهيرة تداعبنى فى قسوة .. زفير العربات الأسود يلتهم ذرات الأوكسجين من الهواء .. ثعبان الاختناق يلتف حول رئتي .. يعتصرها .. يصيبنى الدوار .. أتقافز كبهلوان مبتدىء محاولا اجتياز الميدان حافلات كأمواج البحر تتلاطم فى سرعة حاملة معها الموت .. اتجه الى موقف سيارات الأجرة .. اتحسس بيدى البرقية التى وصلتنى فى الصباح :

ـ عمتك ماتت .. أردد بتلقائية المؤمن . إنا لله وإنا إليه راجعون .

سيارة أجرة تتأهب للرحيل .. ينقصها راكب واحد .. هرولت نحوها فى أنانية لأظفر بالمقعد الخالى .. السائق ينظر إلي وابتسامة صفراء تلطخ شفتيه .. مسح بعينيه حمولة سيارته .. لعق شفتيه بلسانه .. اطمأن .. أوقف محرك السيارة وتعلل بأنه سيحتسى كوباً من الشاى فى المقهى المقابل .. القلق يبعثر أفكارى .. الرجل تأخر .. أود الوصول فى اسرع وقت الى بلدتى بالريف لأشترك فى تشييع الجنازة .. السائق لا يلقى بالا لصيحاتنا الغاضبة ..دوامات الضحك تغرق السائق وزميله .. ينظر إلينا شذرا .. أحسست بالضيق .. لم استطع أن أمنع يدى من العبث بآلة التنبيه .. صفير مزعج .. اضغط فى قوة واستمرارية تعبران عن مدى ثورة الغيظ فى صدرى .. قام السائق منزعجاً من مقعده .. وهرول الى السيارة .. يحدق في بعينين مفعمتين بالشر .. تنطلق من فمه الشتائم .. كدوى القنابل يخترق الصوت أذنى .. صوت قبيح .. لم ارد عليه .. ابتسمت ابتسامة واسعة إزدادت ثورته ..امسك بقميصى يريد إخراجى من السيارة .. صممت على التشبث بمقعدى .. أقسم باغلظ الايمان أنه لن يتحرك بسيارته مادمت أنا أركب معه . صحت فى تحد لن أدع مقعدى .. هاج وماج .. تجمع بعض السائقين .. أقترح احدهم أن أركب معه فى سيارته هو .. ومنعا لما قد يحدث .. رضيت بحكم هذا الرجل .. ونظرت فى إزدراء للسائق الرعديد . انتظرت ربع ساعة بعد رحيل السائق .. كانت سيارتنا قد أكتمل عدد ركابها .. مضى سائقنا الطيب فى رحلته متوكلا على الله .. الهواء يلفح وجهى .. آيات من القرآن الكريم تأتى الينا كنسمة روحية من جهاز تسجيل السيارة .. أنصت فى لذة إلى كلام الله سبحانه وتعالى .. تبددت آثار الغضب والضيق من حنايا صدرى .. نظرت فى ساعة يدى .. مضى أكثر من نصف ساعة على قيام السيارة من الميدان .. الأشجار تتوارى على الطريق مع اندفاع السيارة .. إزدحام يقطع الطريق .. السيارات تصطف منتظرة انتهاء هذا الزحام .. تسلل الضيق الى صدرى .. الوقت يمر .. أخاف عيون أبى وأولاد عمتى .. وهم ينظرون إلى فى عتاب ولوم .

سأل سائقنا احد الواقفين عن سبب الزحام .. أخبرنا الرجل أن سيارة أجرة انقلبت ومات كل من فيها .. نزلنا مهرولين ناحية السيارة .. شيء يشدنا .. شك قلق .. فضول .. اخترقنا فى صعوبة حاجز المتجمعين .. أقتربنا أكثر .. عيناى تحملقان فى بقايا وجه احد الموتى .. إنه سائق السيارة الأجرة التى كنت ساركب فيها .. أخذتنى رعدة .. الدوار يلف برأسى .. لم اعد استطيع الرؤية .. أكاد افقد توازنى .. أستند إلى ذراع السائق .. الأفكار تلفنى فى سرعة .. ابحث عن تفسير .. عن إجابة .. شعرت بتيار هوائى يسرى فى عروقى .. رفعت يدى إلى الله شاكراً فضله .. فهو المحيي والمميت وصحت والدموع تهطل من عينيى ..

ـ إن لله وإنا إليه راجعون ...

عبد الله السقا
القاهرة

## كلمات للتأمل

- تنسيق المعلومات هو العلم وتنسيق الحياة هو الحكمة .
- ابداعك صوره مجسمة لداخلك .. لأحاسيسك ..ومعاناتك .
- من لم يصبر على طلب العلم فى أول حياته صبر على الذل حتى مماته .
- الابتسامة المتفائلة تظل من الشفاه .
- من لم يتحمل مشاق العمل تحمل آلام الفقر .
- النخلة الباسقة كلما قذفناها بالاحجار تزيدنا كرما وترد علينا بالثمار .

## أيهما أحق بالخجل؟

الأب لابنه : إننى اشعر بالخجل لكسلك فى دروسك .. تذكر ان جورج واشنطن كان مسلح اراض ناجح حينما كان فى سنك !

الابن : وانا اشعر بنفس الشعور ياوالدى كلما تذكرت ان جورج واشنطن كان رئيسا للولايات المتحدة فى مثل سنك !

محمد خير الجنادى
سوريا

## كلمات لها معنى

الطبيعة كلها تتلخص فى فعل « اكل » ، مرة فى صيغة المبنى للمعلوم ، ومرة فى صيغة المبنى للمجهول .

« وليام انج »

لابد وان فى الفقر مزايا .. وإلا فلماذا كل اولئك الفقراء ؟ .

« د. هارولد »

سوف تجد مكانا على القمة المزدحمة ، لو بحثت جيداً .

« هربرت »

كثيرا ما تعمر الصداقة بين اثنين ، لأن كلا منهما يشعر بانه يمتاز على الآخر فى شىء ! .

« بلزاك »

الخطا خطا .. ولو أيده خمسون مليون من الناس.

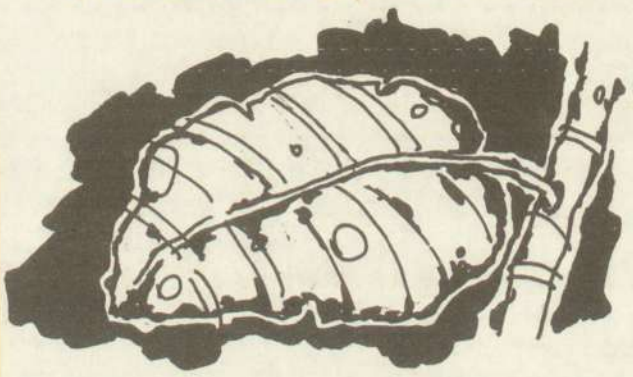
« اناتول فرانس »

ما اكثر الذين يتكلمون عن العقيدة ، ويجادلون ويقاتلون عنها ، وقد يموتون فى سبيلها دون ان يعيشوها .

« كولتون »

نعمان شتيبى
الجزائر

## أقدم وأقدم !



عثر العلماء فى الولايات المتحدة على اقدم اوراق شجرة حافظت على لونها الأخضر زهاء ٣٠ مليون سنة ، وقد اكتشف العلماء بان هذه الاشجار كانت فريسة لانفجار بركانى ، وان اوراقها إختفت تحت رماد اللهب ، فاحتفظت خلاياها بالمكبرات الكيمائية داخل الأوراق كل هذه الملايين من السنين ! .

اما اقدم معاهدة دولية مكتوبة عرفها العالم ، هى المعاهدة التى ابرمت بين فلتوسيليس الثالث ملك الحيثيين فى سوريا ، وبين رمسيس الثانى فرعون مصر سنة ١٢٧٨ق.م ، وجدت النسخة المصرية فى تل العمارنة سنة ١٨٨٦ ، والنسخة الحيثية وجدت فى الأناضول ١٩٠٦وقد جاء فى نصها : ان الملك الحيثى ارسل رسلا الى رمسيس الثانى لطلب الصلح ، وشهود المعاهدة ليسوا كما يظن احدنا افرادا ، إنما هى الآلهة من معبودات الدولتين .

مصدق حسن
المغرب

## لماذا لم يترك العقاد بيته؟

سئل الكاتب الكبير عباس العقاد يوما :

ـ لماذا لم تترك بيتك هذا ، وقد اصابته الشيخوخة بعد ان عشت بين جدرانه اكثر من اربعين عاما ؟ .

فاجاب العقاد : كتبت فى هذا البيت خير كتبى واحبها الى قلبى ، وعشت فى تلك الكتب عيشا حيا قبل ان انقلها الى عالم الأوراق .. هذا البيت صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ، ثم صعدتها اثنتين اثنتين ثم اصعده الآن درجة درجة على غير عجلة او اكتراث .

ونزلت فى هذا البيت والشعيرات البيض تتوارى فى السود ، وعشت فيه والشعيرات السود يتوارين فى البياض واستقبلت فيه آمالا ، واحييت فيه ذكريات ، ومن غار على آماله وذكرياته ، لابد وان يغار على مواطنها ان تستباح بعده لكل من يشاء .

احمد الحسينى
القاهرة

## ولم لا؟

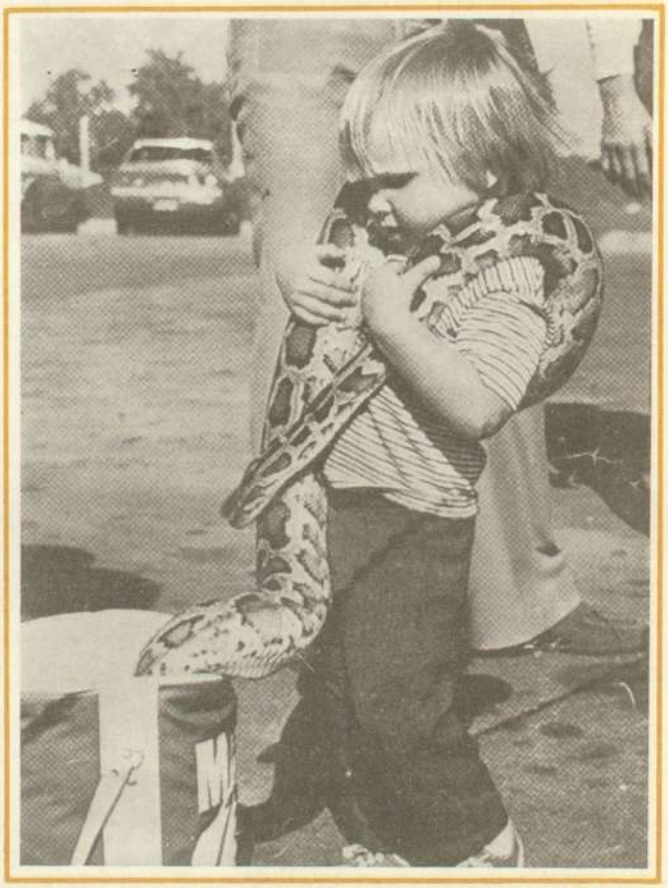


كان تشرشل يفاخر دوما بقوته الجسدية ، ويقول انه والموت عدوان ، وحدث ان وقف احد المصورين يوما يلتقط صورة لتشرشل اثناء احتفاله بعيد ميلاده التسعين ، وما كاد ينتهى من مهمته حتى اقترب منه وقال :

« امنيتى ياسيدى ان اقف امامك ، والتقط صورتك وانت تحتفل بعيد ميلاده المئوى » .فاجابه تشرشل وهو يقهقه ضاحكا وسيجاره الكبير الذى لم يفترق عنه ابدا يتراقص بين شفتيه :

« لا اجد سببا دون تحقيق امنيتك يابنى ، فانت مازلت شابا صغيرا ، وتتمتع بصحة طيبة » .

الشوكى عبد اللطيف
الدار البيضاء



## لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة :
نيسان حفظى مسعـود ـ الأسكندريـة

## السـتـر



اراد الحجاج ان يستحم يوما ، فاوغل فى النهر واشرف على الغرق وراه رجل من بنى ثقيف عرف بشدة كراهيته للحجاج فسارع بانقاذه ، ولما تبين الحجاج شخصية منقذه ، وكان على علم بما يكن له من الكراهية قال:

ـ اتعرف من انقذت ؟

ـ نعم انت الحجاج !

قال الحجاج : ولكنهم زعموا انك تبغضنى .

قال : ذلك والله .

فساله : إذن لماذا لم تدعنى اغرق ؟

اجابه الرجل : ما انقذتك رغبة فى إنقاذك ولكنى خشيت ان تموت شهيدا ، فتدخل الجنة !

هانى الفى حكيم
الاقصر/مصر

## فضـل الله

جلس رجلان بالقرب من بيت ام جعفر زبيدة العباسية ، وكانت معروفة بالكرم . فكان احدهما يقول : اللهم إرزقنى من فضلك . والآخر يقول : اللهم إرزقنى من فضل ام جعفر .

وفى كل يوم كانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، ولطالب فضلها دجاجة مشوية فى جوفها عشرة دنانير . فكان صاحب الدجاجة يبيعها لصاحبه بدرهمين وهو لا يعلم ما فى جوفها .. وإستمرا على ذلك عشرة ايام ، سالت ام جعفر بعدها طالب فضلها : ماأغناك فضلنا ؟ . قال وما هـو ؟

قالت : مائة دينار فى عشرة ايام !

قال : بل دجاجة ، ابيعها لصاحبى بدرهمين .

فقالت : هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ، وهذا طلب من فضل الله ، فاعطاه اللـه .

صفاء عباس
الأردن

## لبـاقـة

زار احد الخلفاء العباسيين وزيره فى داره ، وكان للوزير ولد نجيب ، فجلس الخليفة واجلسه بجانبه وساله : ايهما احسن .. دار الخليفة ام دار ابيك ؟ فرد الصبى على الفور : متى كان الخليفة فى دار ابى ، فدار ابى احسن .

وعاد الخليفة يريه خاتما فى اصبعه وساله : هل رايت خيراً من هذا الخاتم ؟ .. فقال الصبى : نعم ! اليد التى هو فيها خير منه ! .. فدهش الخليفة من حسن جوابه وقال له :

ـ احب ان تكون خليفة من بعدى ، فقال الصبى :إبن الخليفة اولى منى ، فهو صاحب الحق فى الخلافة .

فسر منه الخليفة وكافاه مكافاة كبيرة على حسن جوابه !

سامر محمد سالم
مصـر

## ذكـاء أم دهـاء ؟

جلس احد اساتذة الجامعة بجوار مزارع مسافر فى نفس القطار ، وإتفقا على ان يوجه احدهما للآخر لغزا لتمضية الوقت ، فاقترح الاستاذ ان يدفع الذى يعجز عن حل اللغز دينارا لرفيقه ، ولكن المزارع احتج على ذلك ، على اعتبار ان الاستاذ الجامعى اكثر منه علما ، فاتفقا على ان يدفع الاستاذ دينارا والمزارع نصف دينار عند عجز ايهما عن حل لغز الآخر .

وسال المزارع الاستاذ هذا السؤال :

ـ ماهو الشىء الذى يكون له ثلاثة ارجل حينما يمشى ، ورجلان حينما يطير فعجز الاستاذ عن الاجابة ودفع دينارا . ثم التفت الى المزارع وقال له : وماهو الجواب ؟ . فرد المزارع قائلا : إننى ايضا لا اعرف ! .. وهاك نصف دينار !!

احمد توفيق
حلب

## حل مسابقة من . أين . ما

عدد ٥٤

من : حسن ابو سعدة
أين : ميسلون
ما: الفرات .



الجواب الصحيح
١ـ الرؤية : النظر بالعين ، أما الرؤيا ما نراه فى المنام .
٢ ـ الاثنين
٣ ـ ابو رغال
٤ ـ ٦٥
٥ ـ كبريتات الكلسيوم
٦ ـ المامون
٧ ـ عمربن ابى ربيعة
٨ ـ المتنبى وتتمة البيت :
فان المسك بعض دم الغزال
٩ ـ ١٨٠ درجة
١٠ الطيب صالح

## نتيجة مسابقة يونيو ١٩٨٠ عدد ٥٤

فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء : فادى محمد سعيد / سوريا

فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء:عادل محمد النشار / القاهرة

فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء جميل خلف مطر / العراق

● الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ سعاد شبشوب / تونس
٢ ـ سامى محمد اسامة / سوريا
٣ ـ نعمات على جاد الله / السودان
٤ ـ رشدى السيد احمد / مصر
٥ ـ عبد الله رمضان / العراق
٦ ـ منذر فخرى عبد السلام / الأردن
٧ ـ كمال بدر الدين الرافعى / لبنان
٨ سهير خميس / قطر
٩ ـ عبد الله اسماعيل / السودان
١٠ ـ انشراح يوسف عثمان / الأردن
١١ ـ فدوى محمد زهرة / قطر
١٢ منى سمير عواد / مصر

## من . أين . ما

**مـن :**

كنيته ابو الانبياء عليهم جميعا السلام ، يحترمه كل اهل الأديان السماوية اسمه من سبعة احرف :
٤ـ٥ـ٣ـ١ـ٧ قبور فى مصر
٣ـ٦ـ٢ شك

**أيـن :**

جزر يلاقى المسلمون فيها اليوم بلاء عظيما ويجاهدون فى سبيل البقاء وحدهم ونحن لاهون غافلون . اسمها من تسعة احرف :
١ـ٥ـ٣ـ٦ـ٢ الحيوان الذى حاول به ابرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١ .
٨ـ٧ـ٩ـ٤ لا يهدم



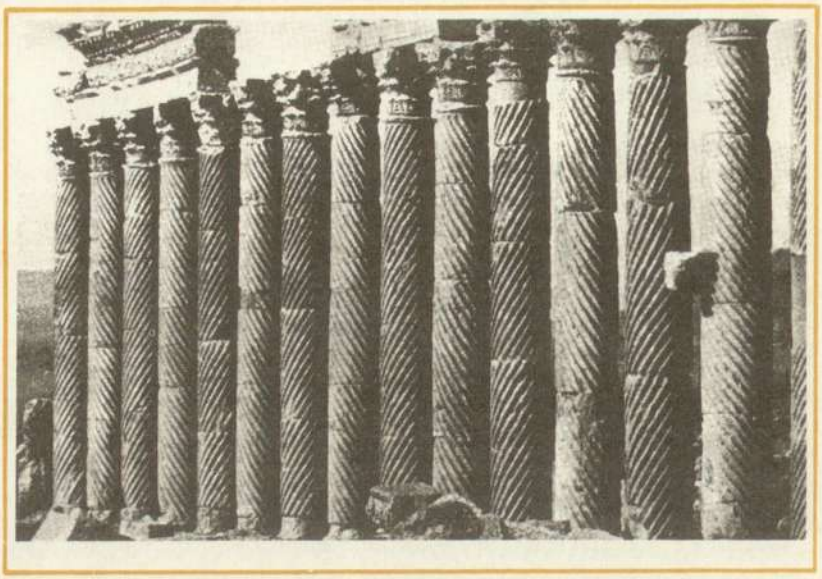
**مـا :**

سائل تصنع منه مادة ناسفة سائلة ، استطاع نوبل ان يحولها الى مادة صلبة سهلة النقل فاصبح مليونيرا ، وتكفيرا لشعوره بالذنب لاختراعه هذا المهلك أوصى بجوائزه المشهورة .
اسم السائل من سبعة احرف :
٧ـ٥ـ١ـ٤ زهرة تسمى باسمها النساء
٣ـ٢ـ٦ ياتى من بعد .

## الجواب الصحيح




١ ـ ثلاث من الصحف والمجلات الآتية تصدر فى قطر :
الريان ـ الراية ـ العهدة ـ القبس ـ العربية ـ الصقر .
٢ ـ امن تذكر جيران بذى سلم .. اكمل البيت وانسبه الى قائلة وماعنوان قصيدته ؟
٣ـ احتل الانجليز مصر فى سنة :
١٨٠٧ ـ ١٨٧٢ ـ ١٨٨٢
فى عهد حاكمها الذى كان اسمه : سعيد باشا ـ الخديو اسماعيل ـ الخديو توفيق .
٤ ـ الذى اشتهر فى التاريخ الاسلامى باسم خامس الخلفاء الراشدين هو : هرون الرشيد ـ عمر بن عبد العزيز ـ معاوية الثانى بن يزيد
٥ ـ « الاسم الكيماوى لملح الطعام هو كلورات الصوديوم »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
٦ ـ تقع البحيرة المسماه باسم «بركة قارون» من الوطن العربى فى :
فلسطين ـ مصر ـ مسقط ـ نواكشوط
٧ ـ الذرة من مجموعة النباتات : النجيلية ـ النخيلية ـ القلقاسية
٨ ـ «ضياع المال هين ، وضياع الأمل صعب ، ولكن ضياع الشرف هو الضياع الكامل »
قائل هذه العبارة هو الشاعر :
المتنبى ـ شكسبير ـ ميلتون
٩ ـ فى سنة ١٩٨٠ هذه يكون قد مضى الف عام على مولد العالم المسلم العبقرى :
البيرونى ـ ابن سينا ـ ابن الأفلح
١٠ ـ ياأولاد الأفاعى بيتى بيت الصلاة كان يدعى وقد جعلتموه مغارة لصوص »
هذا قيل فى حق اليهود على لسان :
سيدنا المسيح عليه السلام ـ ذى النون المصرى ـ الحسن البصرى ـ سيدنا سليمان عليه السلام .





## حـــاول أن تعرف

١ ـ إحدى الواجهات الاثرية القديمة باعمدتها المتميزة ، مازالت شامخة بين الجبال الخضراء فى شمال إحدى الاقطار العربية الشقيقة ..
هل يمكنك التعرف على هذا القطر ؟

٢ ـ لوحة زيتية رسمها احد الفنانين الايطاليين لزوجته وملهمته .. انفردت اعماله بطابع خاص تميزت عن اعمال الآخرين ، ومات مريضاً دون أن يكمل مشواره الفنى .
هل يمكنك التعرف على الفنان ؟

## كاريكاتير و تعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال



ـ الزوج : لن نصل الى البيت سالمين ، إذا ضغط على الفرامل كلما رايت فاراً
عبد الرحيم الصديقى / الدوحة

ـ الزوجة : اسفه ياعزيزى .. لقد ظهر عامود النور فجاة أمامى .. ؟
محمد عبد الباقى/ القاهرة

ـ الزوجة : والآن هل تشترى عقد اللؤلؤ . ام اريك مهارتى فى قيادة السيارة. ؟
معن الدباغ / العراق



ـ الزوجة : لاتكن جبانا ياعزيزى هيا متع نظرك بافخم اتوبيس سوف اقتحمه فى حياتى !
ماجدة على / مصر

## حل مسابقة كاريكاتير وتعليق عدد ٥٤

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٤





الصورة الأولى :
● من هو الفنان ؟
هو الفنان رامبرانت
اسماء الفائزين :
١ ـ كريم قادرى / المغرب
٢ ـ عبد الرازق بو عامر / اليمن

التعليق على الصورة الثانية :
ـ اخشى ان تمتد موجة غلاء الأسعار الى « الآيس كريم »
معالى حمودة / الاسكندرية
ـ دعونى وشانى !
على ابو ستينة / السودان





أحمد العنانى

# المجد كله رمضان

القرآن وبدر ومكة !

ثلاث هدايا سماوية لأهل الأرض مناسباتها بين يوم بدر الكبرى فى السابع عشر من رمضان الى يوم الفتح والنصر العزيز بمكة فى العشرين من رمضان الى نزول القرآن فرقاناً بين الحق والباطل فى الأرض ، على ترجيح فى ليلة السابع والعشرين من رمضان !

ثلاثة احداث عظمى أوجدت أعظم رابطة عرفتها الانسانية وأضخم وحدة ثقافية فى التاريخ ، وجاءت بكلمة السماء الأخيرة الى أهل الأرض فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

فاما بدر فلننظر فى بعض معجزاتها ...

قوة المسلمين الى قوة المشركين هى بنسبة واحد من المؤمنين الى ثلاثة من المشركين ، وفرس واحدة للمسلمين مقابل كل خمس وثلاثين ، وجمل واحد ، مقابل كل عشرة جمال للمكيين .. أما سلاح المسلمين وتجهيزهم وتموينهم فلا تكاد ترقى الى متوسط تلك النسب إذا قيست بأسلحة قريش ووفرة تجهيزاتها ...

ومع ذلك كله كانت النتيجة سبعين قتيلا من قريش وثلاثة وسبعين اسيرا فى مقابل أربعة عشر شهيدا من المسلمين ..

ولم يمض بعد بدر إلا عشر سنوات عدداً تم خلالها توحيد واعادة توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت راية الاسلام ، ودخول المسلمين عاصمة الفرس فى المدائن وسلخهم عن الامبراطورية البيزنطية اعظم ولاياتها واكثرهن خيرات واحسنهن من سائر الوجوه .. ومن يقرأ تفصيلات بدر ويتفكر فيها جيداً يجد أسباب النصر ماثلة ، فى تطبيق روح الشورى فى النظام النبوى الاسلامى ، وفى وضوح حاسم للرؤية ، ونظام جماعى قائم على العدل والتراحم والطاعة .

وروح الشورى يعكسه حرص الرسول عليه السلام فى أن يترك للانصار حرية القرار هل يدخلون المعركة قبل نشوبها أم لا يدخلونها ، أن كان تحالفهم مع الرسول فى بيعة العقبة تحالفاً دفاعياً يفرض عليهم مجرد حماية الرسول والمهاجرين داخل المدينة ، ولا يقتضيهم غزوا مع الرسول خارج المدينة ، كذلك طرح موضوع المعركة ، مكانها ، وخطتها على المسلمين فكان الرأى الأمثل لواحد من عرض الجماعة ، وكان رأيه وجيهاً صائباً فاخذ به ، أما وضوح الرؤية فناتج عن ايمان راسخ بالله ورسوله وحماسة المظلومين المقهورين ، الذين اخرجوا من ديارهم فى مكة بغير ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله .. أما النظام الجماعى فكان نظاماً متقناً وصارماً وقائماً على العدل والمحبة ، صف القتال رتب ترتيباً متراصاً لم يشذ عنه إلا واحد من المسلمين عنف به الرسول واعاده الى مكانه ، فكان كلما سقط شهيد سارع اخواه عن جانبيه الى رص الصف وملء الفراغ الناشىء عن سقوطه فلا يجد المشركون أمامهم ثغرة ينفذون منها حتى نهاية المعركة ..

أما فتح مكة فى العشرين من رمضان فكان أول فتح فى التاريخ يقبل فيه المنتصرون من المغلوبين مجرد التسليم باحتماء فى الحرم أو دار أبى سفيان ، وبعد ذلك لا شيء ، لا سبى ولا نهب ولا قتل موادع ولا ترويع أمن بل عفو شامل وسماحة نبى ما عرفت الأرض ابر منه ولا ارحم ..

وهو فتح استخدمت فيه القوة للردع فحجب الدم ، وانتصر المبدأ الحق ... لم ترافقه شماتة ولا بذاءة ، ولا كان إلا لله ذلك النصر ... ألم يسجد القائد على ظهر راحلته يبلل دمع الشكر لله عارضيه الكريمين ، ثم يتوجه محمد صلى الله عليه وسلم اولا وقبل كل شيء لتحطيم الاصنام فى الكعبة ، وتحقيق المبدأ فى نضال النبوة ... ما بدأ محمد بزيارة الحي ولا الدار رغم طول الشوق ، والحاح اللهفة الى ارض الوطن ..

وأما ليلة القدر ونزول الفرقان فان كتاباً فى التاريخ لم يعش فى القلوب والشفاه ، ولم يؤثر فى كل تفاصيل الحياة كما فعل كتاب الله الباقى بكامل حرفه ونصه ...

فمايزال القرآن قوت القلوب العابد ، وأساس التشريع والنظام لملايين عديدة ، ومايزال يجمع الأبيض والأسود فى اعظم وحدة ثقافيه ذات مضامين انسانية فى العالم كله .. ومايزال هذا الكتاب الالهى ينبوع البلاغة ، وحافز العلم والبحث ، ومنظم كيان الأسر ، ومقرر انصاب الورثة ، وكهف الأمان لكل عائد الى الله من رحلة ضياع ، وسراب شك غادر .

لقد كان رمضان لهذه الأمة حتى فى أشد عهودها تخلفاً وشتاتاً علامة فارقة على وحدة العقيدة وتماثل الشعائر والمشاعر وهو فى عصر النهضة الراهنة دليل العقل الاسلامى الجديد نحو اعادة البناء الحضارى لهذه الأمة على هدى ونور وبصيرة .

المجد حقاً كله رمضان ، فبينما الانسانية تقاسى آلام الضياع من حضارة الصناعة المادية ، ومن حصادها المر من الحروب الطاحنة والتمييز العنصرى الذميم ، وتحجر القلوب وانهيار القيم ، يمثل رمضان شامخاً ، سداً منيعاً يحول دون انتحار الانسانية وغرقها ، بكل ما يحمله من كرامة العدالة ، وفيوض الرحمة ، وتكريم الانسان بتقوى القلوب ، وتوجيهها الى اعزاز كلمة الله الذى له المثل الأعلى والأسماء الحسنى .

احمد العنانى

Ali Bin Ali Printing Press - Doha




بيبسى

مشـــروب الجيـــل الصَاعدْ



المسجد السنهوى

والعالم الإسلامى تتوحد مشاعره الروحية فى شهر رمضان الكريم .. تتجه الدوحة إليه بأحر مشاعر التهانى والدعاء بالمزيد من الصفاء والتو